التكرار التركيبي في القرآن الكريم

أنماطه ودلالاته



الدكتورة
منال صلاح الدين عزيز الصفار



التكرار التركيبي في القرآن الكريم

أنماطه ودلالاته

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية
(2018/ /)

،

- عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع 2018

(   ) ص.

ر. ا. : (/ /)

الواصفات: / /

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعتبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية آخرى.

دار غيداء للنشر والتوزيع

تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله
تلفاكس: 5353402 6 962+
ص.ب: 520946 عمان 11152 الأردن
www.darghaidaa.com

مجمع العساف التجاري - الطابق الأول
خلوي: 95667143 7 962+
E-mail: darghidaa@gmail.com
E-mail: info@darghaidaa.com

التكرار التركيبي في القرآن الكريم

أنماطه ودلالاته

الدكتورة

منال صلاح الدين عزيز الصفار

الطبعة الأولى

2020م- 1441هـ



الفهرس

المقدمـة

الحمد لـلـه على ما أسبغ وأفاض من عميم المنّة والفضل، والصلاة والسلام عـلى نبيـه الأمـين، وآله وصحبه الطيبين الطاهرين إلى يوم الدين، أما بَعدُ...

فهل يملك طالب العلم الشريف المتصل بالقرآن الكريم من أية جهةٍ مـن جهاتـه غـير الإيمـان المطلق بأنه كتاب لا تنقضي عجائبـه، كـما جـرى وصـفه في المـأثور عـن السـلف الصـالح ومـن هنـا تنوعت ألوان عناياتهم به من أول حركة التأليف الدائرة حوله، حتى انتهى ذلك إلى احتشـاد مكتبـة جليلة في خدمته، لا يمكن دخول تنوعها في إطار التصور الكامـل والـحصر الـدقيق، وكيـف يـدخل؟! والعقول والأقلام مازالت تعمل بدأب مذهل في الدائرة نفسها، وما ذلك إلاّ من بركـات القـرآن عـلى المتعبدين به، إيماناً بمضمونه، وصيانة لنصه الكريم، ورياضة فكرية وعلمية وجمالية بإعجازه الرفيع المشرف على كل فن سامٍ من التعبير بالعربية، وهو يجري فيها على أصولها الأصـيلة المعروفـة لـدينا في حقول الصرف والنحو والدلالة والبلاغة، فها نحن أولاء ما ننفك عن الاتصال بـه والرجعـة إليـه في أية معالجة نعالجها في العلـوم المـذكورة، ومنهـا المعالجـات الأسـلوبية الجديـدة في الـدرس الجـمالي للعربية، فبعد **"التقابل الدلالي"** في نصّه الكريم موضوعاً لرسالتنا في الماجستير، يجيء بحثنا الجديـد المتعلق به من حيثُ **"التكرار التركيبي"** فيه موضوعاً لرسالتنا في الدكتوراه، بعد مهلة من المراجعات والقراءات الهادية إلى اختيار هذا الموضوع لهذه الرسالة بإشارة مـن أسـتاذنا الـدكتور عبـد الوهـاب محمد علي العدواني- رئيس قسم القرآن الكريم والتربية الإسلامية في كلية التربية بجامعـة الموصـل- فقد أشار أولاً، وشرح التصور ثانياً، ووصف المنهج الواعي لعملنا بين علمي التفسير واللغـة، لتجـيء هذه الرسالة معبرّة عن هذه اللحمة في تحصيلنا إبان هـذه المرحلـة الحـاضرة مـن حياتنـا العلميـة، وهي في تقديرنا، مازالت مرحلة الإرهاصات والبواكير على الرغم مما أنجزناه في العملين، فثمة آفـاق بعيدة يتعين على خادم القرآن الكريم استشرافها في كل حينٍ، وفي كل اتجاهٍ، كيما سيتأهل أن يكـون شيئاً مذكوراً بين المذكورين من خدمة القرآن الكريم.

أما المقصود لدينا بالإشارة إلى ما وَصَفَهُ لنا من المنهج الواعي لعملنا بين اللغة والتفسير فتلك الدلالات الأولى إلى منهج بحث يتسق وطبيعة "**التكرار التركيبي في القرآن الكريم**" انبساطاً وعقادةً وتنوعاً وتداخلاً وبلاغةً وجمالاً وتعبيراً معجزاً عن المقاصد القرآنية مما كانت آياتُ التكرارِ تكتنفُهُ، وتحصر مطالبه وتؤديها على وجوه يعجز الفكر الإنساني الضعيفُ عن استيعابها ولكنه يبقى يتطلع إلى فك أسرارها وحلّ رموزها، وكان لابد لنا في مقاربة ذلك من قراءات جمة في مكتبتي التفسير واللغة متكامليتين متواشجتين، تردنا واحدة منهما إلى الأخرى، كيما نجمع منها أقوال المفسرين وتوجيهات اللغويين والنحاة في كل قضية من القضايا " **التكرار في القرآن** " وهاهنا نجمت لدينا مشكلة التبويب والتفصيل والنسق الداخلي للمعالجات التحليلية التي كنا نستعد لها بالجمع والقراءتين المباشرة والمساعدة في المكتبتين المذكورتين، صيانة لفكرنا وقلمنا من التجديف في ما لا نملك فيه علماً كافياً ولا نحمل في مسالكه مصباحاً هادياً، وكانت مشكلة " المنهج " أشدَّ تجاربنا في إعداد هذه الرسالة وطأة علينا، وإجهاداً لنا ونحن نصفها في هذا المعرض بأنها " تجربة " لأنها كانت كذلك حقاً، إذ لم يكن ثمة مثال يمكن أن نحذو عملنا على غراره، وكل ما كنا نتلقاه من إشارات وتنبيهات في بدايات عملنا كان حثاً على البحث عن منهج خاص نهتدي إليه بوعينا ورؤيتنا لاستيعاب قضايا البحث، ولم يكن ذلك سهلاً البتة، فالموضوع كبير جداً، والحذر منه غالب ومسيطر على فكرنا الضئيل خشية الانزلاق في مالا تحمد عقباه من التوجيه والتأويل، وبخاصة في ما يتصل بآيات العقائد والأحكام، حين تحملنا ضرورات العمل إلى مقاربة نصوصها، والكلام عليها بمقدار الحاجة إليها.

وبعد لأيٍ ومكابدة طويلة في البحث عن الطريق إلى تقسيم يناسب "**التكرار التركيبي** " في مفهومه، وأنواعه القرآنية وتطبيقاته، استقر الرأي على أن تكون هذه الرسالة في تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، وقد وجدنا أنفسنا في شرح "المفهوم" مصدومين بعقادة التحديد الاصطلاحي بين ثلاثة مقاصد للفظ "المتشابه" المتداول في دائرة الدرس القرآني منذ بداياته الأولى، لما لهذا اللفظ من صلة بلفظين آخرين كانا يدوران معه في الدائرة

المذكورة، وهما: (المُتَمَاثِلُ والمُكَرَّرُ) فضلاً عـن التباسـه بــ(الغـامض والملتـبس) في النصـوص القرآنيـة أيضاً، وكان هذا الوضع مبعثنا على الحيطة من اختيار مصطلحه عنوانا لهذه الرسالة، مـع كونـه دالاً ومستوعباً لآيات التكرار في القرآن الكريم، كأن تكـون الرسـالة بعنـوان: "ظـاهرة التشـابه في القـرآن الكريم " بذريعة ما للفظة "التكرار" من إيحاء معنوي وظل دلالي لا يليق في مقاربة القـرآن الكـريم بالدرس والتحليل، ومع كون السلف الصالح قد درسوا "آيات التكـرار" في إطـار مصـطلح "المتشـابه" فقد قدّرنا الاتساق معهم في هذا المنحى غير مناسب لعملنا وغير ملبٍ لمطالبنا البحثيـة الخاصـة في دراسة ظاهرة التكرار في القرآن الكريم، وقد وجدنا لدى بعض القرآنيين المعاصرين حظـوة لمصـطلح " المتماثل " للذريعة المشار إليها في نقـد مصـطلح "التكـرار" أيضـاً، ولكننـا لم نحـدس ماحدسـوه في المفردة المذكورة مما يخدش أدب الدرس القرآني، ولكلٍ وجهةٌ هو موليّها في كـل شيء، وعـلى صـعيد المصطلح قبل كل شيء، مـادام لائـذاً في أي خيـار بالمعرفـة المتحـراة في منطلقاتهـا وآفاقهـا وغاياتهـا، وحين قرّ ليدنا قرار مفردة " التكرار " مصطلحاً ومفهوماً، اتسع المجال لدينا بعد ذلك لدرس تحـليلي شامل لأنواع ظاهرته، كما رصدناها في النص القرآني، وقد بـدت لنـا ثلاثـة، كـان لنـا اجتهـاد هـاديء ومحرر في تلقيبها بمصطلحاتها الثلاثة: (**المحض/ والمؤتشـب / والجـامع**)، كـلٌّ في صـدر فصـولنا مـن فصولنا الثلاثة، وعنينا بالتكرار المحض ما كان متطابقـا وخالصـاً وسـليماً مـن أي تغيـير في مكوناتـه اللغوية ألفاظاً ومواضع وتراكيب لدى المقابلة بين آيتيـه التكـرار أو آياتـه، وبالمؤتشـب: مـا توزعـت أمثلته بين تغاير التعريف والتنكير، أو الزيادة والحذف، أو التقديم والتأخير، وبالجامع: مـا كـان جامعاً لهذه الظواهر بأعداد وهيئات مختلفة في نصوص آياته، حتى اننا قد وصـفناه في مواضـع من المواضع بأنه (ملقى الظاهر)، ليكون هـذا المصـطلح صـادق التعبـير عـن الحالـة التـي كنـا نواجه فيها- نعنـي: في آياتهـا التكراريـة- ماعـددناه في سـياقاته القرآنيـة " اسـتبدالا " بـأزواج أو ثلاثيات أو رباعيات من ملتقيات ظواهر مختلفة، كالافراد والجمع والاظهار والاضمار، فضلاً عـن الحذف والزيادة، والتقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، مما حاولنا حصره في مواضعه بعنوانات جامعـة دالـة عليـه بـالنظر والاجتهـاد، كـل هـذا قبـل انّ يـؤول عملنـا الى خاتمـة غـير طويلـة،

حرصنا فيها على استلال بعض النتائج من جملة عملنا لتسجيلها بما لا يثقل على القارئ، ولا يشعره بغلوائنا في تقدير ما نجزناه، وحسبنا التصريح هنا بأننا قد عالجنا موضوعاً قديماً حديثاً في الوقت نفسه، أما كونه: " قديماً " ففي معالجات جمهرة من الأفذاذ القدماء له في مؤلفات خاصة ونذكر منهم في هذا المقام الاسكافي (ت 420 هـ) في كتابه: "درة التنزيل" والكرماني (ت 505) في كتابه المنشور بآخر بعنوان: " أسرار التكرار في القرآن " عوضاً عن أصل عنوانه: "البرهان في متشابه القرآن.. "بدعة وتجديداً في التحقيق والنشر، والغرناطي (ت708) في كتابه: "ملاك التأويل"، والزركشي (ت 794) في كتابه: " البرهان في علوم القرآن. وأما كونه "حديثاً " ففي ما حاولناه من إرجاع البصر في " آيات التكرار" رصيدا ونسقاً في مسار كثيرة، كل منها لغرض دعينا إليه في موضعه، وقد تضمنت مساردنا أسماء السور وأرقام الآيات المكررات المتقابلات، ووصف الظواهر اللغوية الشاخصة فيها، قبل أن نلجأ في الدرس إلى منتقيات من الآيات، تدل بالواحدة منها في الدرس على أشباهها ونظائرها المذكورات في المسرد الخاص الذي تتعلق به، وقد كان هذا المنحى في العمل لازماً وضرورياً ومعيناً على التكثيف والاختصار وتحقيق التصورات الكلية المطلوبة في العمل.

وبعد..وإذا كان لنا أن نذكر- قبل رفع الأقلام وطي الصفحات شيئاً من الجهد في تحرير هذه الرسالة، فكل الجهد هيّن في حلاوة خدمة القرآن الكريم، ونحن نحرر هذه السطور، فلا ذكرى لدينا البتة لأية مرارة من المرارات، ولا لأية صعوبة من الصعوبات، وحسبنا أن نقول في هذا المقام: هذا ما كان منا في هذه الرسالة، طلباً للعلم، ومشاركة فيه، والتماساً للأجر به- إن شاء الله، لنا فيه بمنّه- تعالى- حظ المجتهد إن صواباً، وإن خطأ، وتبقى كلمة لن تطول في الشكر والتقدير، وجمال معناها عندنا في لطف إشارتها إلى فضل كل ذي فضل علينا في أية مرحلة من مراحل عملنا كأن يكون إرشاداً، أو تعليماً أو إعارة لكتاب، أو هداية إليه، وما شاكل... فضروب الفضل كثيرة نومئ بها إلى أصحابها، ولا نصرّح بأسمائهم، لنترك قضاء التوقع بيننا مفتوحا، ونختم هذا الكلام بالدعاء المخلص الطيب لأستاذنا الدكتور عبد الوهاب محمد علي العدواني، فالدعاء لديه

أجدى من كل كلمات الشكر زاده الله تمكيناً، وأسبغ عليه من أفضال العفو والعافية وصفاء الذهن ونقاء النفس ما يؤنسه، ويقرّ به عيناً، إنه نعم المولى ونعم النصير.

الدكتورة

منال صلاح الدين عزيز الصفار

المدخل

من مفهوم التكرار إلى ظاهرته في القرآن الكريم

مهاد نظري نقدي

من المتوقع أن يقال في هذا المقام: إن "التكرار": "تَفْعال" من الكرّ، وهو إعادة فعل الشيء مرة بعد أخرى، وهو في الكلام [*]: ترداده[1]، أو ترداد مكوناته ألفاظاً وتراكيب، والتاء المفتوحة في صيغته- كما قال اللغويون- للتكثير والمبالغة[2].

وأصل الصيغة: "التكرير" عند الكوفيين بعد قلب ياء "التفعيل" ألفا[3]، وأصلها "التفعال" عند سيبويه (ت180هـ)[4] ولا خلاف في مفهوميهما، لأنهما في حقيقة الأمر مفهوم واحد، وقد حظي هذا المفهوم وتطبيقاته بعناية واسعة من الدارسين في القديم والحديث ومن لدن سيبويه نفسه، فقد عد "التكرار" ضربا من ضروب التوكيد[5]، ومثله فعل الفراء (ت207)[6]، بيد أنه أشار إلى إفادته معنى: التغليظ والتخويف في عدد من السياقات القرآنية[7]، ولكونه بطبيعة وضعه ظاهرة سياقية وليدة النحو في العبارة، والبلاغة في

---

* سنستعمل رمز (= :) بمعنى: ينظر، أو: يراجع: في كل هوامشنا، فلزم التنبيه، وسنشير إلى كتب التفسير المشهورة بأسماء مؤلفيها أو ألقابهم أو نسبهم، كأن نقول: الرازي/ الزمخشري/ الطبري- اختصاراً، فلزم التنبيه أيضا.

(1) =: مادته في لسان العرب: 6/ 450.

(2) الكتاب: 4/ 84، و=: شرح شافية ابن الحاجب: 1/ 167، والمنزع البديع في تجنيس أساليب البديع: 476.

(3) شرح الشافية: 1/ 667.

(4) الكتاب: 4/ 84.

(5) م. ن: 3/ 508.

(6) معاني القرآن: 1/ 177، 178، 2/ 235.

(7) م. ن: 3/ 287، 288.

المطلب[1] فقد ألمح الجاحظ (ت255) إلى وظيفته في الإفهام، وأشار إشارة خاطفة إلى تكرار قصص الأنبياء في القرآن، واستعمل مصطلحي (الترداد/ الإعادة) بمعنى التكرار نفسه[2]، وقد عقد ابن قتيبة (ت276) فصلا خاصا به، قال فيه: "ومن مذاهبهم [يعني: العرب]: التكرار، إرادة التوكيد والإفهام"[3]، وقد عرض عددا من التكرارات في آي القرآن الكريم، مبينا دلالات ذلك وفوائده، وذاكرا تعليلاته ومقاصده الدينية بإيجاز[4]، وذكر ابن فارس (ت395) أن سُنّةَ "التكرير والإعادة: إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر"[5]، ولكون مصطلح "التكرار" مرتبطا ارتباطا وثيقا بالمباحث البلاغية المتصلة بالإعجاز القرآني[6]، فقد أدرجه الباقلاني (ت 403) في "فن البديع"[7]، وأشار إلى أنه "من عادة العرب، ليفهم عنها، ولتبلغ إلى مرادها"[8]، ولم يخل كلامه عليه من الأمثلة الدالة على حقيقته وفوائده.

أما ضياء الدين بن الأثير (ت 637) فقد وضعه في دائرة " علم البيان " ووصفه بدقة المأخذ[9]، وجعله قسمين:

- تكرار اللفظ والمعنى.
- تكرار المعنى دون اللفظ.

---

(1) =: أثر النحاة في البحث البلاغي: 140.

(2) البيان والتبيين: 1/ 104، 105، 106، و=: صميم كريم الياس، رسالته للماجستير: التكرار اللفظي أنواعه ودلالاته: 21.

(3) تأويل مشكل القرآن: 235.

(4) م. ن: 235- 240.

(5) الصاحبي في فقه اللغة وعلم العربية: 341.

(6) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن- تعليقات التحقيق: 161.

(7) إعجاز القرآن: 106.

(8) نكت الانتصار لنقل القرآن: 212.

(9) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: 2/ 157- 183.

وألمح إلى أن كلا منهما مفيد أو غير مفيد. والمفيد منه ما أتى في الكلام تأكيدا له وتشييدا من أمره، وغير المفيد ما أتى فيه عيّا وخطلا من غير حاجة إليه، ثم مضى يعرض أمثلة هذين النوعين من كلام العرب[1]، وحذا حذوه يحيى بن حمزة العلوي (ت 749) في التقسيم والتمثيل، مستهلا كلامه بأن التكرار من " التأكيد "[2]، وقد وجدنا المتأخرين وشرّاح المصطلحات يعنون عناية ملحوظة بتحديد الدلالة الاصطلاحية للفظه، من ذلك- مثلا- تعريف السجلماسي (ت: بعد 600) له بأنه: " إعادة اللفظ الواحد بالعدد أو بالنوع أو المعنى الواحد بالعدد أو بالنوع في القول مرتين فصاعدا، وهو أسم لمعمول يشابه به شيء شيئا في جوهره المشترك لهما " [3]. ومن لطائفه في دراسته إطلاقه مصطلح " المشاكلة " على التكرار اللفظي، ومصطلح " المناسبة " على التكرار المعنوي [4].

وما نظن قول السيد الشريف الجرجاني (ت 816): "إنه عبارة عن الإتيان بشيء مرة بعد أخرى "[5] متضمنا أية إضافة معرفية تضيء مفهوم هذا المصطلح، وعذره أنه قد مال في تعريفاته إلى الاختصار والتكثيف، لكثرتها وتنوعها الشامل لميادين العلوم الإسلامية التي عني بها، واشتغل بها، وما كان من دأبه تقديم الشروح والأمثلة والإيضاحات المفصلة في الكتابة عن أي مصطلح من مصطلحاته، كما كان ذلك من دأب الكفوي (ت1094)، فقد قال: " إنه تكرار اللفظ، أما بمرادفه، نحو: {**ضيقا حرجا**}[6]، وأما بلفظه، ويكون في الأسم، نحو: {**دكا دكا**} [7]، وفي الفعل، نحو: {**فمهل الكافرين أمهلهم**

---

(1) م. ن: 2/ 157، 158- 183.

(2) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة: 2/ 176- 190.

(3) المنزع البديع: 476.

(4) م. ن: 476- أيضا.

(5) التعريفات: 41.

(6) الأنعام- آ: 125.

(7) الفجر- آ: 21.

رويدا}[1]، وفي الحرف، نحو: {**ففي الجنة خالدين فيها}**[2]، وفي الجملة، نحو: {**فإن مع العسر يسرا* إن مع العسر يسرا}**[3]، وهو عنده أبلغ من التأكيد، وفائدته: التقرير، فالكلام- كما قال " إذا تكرر تقرر "[4].

وهذا التنويع الذي وضعه الكفوي نصب أعيننا مفض بنا إلى قطع القول بأنّ ظاهرة "التكرار"- كما أسلفنا- وليدة النحو في العبارة، والبلاغة في المطلب، لأنها ظاهرة سياقية[5] أسلوبية ما نجمت عبثا في الكلام العربي، وفي أي كلام آخر بأية لغة من اللغات، لأن من طبيعة البشر في توظيف لغاتهم الجري على عادات متشابهات، فمن الفاسد أن يتصور المتصور أنّ العربي وحده هو الذي كرّر أو يكرّر في كلامه، وكأنّ الآخر ليس من عادته أن يفعل ذلك بمقتضى بلاغته في الأداء بلغته الخاصة، وهي بلاغة معبرة عن جماليات تلك اللغة بالضرورة، ونحن في إطار ما نتجه إليه من دراسة الظاهرة في القرآن الكريم لا نرى قضيتها فيه من غير هذه الزاوية، وسنراها من أبرز صور التناسق الجمالي في النص القرآني حين نقف على أمثلتها، ونحلل معارضها في سياقاتها، فقد عدت- مثلا- في معارض القصص القرآني من أمارات الإعجاز وإلهية النص- إن صَحَّ الوصفُ، " لأن كلام المخلوقين مهما أُوتوا من قوة البلاغة وسحر البيان إذا تكرر حصل مع تكراره هجمة في اللفظ، وملت الآذان سماعه، وأغلقت القلوب أبوابها دونه، أما القرآن الكريم فكلما تكرر ازداد حلاوة في الأسماع وتأثيرا في القلوب فباين بذلك

---

(1) الطارق- آ: 17.

(2) هود- آ: 108.

(3) الشرح- آ: 5، 6.

(4) الكليات: 2/ 30.

(5) =: ص: 2، آنفا.

كلام المخلوقين "[1]، وسر إشارتنا الخاطفة- هنا- إلى معارض التكرار في القصة القرآنية ناجم عن كـون القصة القرآنية قد اتسعت أكثر من غيرها من المضامين القرآنية لظاهرة التكرار تكرارا للعبرة منها[2]، فهي في كل مرة من المرات تشتمل على معان غير المعاني التي اشتملت عليهـا في معارضـها الأخـرى، وتتجه إلى هدف غير الهدف الذي اتجهت إليه فيها بأسلوبها أو بجزء منه، أو بطريقة الأداء فيهـا[3]. فليس ثمة تكرار مطلق في القصص القـرآني، فكـل الـذي حـدث تكـرار نسـبي وظـرفي، دعـا إليـه المطلب الإلهي في موضعه، ومازه الأسلوب الجديد، والسياق الذي اكتنفه، وهما في الملحوظ غـير الأسـلوب، وغـير السـياق الجـاريين في الموضـع الآخـر مـن القـرآن[4]، ومـن أجـل هـذا قـال أحـد الدارسين: إنّ " السياق هو الذي يحدد القدر الذي يعرض منها [يعنـي: مـن القصـة القرآنيـة] في كل موطن، كما يحدد طريقة العرض والأداء بما يحقـق التناسـق والجـمال الفنـي"[5]، ومـن شـأن السياق مصاحبته اللفظ ومساعدته على توضيح معناه، كما قال محمد أحمد أبو الفرج[6]، وأراد: استيعابه الألفاظ بحسب الأنظمـة التعبيريـة التـي تتـألف منهـا النصـوص، واسـتحالة النصـوص بعد ذلك مكونـات للسـياقات التـي يـتم تكوينهـا وتحويلهـا وتعـديلها بشـكل دائـم بالنصـوص

(1) أسرار التكرار في لغة القرآن: 83، لمحمود السيد شبخون، وهو غير كتاب الكرماني: أسرار التكرار في القرآن، فلزم التنبيه.

(2) التصوير الفني في القرآن: 128، و =: إعجاز القرآن البياني بـين النظريـة والتطبيـق: 306، أسرار التكـرار في لغـة القرآن: 82.

(3) بحوث في قصص القرآن: 181.

(4) التعبير الفني في القرآن: 220.

(5) التهامي نقرة- سيكولوجية القصة في القرآن: 139.

(6) المعاجم العربية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث 116، و =: كاصد الزيدي- بحثه: الدلالة في البنية العربية بين السياق اللفظي والسياق الحالي، مجلة آداب الرافدين، مج 26، الموصل 1994: 114.

التي يستخدمها المتحدثون والكتاب في مواقف معينة[1]، فالسياق يشمل- فضلا عن الكلمات والجملة الحقيقية السابقة واللاحقة- كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات وعناصر غير لغوية، تتعلق بالمقام الذي تنطق فيه، وهذه العوامل مجتمعة ذات تأثير مباشر على المعنى[2] في ذهن المتلقي وضوحاً وخفاءاً، قرباً وبعداً، ومن أجل هذا جرى تقسيم السياق إلى: لفظي (Verabal Context)، و- حالي (Situational Context).

وقد عرف "السياق اللفظي" بأنه: "النظم اللفظي للكلمة وموقعها منه "[3]، والنظم هو النسق الكلامي الذي ترتبط فيه الكلمات بعلاقاتها بما قبلها وما بعدها[4]، ثم تقرر طبيعة التركيب الذي تندرج فيه الكلمات قيمة المعنى المراد الذي لا يكفي في تحديده أي تفسير معجم مجرد لكلماته[5] فمن الكلمات مالا يتضح معناه على نحو تام بمعزل عن مجاوراته المتصلة به في سياقه[6] بما تلقيه عليه من الظلال المعنوية التي لا يمكن تفسيرها باستشارة المعجم وحده[7]، فالسياق هو الذي يخلّص الكلمة- كما قال فندريس- من الركام الدلالي الذي تستدعيه الذاكرة، ويخلق لها قيمة حضورية[8] إبان السماع أو القراءة، وهذه القيمة هي المعنى الذي تدل عليه الكلمة في سياق معين دون آخر[9]، ويصفو لنا من هذا أنّ لكل كلمة معنى أساسياً ومعنى سياقياً، ولا تمثل الدلالة المعجمية للمفردة الواحدة إلاّ

---

(1) اللغة والمعنى والسياق: 215.

(2) دور الكلمة في اللغة: 55.

(3) م. ن: 54.

(4) مناهج البحث في اللغة: 233.

(5) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: 185.

(6) اللغة والمعنى والسياق: 83، و =: الدلالة في البنية العربية...: مجلة آداب الرافدين، مج 26: 114.

(7) علم اللغة- الأصوات: 2/ 255- 256.

(8) اللغة: 43.

(9) منهج البحث اللغوي عند العرب: 94.

جانباً واحداً محدوداً من دلالاتها السياقية لاقتصارها في العادة على ما تمثله تلكم المفردة خارج النص، وفي حقل الخبرة العامة التي لا تحدد لنا تحديدا واضحا: كيف يجري استعمال المفردة نفسها في التراكيب اللغوية المختلفة استعمالات صحيحة ومعبرة[1]، ولا يخفى التركيز هنا على "ثنائية الصحة والتعبير" عما هو أوسع من دلالات الألفاظ في المعجم، مما يدخل لدى دارسي "أصول التعبير" في إطار التقويم الفني للكلمات في السياقات التي تنتزعها من مناجمها المعجمية، فلا تبقى الواحدة منها بعدئذ مادة أولية لا قيمة لها بذاتها[2]، وقد أجاد عبد القاهر الجرجاني (ت 471، أو 474) التعبير عن هذه الفكرة بقوله: "إن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها"[3] وهو يشرح نظريته الكبيرة التي اشتهرت لدى المعنيين بتاريخ البلاغة العربية والفكر اللغوي عند العرب بـ "نظرية النظم".

أما "سياق الحال" فقد عرّفوه بأنّه: "مجموعة العوامل والظروف والملابسات التي تصاحب النص، وتحيط به عند النطق به أو كتابته"[4]، فالنص الذي يفيد معنى من المعاني في سياق معين لا يفيد المعنى نفسه في سياق آخر. وهذا هو ما جرى لأسلوب الاستفهام الذي تحول- مثلا- في بعض السياقات إلى أسلوب تعجب في العربية[5]، في أطر من العوامل والظروف والملابسات التي صاحبته لحظة إنشائه شفويا أو كتابيا، ونحن في ما نستقبل دراسته من بؤر "ظاهرة التكرار في القرآن الكريم" لا نملك التجرد من ملاحظة

---

(1) التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن: 74.

(2) م. ن: 69، و =: التصور اللغوي عند الأصوليين: 113.

(3) دلائل الإعجاز: 46.

(4) علم اللغة- مقدمة للقاريء العربي: 288، و =: الدلالة في البنية العربية..، مجلة آداب الرافدين، مج 26: 125.

(5) السياق في الفكر اللغوي عند العرب- بحث: صاحب ابو جناح، مجلة الأقلام، ع 403، س 27، بغداد 1992: 119.

أوضاع السياقات التي وقعت فيها أمثلة الظاهرة المذكورة لفظيا وحاليا، فبخلاف هذه الملاحظة سيكون الدرس خاليا من مقومات الفهم الصحيح لأصل مهم من أصول علم التفسير، فوضوح مبدأ "وحدة النص" عند العلماء العرب يجد تعبيره الصريح في اشتراطهم استحضار النص القرآني كله عند تفسير بعضه[1]" فمن أراد تفسير الكتاب العزيز- كما قال ابن تيمية (ت 728)- طلبه أولا من القرآن، فما أجمل منه في مكان فقد فصل في موضع آخر، وما أختصر في مكان. فقد بسط في موضع آخر "[2] فللآيات التي تفسر بها آيات آخر صور وأنماط أسلوبيه متعددة، فقد تكون متصلة بها، إما متقدمة عليها، أو متأخرة عنها، وقد تكون منفصلة عنها بفاصل من الآيات، وهي في السورة نفسها، أو تكون في سورة أخرى[3]، ومؤدّى هذا كله: أن المقارنات السياقية تدعو الكاتب في النص القرآني إلى ملاحظة ما تكرر من وحداته التعبيرية، ونقول: " الوحدات التعبيرية"، لأننا لن ننشغل في درسنا الخاص بتكرار الألفاظ في القرآن الكريم، فذا مجال آخر لا نَروُدُه، ولا نتجه إليه في هذه الدراسة إلا في معارض السياقات.

وبعد.. فقد سلفت قبلنا مكتبة تراثية عنيت برصد "ظاهرة التكرار" في القرآن، اتصلت بها جهود معاصرة لم نغفل عنها، بيد أننا وقعنا بين التراث والمعاصرة في مشكلة اصطلاحية ارتدت بنا في هذا المهاد النظري إلى إعادة النظر في مفهوم "التكرار" والمضاء في مقاربته بالتحليل النقدي الشامل الذي بدأنا به، ومن مشكلات هذا التحليل ما وجدنا أنفسنا فيه حيال مصطلح " المتشابه " الذي نصطدم به دائما في " الدراسات التكرارية " مرادا به جوهر " ظاهرة التكرار " نفسها، وسنضع أمام نظر القاريء في هذا المقام نصين جامعين،

---

(1) م. ن: 117.

(2) مقدمة في أصول التفسير: 93، و =: البرهان في علوم القرآن: 2/ 175، والإتقان في علوم القرآن: 3/ 200.

(3) تفسير القرآن بالقرآن- نشأته وتطوره حتى عصر الجلالين- بحث: كاصد الزيدي- مجلة آداب الرافدين، مج 12، الموصل 1980: 288.

سيساعدان كثيرا في تشخيص أصول المشكلة التي نحن بصددها في التراث القرآني، فقد قال الزركشي (ت794) في كلامه على " المتشابه": "وقد صنف فيه [ابن] جماعة، ونظمه السخاوي، وصنف في توجيهه الكرماني كتاب: (البرهان)، والرازي كتاب: (درة التأويل)، وأبو جعفر بن الزبير، وهو ابسطها في مجلدين "[1].

وقال السيوطي (ت 911) في " باب الآيات المشتبهات " من كتابه: " الإتقان في علوم القرآن ": " أفرده بالتصنيف خلق أولهم في ما أحسب الكسائي، ونظمه السخاوي، وألف في توجيهه الكرماني كتاب (البرهان في متشابه القرآن)، وأحسن منه: (درة التنزيل وغرّة التأويل) لأبي عبد الله الرازي، وأحسن من هذا: (ملاك التأويل) لأبي جعفر بن الزبير، ولم أقف عليه، وللقاضي بدر الدين ابن جماعة في ذلك كتاب لطيف سماه: (كشف المعاني عن متشابه المثاني)، وفي كتابي: (أسرار التنزيل) المسمى: (قطف الأزهار في كشف الأسرار) من ذلك الجهم الغنير "[2].

إن هذين النصين يفجران- كما لا يخفى- مشكلة جسيمة في معرض البحث التاريخي والفني عن معطيات العلماء في دراسة " ظاهرة التكرار " في القرآن الكريم امتدادا من التراث إلى المعاصرة، وأصل هذه المشكلة راجع إلى إشارة الرجلين إلى كتاب: (البرهان...) للكرماني، وإلى بؤرة مصطلح " المتشابه " في عنوان الكتاب المذكور، فضلا عن مجيء نص السيوطي في جملة ما حرره عما سماه: "باب الآيات المشتبهات" في كتاب: (الإتقان)، وتنجم المشكلة حين نجد محققا معاصرا يعنى بكتاب الكرماني، فيخرجه للناس بعنوان مبتدع، يصبح من ثم لصيقا به، فقد سماه: (أسرار التكرار في القرآن) مفارقا في هذه التسمية كل الأصول المقررة في تحقيق النصوص، وهي لا تجيز للمحقق أية رخصة في إشهار أي عنوان جديد للكتاب الذي يحققه مع وجود الإشارة الصريحة إلى العنوان

(1) البرهان 1/ 112، وما بين العضادتين زيادة يقتضيها النص على المنهج المعروف في تحقيق النصوص.
(2) الإتقان: 3/ 339.

القديم المأثور لذلك الكتاب، فقد قال الكرماني نفسه في مقدمة كتابه: " فإن هذا كتاب أذكر فيه الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن، وألفاظها متفقة، ولكن وقع في بعضها زيادة، أو نقصان، أو تقديم، أو تأخير، أو إبدال حرف مكان حرف، أو غير ذلك مما يوجب اختلافاً بين الآيتين، أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان..[1]، وسميت هذا الكتاب: البرهان في متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان"[2]، بيد أنّ المحقق الفاضل عبدالقادر احمد عطا قد آثر الاجتهاد في تغيير العنوان، ولكنه لم يوضح وجهة نظره صراحة في المبحث الذي عقده بعنوان: "قيمة الكتاب" لبيان هذه القيمة، وقال في موضع آخر: " ذكر السيوطي كتاب: (البرهان) في كتابه: (الإتقان)، كما أن احد العلماء المتأخرين، وهو علي بن عطية الأجهوري المصري وقع على الكتاب، فاستنبطه في كتابه: (إرشاد الرحمن في أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمتشابه وتجويد القرآن)،... وقد ذكره أحد علماء الحنابلة الذين عاشوا في مصر، وهو مرعي بن يوسف الحنبلي...، وذلك في كتابه المخطوط: (تنوير بصائر المقلدين بمناقب الأئمة المجتهدين)، فالكتاب معروف إذن بين العلماء القدامى، ولكنه لم يتداول في عصرنا، ولم تنهض إليه يد لإخراجه لسبب واحد فيما نرى، هو العنوان الذي اختاره للكتاب، إذ سماه: (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان)، فأغمض المشتغلون بالنشر عنه عيونهم، إذ ظنوه في المتشابه، بمعنى: الموهم، أو: الغامض، ولم يفطنوا إلى أنه في المتشابه، بمعنى: المتماثل، وهو مكررات القرآن، كما أوضح مؤلفه في مقدمته "[3].

إن هذا النص- كما نقلناه- يضيء لنا وجه الاجتهاد الصائب الذي قام به المحقق في تقديم تعريف لفظي- كما يقول المناطقة- لمصطلح: " المتشابه " الوارد في أصل عنوان الكتاب بمفرده: "التكرار"، ولكنه يعيد تفجير المشكلة التاريخية والفنية التي ألمحنا إليها في أول

---

(1) أسرار التكرار في القرآن: 17.

(2) م. ن: 19.

(3) م. ن، مقدمة التحقيق: 13.

هذا الكلام[1] بطريقة أخرى مختلفة عن طريقة الـزركشي والسـيوطي في تفجيرهـا، وهـذا الاخـتلاف سيحملنا في ما نستقبل على اتخاذ موقف تفصيلي من جمهرة كبيرة من المؤلفات القديمة والحديثـة، ضمت عنوانات أكثرها مصطلح: "المتشابه" دون مصطلح: "المكرر"، وسنوطيء لهذه المعالجـة بمسرد يضم أسماء مؤلفيها منسوقين على ترتيب السنوات المعروفة لوفيات البعض منهم قبل الآخرين مـع ذكر المعلومات المتاحة لدينا عن الكافة مأخوذة في الأعم الأغلب من كشافي ابتسام مرهون الصـفار، وعلي شواخ إسحاق للدراسات والمصنفات القرآنية، كيما نتهيأ من ثم لتقديم توجيه نقـدي لحقيقـة المشـكلة الاصـطلاحية التـي نواجهها بـين المصـطلحين المـذكورين لدراسـتنا، وسـنختصر الإشـارة إلى "الكشافين" في جدولنا بطريقتي: (الصفار- معجم، أو: شواخ- معجم)، والمراد لدينا: (إبتسام مرهـون الصفار: معجم مصنفات القرآن الكريم[2]، وعلي شواخ إسحاق: معجم الدراسات القرآنية)[3]:

---

(1) =: ص 8، آنفا.

(2) الموصل- 1984.

(3) الرياض- 1984.

المؤلف	العنوان	ت	المعلومات المعروفة لدينا عنه	
مقاتل بن سليمان البلخي (ت 150 هـ)	متشابه القرآن	1	مخطوط	الصفار- معجم: 611، شواخ- معجم: 203/2.
نافع بن عبدالرحمن (ت 169)	متشابه القرآن	2	مخطوط	الصفار- معجم: 611.
علي بن حمزة الكسائي (ت 187)	متشابه القرآن	3	مطبوع	الصفار- معجم: 611، شواخ- معجم: 204/2، وكان السيوطي قد ذكره في: الاتقان: 339/3، حققه صبيح التميمي، ونشره في طرابلس سنة 1964م[1].
محمد بن المستنير المعروف بقطرب (ت 206)	الرد على الملحدين في متشابه القرآن	4	مخطوط	الصفار- معجم: 608.
بشر بن المعتمر (ت 210)	متشابه القرآن	5	مخطوط	الصفار- معجم: 610.
محمد بن مهران القطيعي (ت 235)	متشابه القرآن	6	مخطوط	الصفار- معجم: 611.
محمد بن الهذيل بن عبدالـلـه العلاف (ت235)	متشابه القرآن	7	مخطوط	الصفار- معجم: 610.
جعفر بن حرب المعتزلي (ت 236)	متشابه القرآن	8	مخطوط	الصفار- معجم: 610.
أحمد بن محمد بن حنبل (ت 241)	بيان ما ضلت به الزنادقة في متشابه القرآن	9	مخطوط	الصفار- معجم: 607.
عبدالـلـه بن مسلم بن قتيبة (ت 276)	المتشابه في الحديث والقرآن	10	مخطوط	الصفار- معجم: 61.
محمد بن عبدالوهاب الجباني (ت303)	متشابه القرآن	11	مخطوط	الصفار- معجم: 610.

(1) =: محمد حسين آل ياسين- بحثه: كتاب متشابه القرآن للكسائي، مجلة دراسات للأجيال، س1، ع4، بغداد 1981: 123.

المؤلف	العنوان	ت	المعلومات المعروفة لدينا عنه	
حسن بن موسى النوبختي (ت 310)	التنزيه وذكر متشابه القرآن	12	مخطوط	شواخ- معجم: 2 / 201.
احمد بن جعفر بن أبي داود المنادي (ت 336)	متشابه القرآن العظيم	13	مطبوع	الصفار- معجم: 611، شواخ- معجم: 204/2، حققه عبدالـلـه بن محمد الغنيما، ونشره في: السعودية سنة 1988.
محمد بن الحسين بن موسى الشريف الرضي (ت 406)	المتشابه في القرآن	14	مخطوط	شواخ- معجم: 2 /204.
	حقائق التأويل في متشابه التنزيل	15	مطبوع	الصفار- معجم: 603، طبع في النجف سنة 1936، ولا علاقة له بالكتاب المذكور قبله.
محمد بن الحسن بن تورك (ت 406)	حل الآيات المتشابهات	16	مخطوط	شواخ- معجم: 2 / 199.
عبدالجبار بن أحمد الهمذاني (ت 415)	متشابه القرآن	17	مطبوع	الصفار- معجم :603، شواخ- معجم: 203/2، حققه عدنان محمد زرزور، ونشره في القاهرة سنة: 1969 م.
محمد بن عبدالـلـه الخطيب الاسكافي (ت 420)	درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الـلـه العزيز	18	مطبوع	شواخ- معجم: 2 /200، وقد نشر في بيروت سنة 1977 م، مجردا من أسم المحقق.
الحسين بن محمد بن الفضل الراغب الأصفهاني	حل متشابهات القرآن	19	مخطوط	شواخ- معجم: 2 / 199.
(ت 502)	رسالة في التشابه	20	مخطوط	الصفار- معجم: 609.

المؤلف	العنوان	ت	المعلومات المعروفة لدينا عنه	
محمد بن حمزة بن نصر الكرماني (ت 505)	البرهان في متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان	21	مطبوع	الصفار- معجم: 601، شواخ- معجم: 195/2، وكان الزركشي قد ذكره في البرهان:112/1، والسيوطي في الاتقان: 339/3، أولهما- كما أسلفنا [1]- بمطلع عنوانه: (البرهان)، وثانيهما (بعنوانه كاملا، حققه عبدالقادر أحمد عطا- كما أسلفنا أيضا- ونشره في تونس سنة 1983، بعنوان :أسرار التكرار في القرآن[2].
ابن شهر اشوب (588)	تأويل متشابهات القرآن	22	مخطوط	شواخ- معجم: 196/2.
	مجالس في المتشابه من الآيات القرآنية	23	مخطوط	الصفار- معجم: 611، شواخ- معجم: 205/2.
عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597)	تذكرة المنتبه في عيون المشتبه	24	مخطوط	الصفار- معجم: 607.
	من المتشابه	25	مطبوع	باب من كتابه فنون الافنان في عجائب علوم القرآن، تحقيق رشيد عبدالرحمن العبيدي، نشر في بغداد سنة 1988 ص 223ـ307.
محمد بن عمر بن حسن بن	رسالة في معاني المتشابهات	26	مخطوط	الصفار- معجم: 609.
الحسين التيمي الرازي (ت 606)	درة التنزيل وغرة التأويل	27	مطبوع	الصفار- معجم: 608، وكان الزركشي قد ذكره في البرهان :112/1، والسيوطي في: الاتقان: 339/3، وصرح محقق كتاب الكرماني بذكره، وأشار إلى أنه مطبوع في مصر[3]، بيد أننا لم نقف عليه، وربما كان عنوانه المذكور المطابق لعنوان كتاب الخطيب

(1) =: ص 8، آنفا.

(2) =: ص 8، أنفا.

(3) أسرار التكرار في القرآن- مقدمة التحقيق: 14.

المؤلف	العنوان	ت	المعلومات المعروفة لدينا عنه	
				الاسكافي المذكور آنفا هو الذي حمل كثيرا من الناس على الاعتقاد بأن كتاب الخطيب من تأليف الرازي.
أحمد بن يزيد بن عبدالرحمن بن بتي بن مخلد الأموي (ت 625)	الآيات المتشابهات	28	مخطوط	شواخ- معجم: 2 / 194.
عيسى بن عبدالعزيز بن عبدالواحد اللخمي (ت 629)	بيان مشتبه القرآن	29	مخطوط	شواخ- معجم: 2 / 196.
عبدالـلـه بن عبدالرحمن بن محمد الانصاري النحوي (ت 634)	ري الظمآن في متشابه القرآن	30	مخطوط	شواخ- معجم: 2 / 200.
محيي الدين بن عربي (ت 638)	" معاني الآيات المتشابهات إلى معاني الآيات المحكمات "	31	مطبوع	الصفار- معجم: 602، نشر في بيروت سنة 1900م، مجرد من أسم المحقق.
علي بن محمد السخاوي (ت 643)	هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في معرفة متشابهات كلام رب الأرباب.	32	مطبوع	الصفار- معجم: 613، شواخ- معجم: 204/2، وذكره بعنوان: (متشابهات الكتاب)، وكان الزركشي قد ذكره في البرهان: 1 /112، والسيوطي في الاتقان: 339/3، وذكرا أنه منظوم، ونفيد بأنه منشور نشرة غفلا من أية إشارة إلى مكان الطبع وزمانه.
أحمد بن ابراهيم بن الزبير الغرناطي (ت708)	ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل.	33	مطبوع	الصفار- معجم: 603، 612، وقد ذكر في الموضع الأول بعنوان: (المتشابه في آي التنزيل) مع الإشارة إلى أنه مطبوع بتحقيق سعيد الفلاح، ومنشور في بيروت سنة 1983، وذكر في الموضع الثاني بعنوان: (ملاك التأويل القاطع بدوي الإلحاد والتعطيل في توحيد المتشابه من آي التنزيل) مخطوطا، والفرق كبير من العنوانين كما لا يخفى، وكان سعيد الفلاح قد نشر

المؤلف	العنوان	ت	المعلومات المعروفة لدينا عنه	
				الكتاب حقا بالعنوان الذي اثبتناه في العمود الثاني من هذا الجدول[1].
احمد بن عبدالحليم أبن تيمة (ت 728)	الأكليل في المتشابه والتأويل	34	مطبوع	الصفار- معجم: 601، شواخ- معجم: 2 /194، نشر في القاهرة سنة 1394هـ
محمد بن ابراهيم بن جماعة (ت 733)	كشف المعاني في المتشابه والمثاني	35	مطبوع	الصفار- معجم 604، 609، شواخ- معجم 203/2، وكان الزركشي قد قال في البرهان: 112/1 " وقد صنف فيه- يعني في المتشابه- جماعة " وأراد- كما أسلفنا-: [ابن] جماعة[2]، وذكره السيوطي في الاتقان:339/3، حققه عبدالوهاب المشهداني، ونشره، ولكننا لم نوفق في الوصول إليه [3].
شهاب الدين الخوئي (ت 737)	كشف المعاني عن متشابه المثاني	36	مخطوط	الصفار- معجم: 609.
محمد بن أحمد بن عبدالمؤمن الاسعردي الدمشقي (ت 749	رد معاني الآيات المتشابهات إلى معاني الآيات المحكمات.	37	مطبوع	شواخ- معجم :200/2، وأشار في توثيق طبعته إلى: معجم المطبوعات العربية والمعربة: 229- 230.
محمد بن عبدالـلـه الزركشي (ت 794)	علم المتشابه	38	مطبوع	وهو فصل من كتابه: البرهان في علوم القرآن 112/1- 154.

(1) ويلزمنا التنبيه في هذا المقام على دراسة أقامها: محمد فاضل السامرائي على الكتاب نفسه في رسالته للماجستير: دراسة المتشابه اللفظي مـن آي التنزيـل في كتـاب ملاك التأويل المقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد 1993.

(2) =: ص: 8، آنفا.

(3) =: قطف الأزهار: 2/ 1199 مسرد مصادر التحقيق ومراجعه.

المؤلف	العنوان	ت	المعلومات المعروفة لدينا عنه	
	متشابه القرآن	39	مطبوع	الصفار- معجم: 603، وفيه إشارة إلى طبعته في مكة سنة 1893 م. وشواخ- معجم: 205/2، وأشار إلى طبعته في القاهرة، ولكنه لم يذكر سنة طبعها.
عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911)	في الآيات المشتبهات	40	مطبوع	وهو فصل من كتابه: الاتقان في علوم القرآن، 339/3- 345.
	مشتبهات الآيات	41	مطبوع	وهو فصل من كتابه: معترك الأفران في اعجاز القرآن 85/1- 94.
مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكوفي (ت1033)	أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات	42	مخطوط	الصفار- معجم: 606.
محمد محسن الفيض الكاشاني (1091)	آيات المحكمات والمتشابهات في القرآن الكريم	43	مخطوط	الصفار- معجم: 6060.
عبدالـلـه بن محمد بن عبداللطيف الشافعي (كان كان حيا سنة 1174)	رسالة في متشابه القرآن	44	مخطوط	الصفار- معجم: 609.
عطيةالـلـه بن عطية البرهاني الشافعي (1190)	إرشاد الرحمن لاسباب النزول والنسخ والمتشابه وتجويد القرآن	45	مخطوط	الصفار- معجم: 606.
عبدالـلـه الشريف المعرّي (ت ق 12)	الحاوي بشرح منظومة السخاوي في المتشابه	46	مخطوط	الصفار- معجم وهو شرح لمنظومة السخاوي المذكورة آنفا: 607.
محمد الخضري الدمياطي (ت 1287)	منظومة في متشابهات القرآن	47	مطبوع	الصفار- معجم: 605، نشر في القاهرة سنة 1321 هـ

المؤلف	العنوان	ت	المعلومات المعروفة لدينا عنه	
محمد نجيب خياطة (ت 1387)	كشف الحجاب شرح هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في معرفة متشابهات كلام رب الأرباب.	48	مطبوع	شواخ- معجم: 2 /203، وهو شرح لمنظومة السخاوي المذكورة آنفا نشر في: حلب، ولكننا لم نعرف سنة نشره.
أغا باشا (ت ق 14)	العقد الجميل في متشابه التنزيل	49	مطبوع	الصفار- معجم: 603، نشر في: ايران سنة 323 هـ
أبو طاهر الطرثيني (؟)	تأويل متشابه القرآن على قواعد أهل العدل	50	مخطوط	الصفار- معجم: 607.
ابو القاسم (.. ؟)	متشابه القرآن	51	مخطوط	الصفار- معجم: 608.
أحمد بن محمد بن الخلال القاضي (؟)	المتشابه	52	مخطوط	الصفار- معجم: 609.
أحمد زادة كوجك (.. ؟)	رسالة المتشابهات القرآنية	53	مخطوط	الصفار- معجم: 610.
أمر اللـه محمد (.. ؟)	تأويل المتشابهات القرآنية	54	مطبوع	الصفار- معجم: 610، نشر في القاهرة، سنة 1354 هـ
جمال الدين بن النقيب (؟)	رسالة الآيات البينات تفسير بعض آيات متشابهات القرآن الكريم.	55	مخطوط	الصفار- معجم: 608.
خليل ياسين	أضواء على متشابهات القرآن	56	مطبوع	الصفار- معجم: 601، نشر في بيروت سنة 1980.
علي بن القاسم الرشيدي (؟)	متشابه القرآن	57	مخطوط	الصفار- معجم: 608.
عمر السهروردي المدني (؟)	تحفة النابة لما في القرآن من المتشابه	58	مخطوط	الصفار- معجم: 607.
عدنان محمد زرزور	متشابه القرآن دراسة موضوعية	59	مطبوع	شواخ- معجم: 203/2، نشر في دمشق سنة 1970 م.
القرطبي (.. ؟)	متشابه القرآن	60	مخطوط	الصفار- معجم: 610.
محسن بن أم سنان زادة (؟)	المجالس السنانية في المتشابه	61	مطبوع	الصفار- معجم: 610، نشر في القسطنطينية سنة 1260 هـ
مصطفى عبدالواحد	المتشابه في القرآن	62	مقالة مطبوعة	الصفار- معجم: 604، نشرت في مجلة الأزهر، س 38، ع 5، 1386هـ/ 1966م.
محمد عبدالستار نصار	موقف الراسخين في العلم من	63	مقالة	الصفار- معجم: 605، نشرت في مجلة الأزهر س 38، ع5،

المؤلف	العنوان	ت		المعلومات المعروفة لدينا عنه	
	المتشابه		مطبوعة	1386هـ/ 1966م.	
محمد عبدالـلـه الجزار	تفصيل موضوعات القرآن في الآيات المتوافقة	64	مطبوع	ولكننا لم نتحقق من سنة طبعه لعثورنا على نسخة ناقصة منه	
محمدعلي حسن الحلبي	المتشابه والقرآن	65	مقالة مطبوعة	الصفار- معجم: 604، نشرت في: مجلة الأزهر، س 38، ع5، 1386هـ/ 1966م.	
محمد علي حسن السطي	المتشابه في القرآن	66	مطبوع	الصفار- معجم: 603، نشر في بيروت سنة 1966م.	
محمد علي الحلي	المتشابه من القرآن	67	مطبوع	الصفار- معجم: 604، نشر في بيروت، سنة 1966م.	المعلومات المعروفة لدينا عنه
محمد محمد المدني	دفاع عن العقائد والمثل الإسلامية (المحكم والمتشابه)	68	مقالة مطبوعة	الصفار- معجم: 602، نشرت في مجلة منبر الإسلام، س15، ع 7، 1377هـ	
محمود بن الحسن	متشابه القرآن	69	مخطوط	الصفار- معجم: 611.	

ونلحق بهذا الجدول قبل الشروع بتحليل معطياته ثلاث إشارات مهمة:

1- تصريح السيوطي في قوله الذي نقلناه في مدخلنا إلى الجدول[1] بأنه قد ضمن كتابه: (قطف الأزهار في كشف الأسرار) الجم الكثير من مادة " المتشابه " في القرآن، ولكن ما عددنا كتابه المذكور خاصا في الموضوع، يوجب علينا إحلاله محله في الجدول، كما فعلنا بالفصل الذي كان السيوطي نفسه قد حرره عن " المتشابه " في كتاب: (الإتقان)، فقد عددناه تأليفا داخل التأليف، يمكن أن يستقل عنه، ويؤخذ منه، وفعلنا مثل ذلك مع فصل الزركشي في: (البرهان)، أما مادة " المتشابه " في كتاب: (القطف) المحقق المنشور[2] فمنجمة مفرقة في متن الكتاب أولا، وناقصة أيضا، لأن السيوطي- رحمه الله- كان قد توفي عن كتابه المشار إليه لدى كتابته على قوله- تعالى-: {**ولا على الذين إذا ما أتوك لتعلمهم....**}[3].

2- ما لحظناه من التطابق الكامل إلا في موضع أو موضعين بين مادة كتاب الكرماني الموجود بين أيدينا- كما علمنا- بعنوان: (أسرار التكرار في القرآن) ومادة مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت817) في كتابه: (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز)، وكان الفيروز آبادي قد توفر في هذا الكتاب على عرض المتشابهات في " بصيرة " كل سورة من السور بحسب مصطلحه في تقسيم مادة كتابه[4]، وهذه التفاريق لم تعط ما كتبه عن " المتشابه " في القرآن شخصية التأليف المستقل الذي يمكن ان نذكره في موضعه من الجدول الذي صنعناه، وفي مثل هذه الإشارة إليه كفاية.

3- صحة العناية بذكر كتاب: (تفصيل موضوعات القرآن في الآيات المتوافقة) لمحمد عبدالله الجزار في موضعه من الجدول، لملحظ علمي مهم، سيساعدنا عنوانه مساعدة

---

(1) =: ص: 8، آنفا.

(2) - قطر- 1994، بتحقيق: احمد بن محمد الحمادي.

(3) التوبة- آ: 92، و = قطف الأزهار- مقدمة التحقيق: 85.

(4) 1/ 129- 131، 138- 157، 161- 167، 173- 177، 180- 184، 189- 200، وهكذا....

طيبة في إقرار توجيهنا النقدي لمشكلة التصاقب بين مصطلحي: (التشابه والتكرار) على أصل صحيح في التصور، لأننا سنكون به في إطار المادة العنوانية- إن صح الوصف- في الجدول بين ثلاثة مصطلحات: (التشابه/ التكرار/ التوافق)، وهي- كما لا يخفى- داخلة في حقل دلالي واحد، سنعمل على إضاءته في ما نستقبل، ونقول: لقد ظهر لدينا في قاع المشكلة حقيقة لفظان :

* المتشابه- 45 مرة/ المتشابهات 16مرة/ المشتبهات- مرتان/ التشابه: مرتان/ المشتبه- مرتان.

* المتوافقة- مرة واحدة.

ثم ظهر مصطلح " التكرار " بفعل محقق كتاب الكرماني مرة واحدة، وجاء مصطلح " المتشابه " مقابل " المحكم " في خمسة مواضع من العنوانات السالفة الذكر في الجدول، وهذان مصطلحان لصيقان معروفان جدا لدى المعنيين بالدراسات القرآنية، ولكن بعيدا عن مفهوم "التكرار" الذي عناه محقق كتاب الكرماني في ترجمته لمصطلح "المتشابه" في أصل عنوانه بمصطلح " التكرار "، نعني: في مقابلته اللفظية له، كما أسلفنا[1].

أما " المتشابه والمحكم " في المواضع الخمسة المشار إليها فسنعود في تفسيرهما إلى نصين مختارين من النصوص المكتوبة فيهما، وهي كثيرة في كتب التفسير وعلوم القرآن وأصول الحديث وأصول الفقه، انطلاقا من كون " المتشابه "- لغة: ما فيه لبس، يجعل تفسيره غير معلوم على وجه الجزم، وإنما علمه عند الله- تعالى- وحده، وهو- سبحانه- قد يطلع عليه الراسخين في العلم بمعونته، كالذي رواه مسلم من حديث الأغر المزني عن النبي-ﷺ- أنه قال: {**إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مئة مرة**}، وقد فسر بعض العلماء " يغان " بأنه يغطي على قلبه- عليه الصلاة والسلام- بأنوار ربانية، فإذا أفاق منها عد ذلك ذنبا، فيستغفر الله، وهذا شأن المتطهرين[2].

---

(1) =: ص: 9، آنفا.

(2) رسالة في علوم الحديث وأصوله: 114 و =: صحيح مسلم: 5/ 248.

أما النص الآخر فهو قول الزجاج (ت 311) في معرض كلامه على قوله تعالى: {**منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات**}[1]: ((روي عن ابن عباس- رضي الله عنه- أنه قال: المحكمات: الآيات في آخر الأنعام، وهي قوله تعالى: {**قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم**}[2] إلى آخر هذه الآيات، والآيات المتشابهات: ألم، وألمر، وما اشتبه على اليهود من هذه ونحوها.

وقال قوم: معنى: {**منه آياتٌ محكماتٌ**} أي: أحكمت في الإبانة، فإذا سمعها السامع لم يحتج إلى تأويلها، لأنها ظاهرة بينة نحو ما أنبأ الله من أقاصيص الأنبياء مما اعترف به أهل الكتاب، وما أخبر الله به من إنشاء الخلق من قوله- عز وجل-: {**ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما، ثم أنشأناه خلقا آخر**}[3]، فهذا اعتراف القوم به، وأقروا بأن الله هو خالقهم، وما أخبر الله به من خلقه من الماء كل شيء حي، وما خلق لهم من الثمار، وسخر لهم من الفلك والرياح.. وما أشبه ذلك. فهذا ما لم ينكروه وأنكروا ما احتاجوا فيه إلى النظر والتدبر، من أن الله- عز وجل- يبعثهم بعد أن يصيروا ترابا، فقال: {**وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد * أفترى على الله كذبا أم به جنة**}[4]. وقوله تعالى: {**وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أءنا لمبعوثون * أو آباؤنا الأولون**}[5] فهذا الذي هو المتشابه عليهم، فأعلمهم الله الوجه الذي ينبغي أن يستدلوا به على أن هذا المتشابه عليهم كالظاهر ان تدبروه، ونظروا فيه، فقال

---

(1) آل عمران- آ: 7.

(2) آ: 151.

(3) المؤمنون- آ: 14.

(4) سبأ- آ: 7- 8.

(5) الواقعة- آ: 47- 48.

عز وجل: {**وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم* قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم * الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا...**}[1] وقال: {**أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على ان يخلق مثلهم**} [2] أي: إذا كنتم قد أقررتم بالإنسان والابتداء فما تنكرون من البعث والنشور؟ فهذا قول كثير من الناس وهو بين واضح، والقول الأول حسن أيضا"[3] وكان الفراء (ت 207) قد أشار إلى قول ابن عباس (رضي الله عنهما) فقط[4].

وها هنا يمكن أن يسأل السائل: هل عنت كل العنوانات المحررة في الجدول هذا المعنى لمصطلح: "المتشابه"، أم توزعت بين دلالتين:

الأولى: " مخالفة الظاهر " في الغالب، كما في عنوانات الكتب المرقومة بـ:

(1، 2، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 11، 12، 14، 15، 17، 28، 29، 30، 31،34،36، 37، 42، 43، 50، 55، 56، 59، 61، 62، 63، 65، 66، 67، 68، 69).

الثانية: " المتماثل المتفق الألفاظ والسياق البالغ في ذلك حد التكرار"

في جمهرة من الكتب المذكورة في الجدول غير ما أشرنا إليه بأرقامه آنفا، ونقول: " في جمهرة... " لأن البقية الأخرى من الكتب، وأرقامها: (10، 16، 19، 20، 22، 23، 24، 26، 44، 45، 47، 49، 51، 52، 53 ،54، 57، 58، 60) غير واضحة المقصود بلفظ "التشابه" في عنواناتها، أما الجمهرة الثانية المشار إليها في مدخل هذا الكلام فمصداق ما قلناه فيها هو: ما رأيناه في مواد بعض ما اطلعنا عليه منها مباشرة، ونذكرها الكافة هنا

---

(1) يس- آ: 78-80.

(2) يس- آ: 81.

(3) معاني القرآن وإعرابه 1/376-377.

(4) معاني القرآن: 1/ 190.

بأرقامهـا في الجـدول أيضـا: (3، 13، 18، 21، 25، 27، 32، 33، 38، 39، 40، 41، 46، 48، 64). وأولهـا: كتـاب الكسائي، وآخرها كتاب محمد عبدالـلـه الجزار، وكان اللغويون قد قالوا: المتشابهات: المتماثلات، أمـا المشتبهات من الأمور فهي المشكلات[1]، وهذا فرز واضح يجعلنا نشير في هذا المقام إلى ما وقـع فيـه بعض المؤلفين من الخلط الاصطلاحي الاشتقاقي بين: "المتشابه والمشتبه"، وقد رأينا اللفـظ الأخـير في عنوان الكتاب الثاني لأبي الفرج ابن الجوزي وعنوان كتاب عيسى بـن عبـدالعزيز اللخمـي، بيـد أنـه خلط جدّ مفيد، فهو يرجع فهمنا لدلالة "المتشابه" إلى دائرة "المشتبه" بمعنى: " المشكل"، اتساقا مع التفسير اللغوي الذي ثقفناه في أقوال أهل اللغة.

ونخلص من كل ما تقدم إلى أن مصـطلح "المتشـابه" حـين يؤخـذ بمعنـى: "المتماثـل " منـاظر دقيق لمصطلح: "المتوافق"، كما ظهر في عنوان أبي عبدالـلـه الجزار لكتابه، ولمصـطلح "التكـرار" كـما ظهر في العنوان الجديد الذي وضعه عبدالقادر أحمد عطا في صدر تحقيقه لكتاب الكرمـاني، ولكننـا في معرض دراستنا لظاهرة التكرار في القرآن الكريم لم نر وجها للرجعـة إلى المصـطلح القـديم الـذي كان الكرماني قد استعمله في عنوان كتابه، وهو: (المتشابه= المكرر)، كما استعمله كثير مـن المـؤلفين الذين أثبتنا عنوانات كتبهم في جدولنا الكبير، ونضع ها هنا جدولا آخر صغيرا، نثبـت فيـه عنوانـات الآثار العلميـة التـي اتخـذت مصـطلح "التكـرار" مـدخلا إلى المعالجـات المقتصـدة التـي اتجـه بهـا مؤلفوها إلى الظاهرة التي نشاركهم في التصدي الشامل المفصل لها برؤية خاصة ومنهجيـة جديـدة، وأعمالهم في ما أحصيناه هي:

(1) =: مادته في الصحاح، تـاج اللغـة وصـحاح العربيـة: 6/ 2236، وسـنذكره بعنـوان " الصـحاح " مخـتصرا في مـا نستقبل.

المؤلف	العنوان	ت	المعلومات المعروفة لدينا عنه	
إبراهيم النعمة	التكـرار في القـرآن الكريم	1	مقالة مطبوعة	نشرت في مجلة الرسالة الإسلامية، ع255-256، س26، بغداد 1992م.
عبدالكريم الخطيب	التكـرار في قصـص القرآن	2	مقالة مطبوعة	نشرت في مجلة الوعي الإسلامي، ع96، س 73.
فتحي عبدالقادر	ظـاهرة التكـرار في القرآن الكريم	3	مقالة مطبوعة	نشرت في مجلة الخفجي السعودية/ 1984
محمد بن احمد بن عبـدالغني ابن عابدين	التقرير في التكرير	4	مطبوع	الصفار- معجم :
محمد رجب البيومي	مـن أسرار التكـرار في القرآن	5	مقالة مطبوعة	نشرت في مجلـة منـار الإسـلام، ع7، س5، ذكرهـا عبدالباسـط بـدر في كتابـه: دليـل مكتبة الأدب الاسلامي في العصر الحـديث: 99/1.
محمود زلط القصيني	قضـايا التكـرار في القصص القرآني	6	مطبوع	نشر في القـاهرة سـنة 1978، ذكـره عبدالباسـط بـدر: دليـل مكتبـة الأدب الإسلامي / 1 / 42.
محمود السيد شبخون	أسرار التكرار في لغة القرآن	7	مطبوع	نشر في القاهرة سنة 1983.
مجهول (... ؟)	حكمـة التكـرار في آيات القرآن	8	مقالة مطبوعة	نشرت في المجلـة العربيـة، س13، ع 138، 1989- بقلـم محررهـا، وقـد ذكرهـا عبدالباسـط بـدر في كتابـه: دليـل مكتبـة الأدب الإسلامي..: 1 / 148.

وكنا قـد عرضـنا لمفهـوم مصـطلح "التكـرار" في صـدر هـذا المهـاد النظـري النقـدي، ونقـول هنـا: إن هــذا المصـطلح يبعـدنا كثـيرا عــن الوقـوع بمصـطلح " المتشـابه " في دائـرة مـا يـدل عليـه مــن دلالتـي اللـبس والتماثـل، فضـلا عــن كـون مصـطلح "التكـرار" الـذي اخترنـاه معروفـا في أعــمال التكشــيف الاصــطلاحي والــدرس البلاغــي[1]، وهــو مصــطلح محصــن الدلالــة عــلى

(1) بلفظي: التكرار والتكرير، و=: التعريفات: 41، كشاف اصطلاحات الفنون: 2/ 1267، الشامل- معجم في علوم العربية ومصطلحاتها: 352: ـ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها 338/20، معجم البلاغة العربية: 750.

معناه، نعني: "ذكر الشيء مرة بعد أخرى"، وإن بدا مذموما من زاوية ما يلمح إليه من الرداءة في بعض أمثلته، فقد قال ابن سنان الخفاجي (ت466): "وهذا حد يجب أن تراعيه في التكرار، فمتى وجدت المعنى عليه، ولا يتم الا به لم تحكم بقبحه، وما خالف ذلك قضيت عليه بالاطراح، ونسبته إلى سوء الصناعة" [1] وقد حمل هذا التصور بعض المعنيين بالدراسات القرآنية على الحذر من استعمال المصطلح المذكور مؤثرين عليه مصطلح: "التشابه" أو "التماثل"[2]، ولعل في هذا ما يشعرنا بالجفلة من قول كاتب مادة " قرآن " في نسخة قديمة من المعلمة البريطانية، وهو يعرض لأمثلة من التكرار في القرآن فقد قال: " فليس هناك مهارة أدبية عظيمة واضحة مبنية في التكرير الذي لا لزوم له لنفس الكلمات والجمل"[3]، ومع هذا فلا ضرورة لهذه الجفلة من كلام فاسد، حرره أعجمي جرى على سنة قومه في الضغينة الفكرية [4]، وكفاه أنه لم يملك علما كاملا بفقه العربية وجماليات أساليبها في التعبير بالتأكيد كعلم ابن قتيبة[5] والخطابي[6]، والزركشي[7]. والسيوطي[8]، الكرماني[9] الذين عنوا عناية كبيرة جدا برصد أمثلة "التكرار" في القرآن الكريم، لاسيما التكرار في القصص القرآني لأسبابه ودواعيه، وفسّروها وفصلوا الأقوال فيها غير محاذرين من عتمة الدلالة الفنية للمصطلح المذكور، وحسبنا هنا الإيماء إلى أن

---

(1) سر الفصاحة: 96.

(2) محمد قطب: دراسات قرآنية: 247، فضل حسن عباس: القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته: 19.

(3) =: عبدالوهاب حمودة في كتابه: القرآن وعلم النفس: 97.

(4) من الدراسات القرآنية: 69- 89.

(5) تأويل مشكل القرآن: 232.

(6) بيان إعجاز القرآن، ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: 52.

(7) البرهان: 1/ 112.

(8) الإتقان 3/ 339، و =: معترك الإقران في إعجاز القرآن 1/ 85.

(9) أسرار التكرار في القرآن.

الكرماني وحده قد استعمل جذر هذا المصطلح في كتابه (125) مرة، وبيان هـذا الإحصـاء في الجـدول الآتي:

السورة	تكرار	كرر	تتكرر يتكرر	تكرر	مكرر	العدد الكلي
الفاتحة	3	7	1	3	1	15
البقرة	2	4	1	2	1	10
آل عمران	2	2	-	-	-	4
المائدة	2	8	-	-	-	10
الأنعام	1	1	2	2	1	7
الأعراف	-	1	-	-	-	1
الأنفال	1	-	-	-	-	1
التوبة	6	-	-	-	1	7
يونس	3	5	-	2	-	10
يوسف	5	1	-	-	-	6
الرعد	3	-	-	-	-	3
الحجر	1	-	1	-	-	2
النحل	-	1	-	-	-	1
الإسراء	2	-	-	-	-	2
مريم	-	-	-	1	-	1
طه	-	1	-	-	-	1
الحج	1	1	-	-	1	3
النمل	-	2	-	-	-	2
الصافات	-	1	-	-	-	1
الدخان	-	-	-	-	1	1

السورة	تكرار	كرر	تتكرر يتكرر	تكرر	مكرر	العدد الكلي
محمد	1	-	-	-	-	1
النجم	1	-	-	-	-	1
الرحمن	-	1	-	-	-	1
الممتحنة	-	1	-	-	-	1
التغابن	-	-	1	-	-	1
القيامة	1	4	-	-	-	5
المرسلات	2	-	2	-	1	5
النبأ	1	-	-	-	-	1
الانفطار	1	-	-	-	-	1
الانشقاق	1	-	-	-	-	1
الطارق	3	-	-	-	-	3
الغاشية	1	-	-	-	-	1
البلد	-	1	-	-	-	1
الضحى	-	1	-	-	-	1
الشرح	1	-	-	-	-	1
التكاثر	2	-	-	-	-	2
قريش	-	1	-	-	-	1
الماعون	-	1	-	-	-	1
الكافرون	3	-	-	-	-	3
الاخلاص	-	1	-	-	-	1
الفلق	-	1	-	-	-	1
الناس	-	3	-	-	-	3

فلو كان هذا المصطلح فاسدا لما عدّ البلاغيون أمثلته في الكلام من ألوان الإعجاز وفنون القول، كما اتضح لنا ذلك على وجه الاختيار بنص ابن سنان الخفاجي السالف الذكر[1].

وإذا كان المحاذرون من المصطلح المذكور قد اتخذوا موقفهم حياله بنياتهم الاعتقادية الشريفة، وعواطفهم الإيمانية الجياشة، فقد أصابوا صوابا كبيرا، ولكن المصطلح نفسه يبقى في الدائرة اللغوية العربية شريف القصد، لا يبطن أي عيب، وهو في إطار المعالجات الذوقية لأمثلة التكرار في القرآن الكريم يأخذ حصانته من إعجاز القرآن نفسه، وسيكون هذا عندنا من قبيل تسمية الأشياء بأسمائها، لا بمشاكلات أسمائها. ومقطع القول أولاً وأخيراً: ألا مشاحة في الاصطلاح، فما دام القرآن الكريم مطلقا في ألوان إعجازه، ومنها إعجازه اللغوي، فما منه من " التكرار " معجز أيضا، بما يكمن وراءه من مقاصد إلهية، أقربها إلى إفهامنا تأكيد العبرة بالمضامين القرآنية التي عرضت لها سياقات التكرار، ونحن حين نقول: إن إيثارنا لهذا المصطلح متأت من الحرص على "تسمية الأشياء بأسمائها، لا بمشاكلات أسمائها"، نستحضر في أذهاننا كل ألوان المكرر في القرآن، مما سنعقد عليه الفصول في هذه الدراسة، وفي المقدمة منها "التكرار المحض" الذي وجدناه بوضوح في إطار السورة الواحدة فصاعدا، فما رأينا انسب من مصطلح "التكرار" في وصف انساق التطابق فيه، لأنه تكرار حقيقي، لا وجه لاعتباره متشابها أو تماثلا، ان صح هذان اللفظان اصطلاحيا في وصف غيره من الأمثلة القرآنية، التي لا نلحظ فيها تطبيق المفصل على المفصل في السياق، كما قيل في المثل العربي المأثور، (حذو القذّة بالقذّة)[2] أي: الريشة على الريشة، بمعنى: انعدام أي وجه من وجوه الخلاف بين النصين، صغيرا كان ذلك الخلاف أم كبيرا، ولعل ثمة من يقول: إن التدريج في تقسيم الأمثلة القرآنية على المسطرة الثلاثية:

---

(1) =: ص: 21، آنفاً.

(2) =: المستقصى في أمثال العرب: 2/ 61.

التشابه	التماثل التوافق	التكرار

أولى وأدق إذا، فالجواب: هذا صحيح في ظاهرة، ولكـن قضـية الفـروق اللغويـة بـين دلالات المصطلحات المذكورة أشد عقادة علينا، وأكثر التباساً مـن أيـة قضـية أخـرى يمكـن أن تثـار لـدينا في الموقف والتصور والأدب البحثي في تناول النص القرآني، وخلاصة هذا: أننا قد نزعنا إلى اختيار وحدة المصطلح بدءا من أكثر ألفاظه دلالة على المقصود، وفي المقدمة من ذلـك نمـاذج " التكـرار المحـض " كما سنراها في عدد غير قليل من السور القرآنية.

الفصل الأول

التكرار المحض

الفصل الأول

التكرار المحض

توطئة:

وقد اخترنا استهلال عملنا بهذا النوع من التكرار لكونه حالة تعبيرية ملحوظة بوضوح في القرآن الكريم، ظهرت أمثلتها فيه (سبعا وثلاثين) مرة، وتنوعت أحوالها في نصه المعجز تنوعا كبيرا، لا يصعب علينا حصر موارده حصرا دقيقا مجملا ومفصلا في مكيه ومدنيه، ونقول إجمالا: إن (اثنتين وعشرين) حالة من التكرار المذكور قد وقعت في سورتين مختلفتين، ووقعت (حالة واحدة) في أكثر من سورتين، وتفصيل هذا الإجمال في الجدول الآتي:

التسلسل	أسماء السور وأرقام الآي	مكية/ مدنية
1	- البقرة 105 / آل عمران 74.	مدنيتان
2	- البقرة 5 / لقمان 5.	مدنية- مكية
3	- البقرة 255 / آل عمران 2.	مدنيتان
4	- آل عمران 182 / الأنفال 5.	مدنيتان
5	- الأعراف 185 / المرسلات 50.	مكيتان
6	- التوبة 73 / التحريم 9.	مدنيتان
7	- الشعراء 1- 2 / القصص 1- 2.	مكيتان
8	- الشعراء 204 / الصافات 176.	مكيتان
9	- النمل 81 / الروم 53.	مكيتان
10	- الإسراء 105 / الفرقان 56.	مكيتان
11	- الإسراء 48 / الفرقان 9.	مكيتان
12	- المؤمنون 5، 7، 8، / المعارج 29، 31، 31.	مكيتان
13	- إبراهيم 19 / فاطر 16.	مكيتان
14	- الحجر 57، 58 / الذاريات 30، 31.	مكيتان

التسلسل	أسماء السور وأرقام الآي	مكيـة/ مدنية
15	- الحجر 5 / المؤمنون 43.	مكيتان
16	- الزخرف 83 / المعارج 43.	مكيتان
17	- الواقعة 80 / الحاقة 43.	مكيتان
18	- الحاقة 40 / التكوير 19.	مكيتان
19	- المزمل 19 / الإنسان 29.	مكية- مدنية
20	- الانفطار 13 / المطففين 22.	مكيتان
21	- الحجر 29، 30 / ص 72، 73.	مكيتان
22	- الحج 8 / لقمان 20.	مدنية / مكية
23	- يونس 48/ الأنبياء 38/ النمل 71/ سبأ 29/ يس 48/ الملك 25.	مكيات

وربما جرى تكرار المثال الواحد في السورة الواحدة، وقد حـدث هـذا في (أربـع عشرة) سـورة على نحو ما نشير اليه في الجدول الآتي:

التسلسل	أسم السورة	رقم الآية	نوعها
1	البقرة	134 / 141.	مدنية
2	المائدة	10 / 86.	مدنية
3	الإسراء	49 / 98.	مكية
4	المؤمنون	26 / 39.	مكية
5	الشعراء	ــــ- 105- 106- 107 108- 109 / 123- 124- 125- 126- 127 / 141- 142- 143- 144- 145 / 160- 161- 162- 163- 164 / 176- 177- 178- 179- 180 . ـ 119- 120- 121- 122 / 139- 140- 158- 159 / 173- 174- 175 / 189- 190- 191 /65 -66-67-68 / 102-103- 104.	مكية
6	القمر	- 15 / 17 / 22 / 32 / 40 / 51.	مكية

التسلسل	أسم السورة	رقم الآية	نوعها
		- 16/ 18/ 21/ 30. - 37 / 39.	
7	الرحمن	- 13/ 16/ 18 / 21 / 23/ 25 / 28 / 30 / 32 / 34 / 36 / 38 /40 / 42 / 45 / 47/ 49/ 51 / 53 / 55 / 57 / 59 / 61 / 63 /65 / 67 / 69/ 71/ 73 /75/ 77.	مكية
8	القيامة	34 / 35.	مكية
9	المرسلات	15/ 19/ 24 / 28 /34 / 37 /40 / 45 /47/ 49.	مكية
10	النبأ	4 / 5.	مكية
11	الانفطار	17 / 18.	مكية
12	الانشراح	5 / 6.	مكية
13	التكاثر	3 / 4.	مكية
14	الكافرون	3 / 5.	مكية

وليس من المناسب أنْ نُعنى بتفصيل القول في كل حالة من هذه الحالات، لأن ذلك سيخرجنا عن حدود الاعتدال في بحثنا بين الحاجة والضرورة ومن أجل هذا آثرنا بسط القول في (ست) حالات مما رأينا أن نسميه في صدر هذا الفصل "تكرار محضا"، مبتدئين بالإشارة إلى الإشكالية الإصطلاحية التي وجدنا أنفسنا فيها. ونحن نواجه هذا النوع من النصوص القرآنية الشائعة في السور المكية القصيرة اكثر منها في غيرها بدلالة الجدول الأول على هذا الوضع بوضوح، ونحن نريد بمصطلح: "التكرار المحض": التكرار المتطابق كما ألمحنا إلى ذلك في آخر المدخل[1]، وقد التقطنا المصطلح المذكور من كلام محمود بن حمزة الكرماني (ت حوالي 505). أحد الكبار الذين عنوا برصد ظاهرة التكرار في القرآن الكريم، فقد قال في أحد المواضع من كتابه المنشور بغير عنوانه الأصيل، وهو

(1) =: ص: 24، آنفا.

يفسر قوله- تعالى- في سورة التوبة: قال: ((قوله {**لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة**}[1] وقوله: {**لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة**}[2]: الأول للكفار، والثاني لليهود، وقيل: ذكر الأول، وجعل جزاء شرط، ثم أعاد ذلك تقبيحا لهم. فقال: {**ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة**}[3]، فلا يكون تكرارا محضا))[4]، وأراد بالمصطلح المذكور: "التطابق"، والخلاص من أية ظاهرة تخرج أي نصين تكراريين يوضعان تحت النظر من حقيقة الصفة المشار اليها، وهي: وحدة المكونات اللغوية في النص ألفاظا ومواضع وتراكيب، بحيث يتشكل منها نسق واحد، تجري هذه المكونات في نسيجه التعبيري منسجمة انسجاما كليا أو جزئيا، ونقول: "تجري.."، لأن حقيقة التكرار طولية ذات مدى، لا تراكمية ذات مساحة في تلاقي أي نصين من النصوص تحت النظر المصوّب فيها للوصف والتحليل.

تحقيق تاريخي ونقدي في دلالة مصطلح العنوان:

بعد الإعلام فيما سبق قبل سطور بأن مصطلح "التكرار المحض " من ألفاظ الكرماني المتوفى في صدر القرن السادس من الهجرة؛ وبالتقريب في واحدة من سنواته الخمس الأولى في دراسته للتكرارات القرآنية في إطار العنوان الأصيل لكتابه: (البرهان في متشابه القرآن...)، لابد من إعلام آخر بأن أحد نقادنا العرب المحدثين قد انتبه بوعيه الخاص المبكر قبل صدور كتاب الكرماني بأكثر من ربع قرن[5] إلى صحة استعمال صفة " المحض " بقصد: " التطابق " في دراسة التكرار، ذلكم هو الناقد السوداني الكبير عبد الله الطيب

---

(1) آ: 8.

(2) آ: 10.

(3) آ: 9 - 10.

(4) أسرار التكرار في القرآن: 96.

(5) =: ص: 8، آنفا.

المجذوب في كتابه المهم المبسوط: (المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها)[1]، فقد عقد فيه فصلا طويلا جدا بعنوان: " التكرار المحض "[2]، حشد فيه من الأفكار النقدية النفيسة في دراسة هذا المظهر في الشعر العربي ما لا سبيل إلى تجاوزه، والإضراب عن الإشارة إليه في هذا المقام، أستهله بالتنبيه على أنّ الغرض الرئيس من التكرار هو الخطابة، وعني بالخطابة: عمد الشاعر إلى تقوية إنشائه، بانتحاء إبراز العواطف فيه كالتعجب، والحنين والاستغراب، وما إلى ذلك من طريق التكرار، وقال: ((ولما كانت معاني الشعر الكبرى لا تتألف من لفظه فحسب، ولا من الفكرة التي فيه فحسب، وإنما من هذين مضافا إليهما الوزن ببحوره وقوافيه، فالتكرار يتناول جميع هذه المسائل، ويمكننا أن نحصر التكرار الذي يحدثه الشعراء في ألفاظ شعرهم في الأنواع التالية، مع التذكر بأن عنصر الخطابة يشتملها جميعا، ولا يكاد يخلو واحد منها من تأثيره ولونه.

1. التكرار المراد به تقوية النغم.
2. التكرار المراد به تقوية المعاني الصورية.
3. التكرار المراد به تقوية المعاني التفصيلية))[3].

وقد عقّب على هذا النص بما شرح به أنواعه، ولاسيما الأول منها شرحا يفضي بنا إلى لمح مفهوم " التطابق " في الإيرادات الشعرية المكررة، ومن ذلكم قوله: ((من أكثر أصناف التكرار النغمي ورودا في الشعر المعاصر، ذلك التكرار الذي يعاد فيه بيت كامل أو بيتان، للفصل بين أقسام القصيدة الواحدة، مثال ذلك قول [علي محمود طه] المهندس- رحمه الله:

أين من عيني هاتيك المجالي — يا عروس البحر يا حلم الخيال

---

(1) القاهرة سنة 1955- 1970.

(2) : 2/ 45- 128.

(3) م. ن: 1/ 45.

فقد كرر هذا البيت عدة مرات في قصيدته، وهذا النـوع مـن التكـرار في صـيغته العصريـة، التي نجدها عند المهندس وكثير غـيره، مـأخوذ مـن الأسـاليب الأفرنجيـة، حيـث يكـثر الشـعراء مـن استعمال إعادة الأبيات، ويسمون ذلك بالأنكليزية Refrain، ويبدو أنّ اللغة العربية قد عرفـت هـذا النوع من الإعادة في دهرها الأول... والذي يدلنا على أن العربية قد عرفت هـذا النـوع مـن التكـرار أمـران، أولهـما: أنّنـا نجـد نحـوا منـه في القـرآن، في بعـض السـور المكيـة، مثـل: {**فبـأي آلاء ربكـما تكذبان**}في سورة الرحمن[1]، ومثل: {**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**} في سورة القمر[2]، ولا أحسب أن القرآن قد فاجأ العرب بضرب جديد من التأليف، إذ التزم هـذا التكـرار في هـذه السـور، ونحوا منه في غيرها، ولو قد كان هذا ضربا جديـدا مـن التـأليف، لكـانوا قـد طعنـوا فيـه، ولكننـا لم يبلغنا أنهم قد فعلوا ذلك.. والأمر الثاني الذي نستدل به على ان اللغة العربية قـد عرفـت أسـلوب إعادة البيت في أجزاء القصيدة على سبيل الترنم، هو ما نجده من رواسـب هـذا الأسـلوب في بعـض الأشعار التي بأيدينا من تراث الجاهليين، وحتى في بعض الأشعار الإسلامية، خذ مـثلا هـذين البيتـين لامريء القيس:

وَتَحْسِـــبُ سَـــلمَى لا تَـــزَالُ كعهدنـــا بِـــذات الخُزَامـــى أو عـــلى رأسّ أوعـــال

وَتَحْسِـــبُ سَـــلمَى لا تَـــزَالُ تَـــرى طَـــلاً مـــن الـــوحش أو بِيضـــاً بِمِيثـــاءَ محـــلال

تأمـل هنـا تكـرار: (وتحسـب سـلمى لا تـزال)، فمثـل هـذا التكـرار لـيس المـراد منـه مجرد الخطابة، ولكن تقوية النغم أيضا، والشبه بينه وبين إعادة الأبيات (التي يسميها الأفـرنج ألـ Refrain، ويسـميها العامـة عنـدنا في أشـعارهم الدارجـة [يعنـي: في السـودان] بالعصـا) قـوي واضـح"[3] ولعـل أدل عـلى القصـد وأصـدق في التمثيـل مـن الأمثلـة التـي أوردهـا

---

(1) آ: 13، ونظائرها ثلاثون آية .

(2) آ: 17، ونظائرها ثلاث آيات.

(3) المرشد: 2/ 45- 47.

المجذوب من شعر تأبط شرا وليلى [الأخيلية] " ما جاءت فيه الصدور- كما قال- مكررة في عدة أبيات من الشعر القديم، مثال ذلك لأمية الحارث اليشكري التي كرر فيها قوله:

* قربـــا مربـــط النعامـة مني *

وقوله:

* يابجير الخيرات لا صلح حتى *

عدة مرات" [1].

وحسبنا في هذا المقام ما أقتبسناه طويلا من الدرس النقدي المعمق الذي اتجه به المجذوب إلى ظاهرة " التكرار المحض "، وأجمل ما كان منه وفيه دراسته لتكرارات أبي الطيب المتنبي[2]، فقد قرّبنا في هذه الدراسة من اكتساب فكرة واضحة عن سعة التكرارات في الكلام طولا وقصرا. بدءا وختاما، وذلك ما نواجهه في دراسة ظاهرة التكرار في القرآن الكريم، ونراه في تحليل امثلتها من المشكلات المعقدة، ولكن المجذوب قد أفادنا فائدة جليلة في تحصيل المعرفة التطبيقية به، كما حصّلها نظره الدقيق في تكرارات أبي الطيب، ولا ضير هنا من العودة إلى كلامه في هذا الموضوع للأقتباس المناسب منه، وهو طويل خلص بعده إلى خاتمة، قال في صدرها: ((قد يجاء بالتكرار لمجرد إظهار النغم وتقويته، وأوضح ما يكون ذلك إن جيء بالبيت كاملا بعد فترات، وهذا طراز من التأليف قد إندرس من النظم العربي، وقد أحياه بعض المعاصرين أمثال المهندس، نقلا عن الأشعار الغربية التي لا تزال محتفظة بطابع إعادة البيت في كثير من منظوماتها))[3]، وفي هذا تأكيد لما عناه بدلالة " المحضية" في وصف التكرار على التطابق الكامل، مادام البيت الشعري المكرر قد اتخذ وحده قياس- كما يقال- لعدد ما يكون في القصيدة من المادة التعبيرية المكررة تكرارا كاملا، وربما كرر منه صدره أو عجزه، أو ما يقابل مقطعا من تفعيلات

(1) المرشد: 2/ 49.

(2) م. ن: 2/ 61- 71.

(3) م. ن: 2/ 71.

وزنه، كما بان ذلك من دراسته لتكرارات المتنبي مما عـده لـدى الشـاعر توفيقـا غريبـا لا يجـيء الا بملكة نـادرة، وطبـع قـوي، وإدراك لأصـول الصـناعة وأسرارهـا[1] كالإتيـان في القصـيدة بضروب مـن البديع والتحسين كالتقسيم والطباق، وإبقاء التكرار عمادا للجرس وأساسا لـه[2]، ووجـدناه ينظـر في بيتين مختارين من شعره في مدح سيف الدولة الحمداني:

فلـم يخـل مـن نصر لـه مـن لـه يـد	ولم يخـل مـن شـكر لـه مـن لـه فـم
ولم يخـل مـن أسـمائه عـود منـبر	ولم يخـل دينـار ولم يخـل درهـم

ثم يقول[3]: ((تأمل أولا الترصيع في البيت الأول والترصيع هو السجع في داخل حشو البيـت- تجد هذا الترصيع مجاريا للوزن ومقويا له، إذ السجعة تأتي عند الربع من البيت، والنصف مـن كـلا شطريه، هكذا:

فلم يخل من نصر

فعولن مفاعيلـــن

ولم يَخْلُ مِن شُكْرٍ

فعول مفاعيلـــن

ثم إنك تجد هذا الترصيع الجاري للوزن إنما هو جزء من تكرار طويل، لـيس مجاريـا للـوزن، هكذا:

فلم يخل من نصر له من له..

فعولن مفاعيلــن فَعِلْ فَعْ فَعِلْ

فلم يخل من شكر له من له..

فعولن مفاعيلــن فَعِلْ فَعْ فَعِلْ

---

(1) م. ن: 2/ 63.

(2) م. ن: 2/ 64.

(3) المرشد: 2/ 66.

فهذا التباين بين مجاراة الترصيع للوزن، ومعارضة التكرار له ذو أثر قوي في زيادة الرنين وتنويعه، وإذا تأملت البيت الثاني، وجدت ان الشاعر قد اكتفى بتكرار: (ولم يخل من) وحدها، وأستغنى عن الترصيع في صدره، وكأنه قصد إلى ان يهبط بموسيقى شعره عن حالة الجلجلة التي كانت عليها [في القصيدة]، وكأنه يخشى ان يكون في هذا الهبوط مفاجأة للسامع، فهو يلجأ في العجز إلى شيء قريب من الترصيع الذي رأيناه في البيت الأول، وذلك بقسمته نصفين، هكذا :

ولم يخل دينار ولم يخل درهم

فعولن مفاعلين فعولن مفاعلن

ولا أحسبك- أيها القاريء الكريم- قد خفي عنك موضع التدرج في التكرار من جملة طويلة، توشك أن توازن نصف بيت هكذا: " ولم يخل من نصر له من له.. " إلى قريب من نصفها: "ولم يخل من"، إلى قطعة منها واحدة موازنة لتفعيلة الطويل: " فعولن " على وجه التقريب، وهي: "لم يخل"، ومثل هذا التكرار التدرجي في البراعة تدرّج المتنبي من تقسيم ذي ترصيع حده شطر البيت، ثم الرجعة بعد ذلك إلى تقسيم بلا ترصيع يقف عند أرباع الأبيات، والفرق بين التدرجين أنّ أحدهما منحدر، والآخر ملفوف، وترى صدق ذلك إن مثلته برسم بياني))[1]، ونحن في دراستنا لمثل ما وصفه آنفا سنلوذ بالجدولة المناسبة في تقسيم المادة القرآنية المكررة تكرارا محضا إيضاحا لبنية الظاهرة فيها، وتصويرا لانبساطها القصير أو الطويل في مواضعها، ولكننا لا نملك في دراستها من القواعد والأصول المعيارية المساعدة على معرفة ابتداء التكرار وانتهائه ما يمتلكه العروضي والناقد من قواعد العروض وأصوله المعيارية في تحديد التكرارات الشعرية، وهذا يعني بالبداهة جسامة الفرق بين طبيعتي التكرار في الشعر والنثر بعامة، والقرآن الكريم من النثر بخاصة، ويكفي دارس التكرار المحض في القرآن لمعرفة بداياته ونهاياته إعمال نظره المجرد في

(1) المرشد: 2/ 67.

الآيات فقط، لانتفاء حاجته العملية أصلا إلى أية وحدة قياس لغوي كوحدات " التفعيل " الصوتي في العروض العربي للشروع بتحليلاته لبنية التكرار فيها محضا كان ام غير محض من الأنواع التي سنعرض لها في ما نستقبل.

نعود بعد هذا فنقول: وإذا كان عبدالله الطيب المجذوب قد استهل عمله في تحليل التكرارات الشعرية بالمصطلح المركب تركيبا وصفيا: " التكرار المحض " فنحن باعتمادنا هذا التركيب نفسه نشرع لأنفسنا بابا لمصطلح مقابل في الدلالة اللغوية للصفة فيه، سنجعله رأسا لكلامنا في الفصل الثاني من هذه الدراسة، وستكون لنا ثمة عناية بأمثلة من التكرار القرآني، لا تشبه في أشكالها وأحوالها أي مثال تكراري محض، سنعرض له في فصلنا الأول هذا مما سنختاره من الأمثلة التي أفرغنا ذكرها المجمل في الجدولين السابقين، وسيكون منهجنا في دراسة مختاراتنا منها على النحو الآتي:

التكرار المحض في سورة واحدة:

وقد المحنا إلى حدوث هذا الوضع في أربع عشرة سورة[1]، متفاوتا فيهن قلة وكثرة، واقتضابا وانبساطا، بيد أننا سنختار سبعا من سوره حسب ايثارا للأختصار.

سورة البقرة:

قال تعالى {**تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون**} وقد تكرر هذا التركيب مرتين في السورة المذكورة[2]، لمرادين مختلفين، ومراده- سبحانه- في الموضع الأول: مخاطبة الأنبياء[3]- عليهم السلام- لقوله تعالى- قبله: {**أم كنتم شهداء إذ**

(1) = ص: 28، آنفا.

(2) آ: 134، 141.

(3) الطبري: 1/ 563، الرازي: 4/ 90، النسفي: 1/ 94، أبو السعود: 1/ 132، بصائر ذوي التمييز: 148/1، و=: غرائب القرآن: 1/ 423- بحسب تقسيم مادته على هامش أجزاء تفسير الطبري.

حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق ألها واحدا ونحن له مسلمون} [1]، ومراده في الموضع الثاني: أسلاف اليهود والنصارى[2]، لقوله تعالى- قبله أيضا: {**أم تقولون ان إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل أنتم أعلم أم الله**}[3]، وقيل كذلك: تكررت الآية لتنوع ما نص عليه- تعالى- من مرتكبات اليهود والنصارى الدائرة على جامع واحد من تخيلهم الأنتفاع بأسلافهم مع مخالفتهم فيما كانوا عليه، فهم لما تعلقوا بأولئك الأسلاف ممن كانوا على سنن إبراهيم وإسماعيل، ومن كان فيهم من الأنبياء- عليهم السلام- ظنوا أن تعلقهم بهم نافع لهم، فقيل لهم: {**تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم**} [4]، أي: لن ينفعكم الا عملكم؛ لأن لأولئك أعمالهم، ولكم اعمالكم، فلما أقروا على ما يعتقدونه فيهم، من كونهم هودا أو نصارى، قيل لهم: أتقولون: إنهم كانوا على كذا، وهم كانوا على غير ما ظننتم، أأنتم أعلم أم الله؟ فمن أظلم منكم وقد علمتم تحريفكم واجترامكم؟!، فضلا عن كون كل مطلوبا بنفسه وبما اجترحه[5]، ونحن نرجح هذا التفسير مؤيدا بما نقله الفيروز آبادي (ت817) عن القفال (ت..؟) من أن القول الأول لإثبات ملة إبراهيم لأسلافهم جميعا، والثاني لنفي اليهودية والنصرانية عنهم[6]، وفي التكرار الذي نحن بصدده مبالغة في الزجر عن الافتخار

---

(1) آ: 113.

(2) الطبري: 1/ 563، الرازي: 4/ 90، النسفي: 1/ 94، أبو السعود: 1/ 132، و=: غرائب القرآن: 1/ 423، بصائر ذوي التمييز: 1/ 148

(3) آ: 140

(4) آ: 141.

(5) ملاك التأويل: 237- 238.

(6) بصائر ذوي التمييز: 1/ 148.

بالآباء[1]، والاشتغال بوصف ما كانت عليه الأمم السالفة من الأديان، فإن أديانهم تلك لا تنفع أخلاقهم[2] المفتخرين بها عن نحو فارغ من الإيمان بها، ومن أجل هذا حمل التكرار المذكور معنى: التهديد والتخويف، وكأنه قد قيل لهم، إذا كان أولئك الأنبياء على إمامتهم يجازون بكسبهم، فأنتم أحرى بالمجازاة، ولهذا وجب التأكيد[3]، وقيل: إنما أعيدت الآية ثانية؛ لأن الحجاج إذا اختلف مواطنه حسن تكريره، للتذكير به[4].

سورة الإسراء:

قال- تعالى-: {**وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا ءانا لمبعوثون خلقا جديدا**} وقد تكرر هذا التركيب مرتين في السورة المذكورة[5]، متضمنا استفهاما انكاريا رفع به الكفار- المخبرون في معرض الآية المكررة بأن موتهم في الحياة الدنيا إلى بعث في الآخرة- عقائرهم باستبعاد البعث، والتعجب منه[6]، بعد مآل غضاضة الأحياء إلى رميم يابس[7] زمنا طويلا بين الموت والبعث، وعلى القاريء المتبصر ان يعي تلك الشقة الطويلة من الزمن الفاصل بين حدثي الأخبار بانكار الكفار لحقيقة البعث، فسياق ذكره الأول كلام المنكرين للبعث في الدنيا، فقد جادلوا الرسول- ﷺ- وحاوروه، فحكى- عزوجل- خبرهم بقوله: {**أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا * وقالوا إءذا كنا عظاما ورفاتا أءنا لمبعوثون خلقا**

---

(1) أبو السعود: 1/ 132.

(2) غرائب القرآن: 1/ 448.

(3) ابن عطية: 1/ 509.

(4) قطف الأزهار: 329.

(5) آ: 49، 98.

(6) ابن عطية: 9/ 105، القرطبي: 10/ 273، 334، أبو السعود: 3/ 219.

(7) أبو السعود: 3/ 219.

جديدا}[1]، وسياق ذكره الثاني إيضاحه- تعالى- أنه سيجازيهم على كفرهم بتسليط النار عليهم في الآخرة، بقوله: {**ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا * ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أءذا كنا عظاما ورفاتا أءنا لمبعوثون خلقا جديدا}** [2] ويكفي أن نتصور اختلاف ذكر الواقعتين من القرآن الكريم، لندرك سر التكرار الذي نحن بصدده، فهو تكرار دعا إليه مقصد إلهي من مقاصد تعميق الموعظة وتحقيق العبرة.

سورة الشعراء:

ونحن في هذه السورة حيال بؤرتين تكراريتين، إن صح الوصف، وقع فيهما شيء كثير من وحدة الصياغة في المدخل إلى كل قصة من قصص الأنبياء الذين كانوا مدار الكلام في السورة، وقد آثرنا عرض ما أشرنا إليه من التكرار في مداخل القصص كلها عرضا كليا في جدولين متكاملين في ما بينهما، وسيجري عملنا في الأول منهما، على تقسيم المدخل الواحد لكل قصة إلى ست وحدات سياقية تعبيرية، تتلوه وحدة وصفناها في الجدول بأنها " الوحدة الخاصة بالقصة"، كيما نخلص منها إلى تقسيم العرض الأخير في القصة إلى ثلاث وحدات أخرى بعد الوحدة الخاصة التي لم يقع التكرار فيها، ولهذا لم نر أية حاجة إلى إدخالها في إطار التحليل الذي سنتجه اليه في الدراسة، وهذان الجدولان هما:

---

(1) آ: 48- 49.

(2) آ: 97- 98، و=: أسرار التكرار في القرآن: 129.

(الجدول الأول)

الوحدة الأولى				الوحدة الثانية							الوحدة الثالثة				الوحدة الرابعة			الوحدة الخامسة					الوحدة السادسة					
كذبت	قوم	نوح	المرسلين	إذ	قال	لهم	أخوهم	نوح	ألا	تتقون	إني	لكم	رسول	أمين	فاتقوا	الله	وأطيعون	وما	أسألكم	عليه	من	أجر	إن	أجري	إلا	على	رب	العالمين[1]
كذبت	-	عاد	المرسلين	إذ	قال	لهم	أخوهم	هود	ألا	تتقون	إني	لكم	رسول	أمين	فاتقوا	الله	وأطيعون	وما	أسألكم	عليه	من	أجر	إن	أجري	إلا	على	رب	العالمين[2]
كذبت	-	ثمود	المرسلين	إذ	قال	لهم	أخوهم	صالح	ألا	تتقون	إني	لكم	رسول	أمين	فاتقوا	الله	وأطيعون	وما	أسألكم	عليه	من	أجر	إن	أجري	إلا	على	رب	العالمين[3]
كذبت	قوم	لوط	المرسلين	إذ	قال	لهم	أخوهم	لوط	ألا	تتقون	إني	لكم	رسول	أمين	فاتقوا	الله	وأطيعون	وما	أسألكم	عليه	من	أجر	إن	أجري	إلا	على	رب	العالمين[4]
كذب	أصحاب	الأيكة	المرسلين	إذ	قال	لهم	-	شعيب	ألا	تتقون	إني	لكم	رسول	أمين	فاتقوا	الله	وأطيعون	وما	أسألكم	عليه	من	أجر	إن	أجري	إلا	على	رب	العالمين[5]

(1) آ: 105 – 109.

(2) آ: 123 – 127.

(3) آ: 141 – 145.

(4) آ: 160 – 164

(5) آ: 176 – 180.

(الجدول الثاني)

الوحدة الخاصة بالقصة	الوحدة الثانية				الوحدة الثالثة				الوحدة الرابعة				
فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم أغرقنا الآخرين	إن	في	ذلك	لآية	وما	كان	أكثرهم	مؤمنين	وإن	ربك	لهو	العزيز	الرحيم[1]
فكذبوه فأهلكناهم	إن	في	ذلك	لآية	وما	كان	أكثرهم	مؤمنين	وإن	ربك	لهو	العزيز	الرحيم[2]
فأخذهم العذاب	إن	في	ذلك	لآية	وما	كان	أكثرهم	مؤمنين	وإن	ربك	لهو	العزيز	الرحيم[3]
وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين	إن	في	ذلك	لآية	وما	كان	أكثرهم	مؤمنين	وإن	ربك	لهو	العزيز	الرحيم[4]
فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم	إن	في	ذلك	لآية	وما	كان	أكثرهم	مؤمنين	وإن	ربك	لهو	العزيز	الرحيم[5]
وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين	إن	في	ذلك	لآية	وما	كان	أكثرهم	مؤمنين	وإن	ربك	لهو	العزيز	الرحيم[6]
فلو أن لنا الكرة فنكون من المؤمنين	إن	في	ذلك	لآية	وما	كان	أكثرهم	مؤمنين	وإن	ربك	لهو	العزيز	الرحيم[7]

(1) آ: 119 – 122.

(2) آ: 139 – 140.

(3) آ: 158 – 159.

(4) آ: 173 – 175.

(5) آ: 189 – 191.

(6) آ: 65 – 68.

(7) آ: 102 – 104.

ولابد من الإشارة هنا إلى أنّ الجدول الأول متصل المضامين بقصص نوح وهود وصالح ولـوط وشعيب فقط من القصص السبع المعروضة في السـورة بإيجـاز كبـير، وقـد وردت مادتـه فيهـا غـبّ الانتهاء من الكلام على قصتي موسى وإبراهيم اللتين اتفقت نهاية كـل مـنهما مـع نهايـات القصـص الخمس المذكورة قبلها في الجـدول الأول، بيـد أننـا أدخلنـاهما في الجـدول الثـاني فقـط لبيـان هـذا التطابق، والقصص السبع تشكل في مجملها البؤرة التكرارية الثانيـة في السـورة، بعـد بـؤرة المـدخل الذي سنبدأ في التحليل منه، لما تكشـفه لنـا وحداتـه الـثلاث مـن حالـة "التكـرار المحـض" الـذي لا يختلف أحد ممن يأخذ بظاهر الأنساق التعبيرية في تقدير تطابقه، فليس ثمة أي اخـتلاف يمكـن أن يذكر في الأنساق السبعة التي ختم بها الكلام على قصص الأنبياء السبعة، تلو خواص سـياقية تـربط العرض الأخير لكل قصة بقصته، وهذه الخواص هي الإشارات المتعاقبات إلى إغـراق فرعـون وقومـه في قصة موسى، وأسف قوم إبراهيم عـلى مـا آل إليـه أمـرهم، والطوفـان الـذي أهلـك قـوم نـوح إلا المؤمنين به ممن كانوا معه في الفلك المشحون، ثم أنواع العـذاب الـذي حـل بعـاد وثمـود وقـوم لوط وأصحاب الأيكة، وقد تلا هذه الإشارات مـا وصـفناه بأنـه الوحـدات السـياقية التعبيريـة[1] المكررة تكرارا متطابقا دالا على إقرار معاني القصص مجتمعة في النفوس بنسق الترديد وعظا بها وتذكيرا[2] مع كون كل قصة تنزيلا قرآنيا قائمـا برأسـه لاخـتلاف أزمنتهـا وشخوصـها وأحـداثها، لا تجمع بينها فيه إلا الوحدة الأولى، كما نلحظها في الجدول الأول، والوحدات الـثلاث الأخـيرات في الجدول الثاني، وثمة فرق يسير جدا من الضروري الانتباه إليه في مضمون العمـودين الأولـين مـن الوحدة الأولى في الجدول الأول، والعمود الرابـع مـن الوحـدة الثانيـة، فقـد غابـت (تـاء التأنيـث) الساكنة في الموضع الخامس من العمود الأول في الوحدة الأولى، وغاب المضاف: (قوم) في موضـعيه الثـاني والثالـث مـن عمودهـا الثـاني، وحلـت لفظـة. (أصـحاب) محلـه في الموضـع الخـامس، ولم

(1) = ص: 29، آنفا.

(2) الزمخشري: 3/ 334، القرطبي: 7/ 39.

يقع في الوحدة الثانية غير غياب الفاعل: (أخوهم) الآتي في المواضع الأربعة الأولى قبل أبداله التالية له من أسماء نوح وهود وصالح ولوط، فاندفعت الفاعلية إلى (شعيب) في الموضع الخامس مباشرة، خلافا لما وقع في المواضع الأربعة الأولى وما غياب لفظ "أخوهم" من الموضع المشار إليه إلا لكون "شعيب" ليس من نسب أصحاب الأيكة فهو من قوم "مدين" أُرسل إليهم والى أصحاب الأيكة[1]، ثم يمضي التكرار المحض إلى آخر كل الوحدات متطابقا تطابقا كاملا.

ولا يخفى أنَّ التصدير بقوله- تعالى-: في كل القصص بعد وحدات الجدول الأول: {**اني لكم رسول أمين * فاتقوا اللـه واطيعون * وما أسألكم عليه من أجر * ان أجري الا على رب العالمين**}[2] يوحي بالتنبيه على أن المبعوثين جميعا قد دعوا إلى دين إلهي واحد، وان اختلفوا في بعض فروع شرائعهم المختلفة باختلاف أزمنتهم، وبأنهم منزهون عن المطامع الدنيوية[3]، والتكرار الذي وقع في قصصهم يؤكد وحدة طرائقهم في الدعوة، ووحدة مصائر مكذبيهم[4]، ويظهر أنّ الدين كله من عند اللـه من عهد نوح- عليه السلام- إلى عهد محمد- ﷺ- وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة، ربهم واحد، والتوحيد أساس عقائد كل أنبيائهم[5]، وإنما نقل القرآن أخبارهم تثبيتا للنبي- ﷺ- وتأثيرا في نفوس من كان يدعوهم إلى الإيمان[6]، وكل المقولات المكررة المتطابقة التي جرت على ألسنة أولئك الرسل توحي بصدقهم، وتثبت ضرورة التصديق بهم[7].

---

(1) النسفي: 3/ 419.

(2) آ: 107، 108، 109/ 125، 126، 127/ 143، 144، 145/ 162، 163، 178/164، 179، 180.

(3) أبو السعود: 4/ 114.

(4) التصوير الفني في القرآن: 141.

(5) م. ن: 124.

(6) م. ن: 125.

(7) بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ: 144.

سورة القمر:

ونؤثر في صدر هذا التحليل إيراد قوله- تعالى- في السورة المذكورة: {**أقتربت الساعة وأنشق القمر * وإن يروا ءاية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر * وكذبوا واتبعوا اهواءهم وكل أمر مستقر* ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر * حكمة بالغة فما تغن النذر * فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر * خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر * مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر * كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر * فدعا ربه اني مغلوب فانتصر * ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر * وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر * وحملناه على ذات الواح ودسر * تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر * ولقد تركناها ءاية فهل من مذكر * فكيف كان عذابي ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر * كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر * إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر * تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر * فكيف كان عذابي ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر * كذبت ثمود بالنذر * فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إنا اذا لفي ضلال وسعر * أء لقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر * سيعلمون غدا من الكذاب الأشر * إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر * ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر * فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر * فكيف كان عذابي ونذر * إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر * كذبت قوم لوط بالنذر * إنا أرسلنا عليهم حاصبا الا ءال لوط نجيناهم بسحر * نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر * ولقد أنذرهم بطشتنا فتمادوا بالنذر * ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر * ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر * فذوقوا عذاب ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر * ولقد جاء آل فرعون النذر * كذبوا باياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر * أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر ***

أم يقولون نحن جميع منتصر * سيهزم الجمع ويولون الدبر * بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر * ان المجرمين في ضلال وسعر * يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر * إنا كل شيء خلقناه بقدر * وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر * ولقد أهلكنا اشياعكم فهل من مدكر * وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر * إن المتقين في جنات ونهر * في مقعد صدق عند مليك مقتدر} [1] وما يغيب عنا أنّ التكرار قد وقع في هذه السورة أربع مرات بأربعة تراكيب متجانسة مع سياق السورة كلها وهي أقواله- تعالى-:

- **{فهل من مدكر}** [2].
- **{فكيف كان عذابي ونذر}**[3].
- **{ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر}** [4].
- **{فذوقوا عذابي ونذر}** [5].

وهذه السورة قد تضمنت سلسلة من الإشارات إلى مصائر مكذبي الأنبياء- عليهم السلام- انطلاقا من عرض موقف كفار العرب من النبي- ﷺ- قبل حكاية قصص أقوام نوح وعاد وثمود ولوط وفرعون مع انبيائهم، وتحدثت القصص كلها عما أصاب أولئك المكذبين من عواقب وخيمة ونهايات فاجعة، لتكون إنذارا حاسما لمكذبي الرسول- ﷺ- من مشركي مكة لسلوكهم مسالك سابقيهم، وأولها قصة نوح- عليه السلام- المختومة بقوله- تعالى-: **{ولقد تركناها آية فهل من مدكر * فكيف كان عذابي ونذر * ولقد يسرنا**

(1) آ: 1- 55.
(2) آ: 15، 51.
(3) آ: 16، 18، 21، 30.
(4) آ: 17، 22، 31، 40.
(5) آ: 37، 39.

القرآن للذكر فهل من مدكر} [1] ثم توالت بعدها أقواله- تعالى- في قصة عاد: {**كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر * انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر * تنزع الناس كأنهم اعجاز نخل منقعر * فكيف كان عذابي ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر}** [2] وقصة ثمود: {**فكيف كان عذابي ونذر * انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر}** [3]، وقصة قوم لوط: {**فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر * ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر * فذوقوا عذابي ونذر* ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر}** [4] توالت متصلة ومتفقة في أسلوب العرض، قبل الانتقال إلى الحديث عن آل فرعون مجردا من أي تعقيب ببؤرة التكرار التي عادت في نهاية الكلام على موقف كفار مكة بعد تذكيرهم بالساعة ووعيدهم بما سيحل بهم فيها، فقد ختم- سبحانه- خطابه لهم بقوله: {**ولقد اهلكنا اشياعكم فهل من مدكر}**[5] ونحن نلحظ في هذه السياقات جملة أمور :

1- البدء بفاء الاستئناف قبل أسلوب الاستفهام: {**فهل من مدكر}** [6] ولم ترد بالأسلوب المذكور حقيقته، بل ما يخرج إليه من معنى التذكير بما حل بالأقوام

---

(1) آ: 15، 16، 17.

(2) آ: 18، 19، 20، 21، 22.

(3) آ: 30، 31، 32.

(4) آ: 37، 38، 39، 40.

(5) آ: 51.

(6) آ: 15، 17، 22، 32، 40، 51.

المذكورين[1]، وقيل: إنه صالح للحث والتخويف والزجر[2]، وقيل: إنّه استدعاء للإفهام المركبة في أجواف المخاطبين، وجعل ما ذكر فيه حجة عليهم[3].

2- ابتداء قوله- تعالى- **{ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر}**[4] بجملة إخبارية وانتهاؤه بجملة استفهامية، والفائدة من تكراره طلب تحقيق اتعاظ كفار مكة بما ذكر، ليستأنفوا التيقظ عند استماع كل نبأ من أنباء الأقوام المعاندين حتى لا تستولي عليهم الغفلة[5].

3- في تكرار التركيب الاستفهامي: **{فكيف كان عذابي ونذر}** أربع مرات، مرة بعد قصة نوح، ومرتين بعد قصة عاد، ومرة بعد قصة ثمود تهويل وتعجيب من أمر الأقوام المذكورين بعد بيان ما حل بهم[6]، وتخويف وتحذير مما حل بهم، ليتعظ حامل القرآن، ويعظ غيره[7] بهذا الوعيد المؤكد بالتكرار، إن سلك مسلكا مشابها لمسالكهم، وثمة وجهان في تأويل ذكر التركيب المذكور مرتين بعد قصة عاد دون بقية القصص:

الأول: لقد ورد في القصة المذكورة أن الله- سبحانه- قد امتحنهم لما كذبوا هودا - عليه السلام- بالقحط ثلاث سنين، فاشتد عليهم ذلك حتى بعثوا وجوههم إلى مكة، ليستسقوا لهم، بيد أنهم لم يعتبروا، ولم يخافوا، ومضوا في تكذيبهم،

---

(1) أبو حيان: 8/ 178.

(2) الرازي: 29/ 40.

(3) حاشية الجمل على الجلالين: 4/ 245.

(4) آ: 17.

(5) الزمخشري: 4/ 439، أبو حيان: 8/ 182، و =: أضواء على متشابهات القرآن: 2/ 234.

(6) أبو حيان: 8/ 280.

(7) أسرار التكرار في القرآن: 197، =: القرآن وعلم النفس- عبدالوهاب حمودة: 96، محمد عثمان نجاتي: 164.

فأرسل- سبحانه- عليهم الريح العقيم، فأهلكهم بها، فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم، وهـذا يعنـي: أنهـم أخـذوا بعـذابين، القحـط أولا، والاستئصـال بـالريح ثانيـا، وفي قولـه تعـالى: {**فكيف كان عذابي ونذر**} [1] إشارة إلى هذين العذابين[2]، وقيل: لأن قوم عاد اختصـوا في ما نزل فيهم من كتاب الـلـه بذكر عـذابين، الأول في الـدنيا، والثـاني في الآخـرة[3]، لقولـه- تعالى- فيهم: {**لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الـدنيا ولعـذاب الآخـرة أخـزى وهـم لا ينصرون**} [4] ولم يختص قوم نوح والثموديون الا بنوع واحد من العذاب، فلـم تكـن ثمـة داعية إلى تكرار التركيب الذي نحن بصدده في نهاية قصتهم[5] مرة أخرى.

الثاني: اعتبار الاختصار في ذكر قصة عاد سـببا لتكـرار الاسـتفهام فيهـا، قـال- تعـالى-: {**ولقـد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر، كذبت عاد فكيـف كـان عـذابي ونـذر**} [6] حثـا عـلى التدبر والتفكر حتى لا تفوت العبرة بمضمون قصتهم[7].

(1) آ: 18.

(2) ملاك التأويل: 1053.

(3) درة التنزيل: 46، و =: أسرار التكرار في القرآن: 197، الآلوسي: 8/ 480.

(4) فصلت: آ: 6.

(5) ملاك التأويل: 1053.

(6) آ: 17، 18.

(7) الرازي: 44/29.

4- أما الملحظ الرابع ففي قصة لوط، وتكرار التركيب مصدرا بالأمر فيها، قال- تعالى- {**فذوقوا عذابي ونذر**} [1] والقول فيها كالذي قيل في قصة عاد قبلها، لأن قوم لوط أصيبوا بنوعين من العذاب، كان الأول خاصا بمراوديه عن ضيفيه من الملائكة الكرام، والثاني عاما[2]، فطمس أعين أولئك المراودين هو غير العذاب الذي أهلك به سائر القوم[3]، وخلاصة ما عرضناه: أن التكرار الوارد في سورة القمر قد أدى وظائفه السياقية المطلوبة في تقرير الحقائق وتثبيت المعاني، وتأكيدها في النفوس، فضلا عن أدائه الوظيفة الأدبية في التأثير الوجداني بإيجازه في عرض تعاقب الأحداث وبتوافق رؤوس الآي فيه، وبالجرس العذب الذي يحدث أعمق الأثر في النفوس[4].

سورة الرحمن:

وهي من أقرب سور القرآن إلى أذهاننا حين نستذكر ما نعرفه في كتابنا الكريم من التكرار المحض، فقد ورد فيها قوله- تعالى- {**فبأي آلاء ربكما تكذبان**} إحدى وثلاثين مرة[5]، وتكرارها يأخذ في السورة هيئة آيات مستقلة بالعدد المذكور من العدد المجمل لآيات السورة كلها، وهي ثمان وسبعون، وقد وصف التكرار الذي نحن بصدده بأنه " أحلى من السكر "[6]، وبأنه: "منقطع النظير"[7] وهاتان صفتان مجازيتان لا مشاحة

---

(1) آ: 37، 39.

(2) الرازي: 63/29.

(3) القرطبي: 144/17.

(4) =: الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية: 114، 116.

(5) آ: 13، 16، 18، 21، 23، 25، 28، 30، 32، 34، 36، 38، 40، 42، 45، 47، 49، 51، 53، 55، 57، 59، 61، 63، 65، 67، 69، 71، 73، 75، 77.

(6) الآلوسي: 8/ 287.

(7) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة: 22/27.

فيهما، فمن تمثل بناء سورة الرحمن كلها وجدها مفتتحة بذكر النعم الإلهية وضروبها الضامّة لعجائب خلق الله- تعالى- وبدائع صنعه، ومبدأ الخلق ومعادهم[1]، وهي نعم تجل عن إحاطتنا بوصفها، بحيث يعجز العارفون بها عن شكرها، فضلا عن كونها دلائل واضحة وشواهد قاطعة للمعتبر على انفراده- سبحانه- بالخلق والإنشاء والإبداع[2]، وقد استهلت بثمان، ذكرها- تعالى- بقوله: {**الرحمن* علم القرآن* خلق الانسان * علمه البيان * الشمس والقمر بحسبان* والنجم والشجر يسجدان* والسماء رفعها ووضع الميزان * ألا تطغوا في الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان * والأرض وضعها للأنام * فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام * والحب ذو العصف والريحان**}[3]. فلما كانت هذه النعم الثمان مما يشاهده الخلائق، ولا طمع لأحد في نسبتها إلى غيره- عز وجل، أتبع ذلك- سبحانه- بتقرير الثقلين (الإنس والجان) وتعجيز الفريقين بالتعقيب على مسرد النعم المذكورة بقوله- جل من قائل- {**فبأي آلاء ربكما تكذبان**}[4]، ثم عرفنا- عز من فاعل- بالثقلين وبالمادة التي أوجدهما منها، بقوله: {**خلق الانسان من صلصال كالفخار * وخلق الجان من مارج من نار**}[5] واصفا ذاته العلية بأنه: {**رب المشرقين ورب المغربين**}[6] وذكر فعلا عظيما من أفعاله- عز وجل ـ وهو

(1) القاسمي: 16/ 5637، فتح الرحمن لكشف ما يلتبس من القرآن: 4/ 117 بحسب تقسيم مادته: على هامش أجزاء تفسير الشربيني.

(2) ملاك التأويل: 1061.

(3) آ: 1- 12.

(4) آ: 13.

(5) آ: 14، 15.

(6) آ: 17.

مرجه البحرين يلتقيان وينفصلان بقوله: {**مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان**}[1]، وأتبع ذكرهما بذكر ما يخرج منهما للانتفاع والزينة: {**يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان**}[2] والسفن: {**وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام**} [3] قبل ان ترد الآية التي سوّى فيها بين مخلوقات الأرض جميعا فيما كتبه عليها من الفناء: {**كل من عليها فان**} [4] والآية التي سرى فيها بين الملائكة والثقلين في الافتقار اليه: {**يسئله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن**} [5] وقد تليت كل واحدة من هذه الآيات السبع بقوله: {**فبأي آلاء ربكما تكذبان**} [6]، قبل انصراف الآيات بعد ذلك إلى سبع قضايا وعيدية بعدد أبواب جهنم مبتدأه بقوله- تعالى-: {**سنفرغ لكم أيه الثقلان**}[7] ومنتهية بقوله: {**هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون * يطوفون بينها وبين حميم آن**}[8] مشفوعة كل آية من هذه السبع بقوله تعالى: {**فبأي آلاء ربكما تكذبان**} [9] ليصبح عد تكراراتها خمسة عشر تكرارا، بعد أن كان ثمانية في المجموعة

---

(1) آ: 20.

(2) آ: 22.

(3) آ: 24.

(4) آ: 26.

(5) آ: 29.

(6) آ: 16، 18، 21، 23، 25، 28، 30.

(7) آ: 31.

(8) آ: 43، 44.

(9) آ: 32، 34، 36، 38، 40، 42، 45.

الثانية من الآي في السورة ومضى السياق في وصف الجنتين التي وعد بها- تبارك- عباده المخلصين بقوله: {**ولمن خاق مقام ربه جنتان**}[1]. ووصف الجنان وأهلها حتى قوله: {**هل جزاء الاحسان الا الاحسان**}[2]. وقد تم ذلك في ثمان آيات على قسمة أبواب الجنان، متلوة كل واحدة بقوله {**فبأي آلاء ربكما تكذبان**}[3] أيضا ليصبح عدد التكرار ثلاثة وعشرين، وقد تلت هذه المجموعة الثالثة من الآيات ثمان أخرى في وصف الجنتين اللتين ذكر- سبحانه- أنهما دون الجنتين المذكورتين آنفا، وابتدأ وصفهما بقوله: {**ومن دونهما جنتان**}[4] وعرض الوصف لثمان قضايا، تتعلق بهاتين الجنتين وأهلهما، حتى انتهى بقوله تعالى: {**متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان**}[5]، وكانت آية التكرار تتلو كل آية من آيات هذه المجموعة الرابعة من السورة أيضا[6] ليكون مجموع تكراراتها- كما أسلفنا- إحدى وثلاثين مرة، وقد عدّ تقسيم آيات السورة كلها من غرائب القرآن الكريم، فثمان عقيب تعداد عجائب الخلق الإلهي ،وذكر المبدأ والمعاد، وسبع عقيب ذكر النار وأهوالها بعدد أبواب جهنم، وثمان في ذكر اثنتين من الجنان وأهلها بعد أبواب الجنة، وثمان عقيب وصف ما دون تينك الجنتين المذكورتين من الجنان، فمن اعتقد بمطالب الثماني الأولى، وعمل بها استحق من الكرم الإلهي كل ما ذكر في المجموعتين الثالثة والرابعة من النعم، ووقاه- سبحانه- ألوان

---

(1) آ: 46.

(2) آ: 60.

(3) آ: 47، 49، 51، 53، 55، 57، 61.

(4) آ: 62.

(5) آ: 76.

(6) آ: 63، 65، 67، 69، 71، 73، 75، 77.

العقاب المذكور في السبع السابقة كل هذا قبل أن ينزه- تعالى- نفسه عما لا يليق بجلاله[1].

وقد اجتهد المفسرون في بيان سرّ تكرار التركيب الاستفهامي **{فبأي آلاء ربكما تكذبان}** الذي نحن بصدده بعد كل نعمة ذكرها- تعالى- فقيل: إنه تقرير للنعمة، وتأكيد للتذكير بها[2]، فلعل في هذا السؤال المتكرر ما يثير في نفس سامعيه اليقين بأنه ليس من الصواب نكران نعم تكررت وآلاء توالت[3]، فيكون هذا زاجرا له عن المعاصي[4]، وقيل: إنه أداة للترغيب في الدعوة إلى الله[5]، فكأنما أريد بترداد الآية المذكورة بهذا العدد الكبير الارنان بها، والارتفاع بالصوت والترنم به، استشعارا لرحمة الله وترغيبا للانسان كي يتمثل في ضميره نعم ربه. دنيوية وآخروية، حتى يستنقذ نفسه من العذاب الأليم، وينال ما يجدر به من الثواب والنعيم[6]، فبذكر هذه النعم إستبانت السبيل الإلهية المفضية للسعادة، وسبل المجرمين المؤدية للشقاء، فلا وجه للكفار في تكذيبهم، ولا عذر مع ذلك لكفرهم[7]، وقد أثير ثمة سؤال متصل بإستكناه سر تكرار قوله- تعالى-:

---

(1) غرائب القرآن: 97/17.

(2) تأويل مشكل القرآن: 239، و =: الطراز: 178/2، كتاب: الصناعتين: 1/ 194، الرازي: 27/29، الشوكاني: 33/5، الشربيني: 4 /161، الآلوسي: 8 /287- 288، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن: 111، حاشية الجمل على الجلالين: 4 /254، و =: تفسير سور المفصل من القرآن الكريم: 86، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية: 117، أساليب التوكيد في القرآن الكريم – بحث كاظم فتحي الراوي: آداب المستنصرية، ع1، بغداد، 1975-1976: 183، أسرار التكرار في لغة القرآن: 55 و =: القرآن وعلم النفس- عبدالوهاب حمودة: 95.

(3) المعاني في ضوء أساليب القرآن: 356.

(4) تنزيه القرآن عن المطاعن: 410.

(5) النظم الفني في القرآن: 301.

(6) سورة الرحمن وسور قصار: 21.

(7) قاموس قرآني: 187.

{**فبأي آلاء ربكما تكذبان**} في سورة الرحمن، مفاده- كما تداوله المفسرون-: إذا كانت هذه الآية قد ذكرت للترغيب وتجديد ذكر النعم، فكيف عقب- سبحانه- ذكر ما ليس من النعيم، بقوله: {**وهذه جهنم التي يكذب بها المجرمون * يطوفون بينها وبين حميم آن**} [1] وقوله: {**يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران**}[2]، فأي موضع للنعمة هنا في معرض الوعيد بلهب السعير والدخان المستطير؟![3] وقد اتجه دارسو الإعجاز إلى تقديم جواب شاف عن هذا التساؤل نبدأ منه بإشارة الباقلاني (ت 403) إلى أن ذكر جهنم والعذاب- وإن لم يكونا من آلاء الله- فان وصفه- تعالى- لهما على طريق الزجر عن المعاصي والترغيب في الطاعات من الآلاء والنعم[4]، وقال الخطابي (ت 388) إن الله- تعالى- أنذر ((وحذر من عقوباته على معاصيه، ليحذروها فيرتدعوا عنها، بإزاء نعمه على ما وعد وبشر من ثوابه على طاعته، ليرغبوا فيها، ويحرصوا عليها، وإنما تحقق معرفة الشيء بأن يعتبر بضده، ليوقف على حده))[5]، ومن الدارسين من نفى عد الآية المذكورة مكررة، لأنها معلقة في كل مرة بنعمة مختلفة عن النعمة المذكورة قبلها، فهو- تعالى- قد عنى بكل قول غير ما عناه في القول الذي قبله[6]، وقد عزا القاسمي (ت 1332) إلى السبكي (ت 733) في الرد على هذا التصور إشارته إلى أن ((العبرة بعموم اللفظ، فكل واحد أريد به ما أريد بالآخر، ولكن كرر ليكون نصا

---

(1) آ: 43،44.

(2) آ: 35.

(3) نكت الانتصار لنقل القرآن: 217، و =: المغني في أبواب التوحيد والعدل: 399/16، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: 196.

(4) النكت....: 216- 217.

(5) بيان إعجاز القرآن: 54، ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.

(6) إعراب القرآن: 3/ 304، و =: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: 190، المغني: 399/16، وبلاغة القرآن في آثار القاضي عبدالجبار: 203، وبلاغة القرآن بين الفن والتاريخ: 141.

فيما يليه ظاهرا في غيره))[1]، والظاهر- كما لا يخفى- يحقق القول بتكرارها، فليس لأحد شقّ أي تصور ينفي الوجه الظاهر لورودها في السورة، حتى وان كان القصد تعزيز القول بنوع المقصد الإلهي في كل موضع، وخصوصيته المتصلة بما قبله من الآي.

سورة المرسلات:

وقد تكرر فيها قوله- تعالى-: {**ويل يومئذ للمكذبين**} عشر مرات[2]، موزعا بين آياتها الخمسين المبدوءة بالقسم الإلهي العظيم بطوائف من الملائكة: {**والمرسلات عرفا**}[3]، وبرياح أرسلهن- تعالى- فعصفن{**فالعاصفات عصفا**}[4]، وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو: {**والناشرات نشرا**}[5]، كل هذا في معرض إنذار انتهى إلى قوله: {**إنما توعدون لواق**}[6]، يعني: يوم الفصل، وقد ذكر- سبحانه- صفة هذا اليوم وموعده بقوله: {**فاذا النجوم طمست * وإذا السماء فرجت * وإذا الجبال نسفت * وإذا الرسل أقتت* لأي يوم أجلت * ليوم الفصل**}[7]، قبل أن يتجه- عز وجل- إلى رسوله ﷺ ليسأله عن معرفته لذلك اليوم تعظيما له وإنباء بأهواله وشدائده بقوله: {**وما أدراك ما يوم**

(1) القاسمي: 5635/16، و =: السبكي: عروس الأفراح، ضمن مجموعة: شروح التلخيص: 3 /219.

(2) آ: 15،19،24،28،34،37،40،45،47،49

(3) آ: 1.

(4) آ: 2.

(5) آ: 3.

(6) آ: 7.

(7) آ: 8- 12.

الفصل}[1]، وبعد كل هذا القسم والتهويل والتعظيم ورد دعاؤه- تعالى- على المكذبين بقوله: {**ويل يومئذ للمكذبين}**[2] مكرراً- كما أسلفنا- بعد هذه الآية نفسها في موضعها تسع مرات، والأخيرة منهن غبّ قوله- عز وجل-: {**وإذا قيل لهم أركعوا لا يركعون}**[3].

وقد وبخ- سبحانه- المكذبين في السورة كلها على غفلتهم عن تذكر ما أخذ به الذين تقدموا عليهم من مكذبي الأمم، وصولا إلى تذكيرهم بنعمه السابقة على عباده المحسنين في كل جيل وفي كل مكان، ولفت أنظارهم إلى مقارنته- عز وجل- بين الفريقين وإشارته في النهاية إلى المنحرفين منهم عن سبيله، والمكذبين الذين لا يؤمنون بأي حديث من أحاديث أنبيائه ودعواتهم لهم إلى الهداية.

وقد ذكر- تعالى- حال المتقين في أربع آيات- ابتدأت بقوله: {**ان المتقين في ظلل وعيون}**[4] ولم يتخللها أي دعاء على المكذبين بالويل لئلا يشرب- كما قال الغرناطي (ت708)- بشارتهم تنغيص[5]، ثم عادت الآي إلى ما بينت عليه السورة كلها من وعيد وتخويف للمكذبين إلى آخرها، موزعا فيها الدعاء بالويل للمكذبين في ثلاث حلقات، ابتدأت بقوله- عز وجل-: {**كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون}**[6] إلى آخر

---

(1) آ: 14.

(2) آ: 15.

(3) آ: 48.

(4) آ: 41.

(5) ملاك التأويل: 1126.

(6) آ: 45.

السورة[1]. وقد أجرى- سبحانه- تطابقا في العدد بين آيات الدعاء وآيات البشارة للمؤمنين، ليكون ذلك زيادة في التنكيل بالمكذبين، وإشعارا لهم بلوعة الحسرة لدى سماع وصف حال من حاله على الضد منهم[2]، وفي هذا مقطع للرأي بأن التكرار للمقاصد الإلهية في السورة كلها معرض من معارض الإعجاز واجب الرصد والملاحظة؛ ويمكن القول: إن هذه السورة لما كانت مقصورة على إثبات ما أنكره الكفار من البعث والأحياء بعد الموت والحساب والثواب والعقاب، فمن فوائد التكرار فيها أنه يجدد للسامع الاتعاظ والتيقظ، حتى لا يغلبه السهو، أو تستولي عليه الغفلة[3]. فهو- إذا- أداة للترغيب والترهيب[4] في آن واحد، فتكرار الدعاء بالآية المذكورة فيه تهديد واضح لمن يكذب ما يراه من الأدلة الواضحة والبراهين القاطعة على وحدانية الله وصدق نبوة رسوله الأمين.

ومن الدارسين من اتجه إلى نفي القول بالتكرار في هذه السورة، تماما كما قالوا في تفسير سورة الرحمن، وذكر بعضهم: إنَّ كل دعاء فيها بالآية التي نحن بصددها متعلق بما قبله، فالويل الأول غير الثاني، والثاني غير الثالث[5] ؛ لأن لكل مكذب بشيء قدرا من العذاب غير العذاب الذي يستحقه على تكذيبه بشيء آخر، ورب شيء كذب به أعظم جرما من تكذيبه بغيره، وإنما يقسم له الويل على قدر ذلك التكذيب[6]. فكان هذا

---

(1) آ: 50.

(2) ملاك التأويل: 1126- 1127.

(3) أضواء على متشابهات القرآن: 2/ 292.

(4) الطراز: 2 /178- 179، الإيضاح في علوم البلاغة: 113، فتح الرحمن: 4 /441، و =: من بلاغة القرآن: 155، تفسير الجزأين عم وتبارك: 189، النظم الفني في القرآن: 326، أسرار التكرار في لغة القرآن: 56.

(5) نكت الانتصار لنقل القرآن: 215، التسهيل لعلوم التنزيل: 4 /171، فتح الرحمن: 441/4، و =: تنويه القرآن عن المطاعن: 445، المغني.. 16 /399.

(6) القرطبي: 19 /158، تفسير الجزأين :عم وتبارك: 189، القرآن وعلم النفس، عبدالوهاب حمودة: 96، محمد عثمان نجاتي: 164.

التدريج في مراتب الحساب اقتضاء إلهيا لتجديد القول بالويـل للمكـذبين عـلى درجـات تكـذيباتهم وألوانها، ومع هذا فان الظاهر هو لحظ التكرار، كما لحظناه في سـورة الـرحمن ولم نجـد في كـل مـا قرأناه من التأويل المحرر على سورة " المرسلات " ما يشعرنا بدفع وقوع التكرار فيها بقصـد الإيحـاء بالرهبة، وملء القلوب رعبا من التكذيب[1] باليوم الآخر امتدادا إليه من الحياة الدنيا، فلا جـرم قـد كرر هذا الإنذار عقب كل وصف له، أو فعل سيقع فيه، أو عمل من اللـه- عـز وجـل- يـدل عـلى قدرته[2]. وبدا في الوقت نفسه- كما قيل- لازمة للإيقـاع في السـورة، وعـد انسـب تعقيـب لملامحهـا الحادة، ومشاهدها العنيفة، وإيقاعها الشديد، والتكرار على هـذا النحـو قـد أعطاهـا سـمة خاصـة وطعما مميزا حادا[3].

سورة التكاثر:

قال- تعالى-: {**الهكم التكاثر * حتـى زرتـم المقـابر * كـلا سـوف تعلمـون * ثـم كـلا سـوف تعلمون * كلا لو تعلمون علم اليقين * لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين * ثم لتسـئلن يومئـذ عن النعيم**} [4].

ولا تخفـــى علينـــا مـــادة التكـــرار في هـــذه الســـورة وهـــي: تكـــرار حـــرف الـــردع: (كلا) ثلاث مـرات، وحـرف التسـويف مـرتين، وفعـل العلـم ثلاثـا، ومصـدره مـرة واحـدة ولكـن بـؤرة التكـرار المحـض فيهـا مـنحصرة في آيتيهـا الثالثـة والرابعـة فقـط. ومطلـب القـول وعيـده- سـبحانه- للمخـاطبين الـذين شـغلهم التكـاثر بـالأموال والأولاد حتـى زاروا المقـابر

(1) المعاني في ضوء أساليب القرآن: 357.

(2) أسرار التكرار في لغة القرآن: 56.

(3) في ظلال القرآن: 8/ 408.

(4) آ: 1- 8.

متفاخرين بعدد قبـور موتـاهم، ومنشـغلين بـذلك عـن طاعـة اللــه[1]، وقـد ذكـر في هـذا التكـرار وجهان:

الأول: إنَّ في السورة تكرارا لتأكيد الردع والإنذار[2]، وللإلحاح في التهديد والإصرار على التأنيب[3]، وهو وعيد بعد وعيد[4] للتغليظ والتخويف والتهديد[5] الذي ناسبه التكرار تحقيقـا وتثبيتـا، تماما كما جرى في قوله تعالى: {**الحاقة مـا الحاقـة**} [6] وقولـه: {**القارعـة مـا القارعـة**} [7] ومـا شاكل[8]، وقد دخلت (ثم) العاطفـة عـلى القـول الثـاني لتشـير إلى ان الثـاني أعظـم وأبلـغ مـن الأول[9]، ولتحرز نية الاعتناء بالمعطوف بها، وبيان أنه آكد مـن الأول[10]، بحسـب التراتـب، لأن مدلول الجملتين اللتين تليان موضعي ذكرها الثاني والثالث في السورة أرقى رتبة في الغرض مـن

---

(1) الزمخشري: 4 /791، النسفي: 5 /394، معاني القرآن وإعرابه- الزجاج ـ: 5 /357، و = :، التفسير البياني للقـرآن الكريم: 1 /191.

(2) أسرار التكرار في القرآن: 224، الـزمخشري: 4/ 792، القرطبـي: 172/2، أبـو السـعود: 582/4، الآلـوسي: 448/9، الشربيني: 582/4، =: التسهيل لعلوم التنزيل: 4 /216، و =: وتفسير الجزأين عم وتبـارك: 435، وأسرار التكـرار في لغة القرآن: 52.

(3) التفسير البياني: 10 /191.

(4) الرازي: 78/32، القرطبي: 283/5، و =: تفسير الجزأين: عم وتبارك: 35.

(5) معاني القرآن- الفراء- 3 /287، إعراب القرآن: 3 /761.

(6) الحاقة: آ: 1- 2.

(7) القارعة: آ: 1- 2.

(8) ملاك التأويل: 118.

(9) الزمخشري: 4 /792، أبو السـعود: 283/5، الآلـوسي: 9 /448، الشربينـي: 4 /582، و =: مـلاك التأويـل: 1146، التسهيل لعلوم التنزيل: 4/ 416.

(10) ملاك التأويل: 118.

مضمون الجملة التي قبله[1]، وقد حذف متعلق فعل (العلم) للمبالغة[2]، لأن الغرض هو الفعل لا متعلقه[3].

الثاني: إنّهُ لا تكرار في السورة، فلكون القول الثاني غير الأول حسن العطف بـ(ثم) التي يقول النحاة: إنها للعطف بين المتغايرين[4]، فالمؤكد لا يعطف على المؤكد لما بينهما من شدة الاتصال[5]، فثم لهذا الاعتبار للبعد والتفاوت الرتبي، فكأنه قد قيل للمقصودين بالخطاب: هذا ردع وزجر لكم شديد، بل هو أشدّ وأشدّ، فصار كأنه مغاير لما قبله، ولذا خص عطفه بالحرف المذكور[6] وقيل: الأول توعد بما ينالهم في القبر غبَّ دنياهم، والثاني: توعد بما أعد لهم في الآخرة عند النشور[7]، وقيل أيضا: إن الأول هو ما يلقونه عند الموت، حين يقال لهم: لا بشرى، والثاني في ما يرونه من عذاب القبر ومع كون عذابهم عذابين اثنين، أحدهما في آخر ساعات الدنيا، والآخر في أولى ساعات البرزخ بعد الدفن، فإن أحدهما غير الآخر[8]، وقيل كذلك: إن الأول عند النشور حين يقال لهم: إنكم مبعوثون، والثاني في ساعة البعث يوم القيامة، حين يقال لهم: إنكم معذبون[9]، وكل هذا المذكور وجوه محتملة وتأويلات مقبولة يحتملها النص القرآني، وواقع الحال الذي

---

(1) ابن عاشور: 30 /12.

(2) القاسمي: 17 /6032.

(3) تفسير الجزأين: عم وتبارك: 435.

(4) معاني النحو: 3/ 235.

(5) الآلوسي: 9/ 448.

(6) القاسمي: 17 /6032.

(7) القرطبي: 20/ 172.

(8) درة التنزيل: 335، أسرار التكرار في القرآن: 224، القرطبي: 20 /172، الرازي: 78/32، أبو السعود: 283، و =: بلاغة القرآن في آثار القاضي عبدالجبار: 202.

(9) درة التنزيل: 353، الرازي: 78/32، و =: الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن: 434/30.

سيكون إليه المآل، وهذا كله لا ينفي وجود التكرار، فالتكرار واضح، وقد ورد مثله في أكثر من موضع قرآني، من ذلك قوله تعالى في الوليد بن المغيرة: {**قتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر**} [1]، فقال المفسرون: القول الثاني تأكيد للتعجب من حاله[2]، ولا يمكن حمله على غير ما ورد عليه القول الأول، فالقولان في الشخص نفسه، والثاني منهما آكد، فتكراره بعد القول الأول أكسب الكلام قوة واضحة، ومثله أيضا قوله- تعالى-: {**أولى لك فأولى * ثم أولى لك فأولى**} [3]، وقد نقل عن الضحاك (بن...؟) أنه قال: إن الزجر الأول وعيد للكافرين، والثاني وعد للمؤمنين، أي: سوف تعلمون أيها الكفار، ثم سوف تعلمون أيها المؤمنون[4]، وقيل: إن كليهما وعيد، أولهما للكفار، والآخر للعصاة من المؤمنين[5]، دفعا للقول بوقوع التكرار في القرآن الكريم، وهذا هو ما رجحه أبو جعفر النحاس[6] (ت338)، ولكننا لا نرجحه، لأنه خلاف الظاهر، ولكونه تأويلا بعيدا، فلوعدنا إلى سياق سورة التكاثر لوجدنا أنها منعقدة على التكرار في بنائها العام، فقد كرر فيها الردع بـ(كلا) ثلاث مرات- كما أسلفنا- وكرر كل من ذكر فعل (الرؤية) ولفظ (اليقين) مرتين، وقد نقل عن الإمام علي- كرم الله وجهه- أنه قال: (كلا ستعلمون) الأول في القبور، والثاني في البعث[7]، وهذا يعني: أنهما

---

(1) المدثر- آ: 19، 20.

(2) ملاك التأويل: 1117، و =: فتح الرحمن: 4/ 410، ابن عاشور: 29 /309.

(3) القيامة- آ: 34، 35.

(4) ابن عطية: 559/15، و =: الرازي: 32 /78، ابن كثير: 4/ 546.

(5) الآلوسي: 9/ 448، التسهيل لعلوم التنزيل: 4/ 216.

(6) إعراب القرآن: 3/ 761.

(7) أبن عطية: 15/ 559.

نوعان والقول بوقوع التكرار رهين باختلاف الأنواع كما نراه، وكما ثقفناه بوعينا من كلام أهل التفسير.

التكرار المحض في سورتين:

سورتا البقرة ولقمان:

لقد ألمحنا إلى مجيء هذا النمط من التكرار ثلاثا وعشرين مرة في القرآن الكريم[1]، سنختار منها خمسا فقط للدرس والتحليل إيثارا للاختصار، ونبدأ بقوله- تعالى-: {**أولئك على هدى من ربهم * وأولئك هم المفلحون**}، وقد ورد هذا التركيب مرتين، أولاهما في سورة البقرة[2]، والثانية في سورة لقمان[3]، وتلفتنا العودة إلى السياق الذي ورد فيه هذا التركيب في كل من السورتين إلى تعلق التركيب المذكور في الموضع الأول بقوله تعالى:

{**ألم * ذلك الكتب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذينَ يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون**}[4]. وهذا يعني: أنه تعقيب على ما ذكر من أوصاف المتقين، وتوطئة لما سيذكر بعده من أوصاف الكافرين في قوله تعالى: {**إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا**

(1) = ص: 27، آنفا.

(2) آ: 5.

(3) آ: 5.

(4) آ: 1- 5.

يؤمنون}[1]، وقد جرى الأمر على هذا الحذو في سورة لقمان أيضا فهو فيها بعد استهلالها بقوله- تعالى-: {**ألم * تلك آيت الكتب الحكيم * هدى ورحمة للمحسنين * الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون}**[2]، وقبل قوله: {**ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين}**[3] لإنشاء التناظر بين أوصاف المؤمنين والكفار أيضا، وثمة حالة أسلوبية جامعة للسياق في صدر كل من السورتين المبدوءتين بداية تكاد تكون واحدة في الشكل والمضمون من أول الحروف المقطعة: {**ألم...**}، فقد مضى الكلام في الصدرين على ذكر الكتاب، وآياته ووصفه بأنه هدى ورحمة، وذكر أوصاف المؤمنين والمحسنين الذين ختمت أوصافهم في السورتين بالإشارة إلى أنهم يوقنون بالآخرة، فهم بذلك على هدى من ربهم، وأنهم المفلحون، مما رأينا ضرورة إفراغه في جدول، يكشف لنا عن بؤرة الالتقاء السياقي والتناظر المفصح بأن التكرار ظاهر، ولكنه غير متطابق تطابقا محضا إلا في مقطع أو مقطعين من السياق كله، كما سيتضح لفاحصه في الجدول الآتي:

البقرة	لقمان
{ألــم .	
- {ذلك الكتاب لا ريب فيه}	{تلك آيات الكتاب الحكيم}
- {هدى للمتقين}	{هدى ورحمة للمحسنين}

(1) آ: 6.

(2) آ: 1- 5.

(3) آ :76.

البقرة	لقمان
- {الذين يؤمنون بالغيب.....}	
- {ويقيمون الصلاة}	{الذين يقيمون الصلاة}
- {ومما رزقناهم ينفقون}	{ويؤتون الزكاة}
- {وبالآخرة هم يوقنون}	{وهم بالآخرة هم يوقنون}
{أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون}	

وقد أوصلنا هذا التناظر إلى أن المتقين المذكورين في سورة لقمان، وما سرد من أوصافهم لا ينفي حقيقتهم القرآنية، بل يؤكدها ويزيدها وضوحا، ويشعرنا بأن وحدة الوصف في نهاية السياقين في السورتين توحي بما ذكرنا من كون الفئتين المذكورتين فيهما فئة واحدة، جرت في معرض وصفيهما على أحوال ومكابدات إيمانية أوصلت الغرض القرآني إلى مداه الإلهي في تقدير النهايات الإنسانية وجزاءاتها بعد التصريح بأن أولئك المتقين المحسنين على هدى من ربهم جميعهم وسيجعلهم المفلحين- لا محالة- دنيا وآخرة.

سورتا آل عمران والأنفال:

قال- تعالى-: {**ذلك بما قدمت أيديكم وان الله ليس بظلام للعبيد**}. ورد هذا التركيب في السورتين المذكورتين تعقيبا على حالتين قرآنيتين مختلفتين، فهو في السورة الأولى تعقيب على ما أورده- سبحانه- من ذكر العقاب الذي سيحل بمن قالوا: {**إن الله فقير ونحن أغنياء**} فقد قال- عز وجل-: {**لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ستكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق * ذلك بما قدمت**

أيديكم وأن اللـه ليس بظلام للعبيد}[1]، وفي السورة الأخرى تعقيب على قول المنافقين ومرضى القلوب في التهكم بالمؤمنين وتبكيتهم: {**غرّ هؤلاء دينهم ومن يتوكل على اللـه فان اللـه عزيز حكيم * لو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملـئكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق * ذلك بما قدمت أيديكم وان اللـه ليس بظلام للعبيد}**[2]، وقد قيل: إن أصحاب المقالة الأولى هم اليهود[3] بعامة، وقيل: إن قاملها هو فنحاص بن عازوراء، حين حاوره أبو بكر الصديق- رضي اللـه عنه- في الإسلام، ودعاه إلى ان يقرض اللـه قرضا حسنا، فقال قولته الجائرة الفاسدة المذكورة[4]، ولا فرق في جوهر القضية ما دام فنحاص يهوديا، عبر بقولته عما كان عليه الوجدان اليهودي العام من الإسلام والنبوة المحمدية، وهو كائن على هذا الوضع حتى اليوم، فقد قالها أو قالوها حين سمعوا قوله- تعالى- في سورة البقرة: {**من ذا الذي يقرض اللـه قرضا حسنا}**[5]، فقالوا: إن إله محمد سيقترض منا، فنحن إذا أغنياء، وهو فقير[6]، وقيل: لقولهم في مخاطبة النبي- ﷺ-: أإفتقر ربك، فسأل عباده القرض[7]، وهذا القول أشنع أقوالهم في حق اللـه، وقتلهم الأنبياء أشنع أفعالهم، ولذا استحقوا العقاب[8] بما قدمت أيديهم على وجه التغليب[9] الكنائي بها عن

(1) آل عمران- آ: 181- 182.

(2) الأنفال- آ: 49- 51.

(3) النسفي: 1/ 276، ابن كثير: 1/ 2433.

(4) القرطبي: 4/ 294، أبو حيان: 3/ 130، أبن كثير: 1/ 334، البقاعي: 5/ 139، و=: أسباب النزول.

(5) آ: 245.

(6) النسفي: 1/ 276.

(7) ابن كثير: 1/ 433.

(8) أبو حيان: 3/ 130.

(9) النسفي: 1/ 277.

معاصيهم القولية والفعلية، لأن "اليد" أداة القدرة والفعـل[1]، و"العقـل" مصـدر التـدبير، وقـد جـاء عقابهم المذكور عدلا لا جورا لما وصفوا به الباري- عز وجل- من القـول الشـنيع، ومما أقـدموا عليـه من قتل الأنبياء[2] لأنه- سبحانه- لا يظلم أحدا من عباده، أيا كان إيمانه أو كفره.

أما آية الأنفال فتتجه بنا إلى ساعات معركـة بـدر، فقـد نجـم فيهـا مـن اليهـود[3]، ومنـافقي العرب في المدينة المنورة[4]، وضعاف النية ممن هم دون المنـافقين لحداثـة عهـدهم بالإسـلام[5] مـن وصف المؤمنين الخارجين إلى الجهاد- كما أسلفنا- بما حكاه- عز وجل- بقوله: {**غر هـؤلاء ديـنهم**} [6] أي: إنهم اغتروا بدينهم، فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر رجلا إلى زهاء ألف[7]، فقال:- تعالى- رادا عليهم: {**ومن يتوكل على الـلـه فان الـلـه عزيز حكيم**}[8] والمراد: إنه مالك تسليط القليل الضـعيف على الكثير القوي[9] ؛ لأنه- سبحانه- في ذاته عزيـز لا يغلبـه شيء، حكـيم يوصـل عذابـه إلى أعدائـه ورحمته إلى أوليائه[10]. وبعد أن شرح أحوال أولئك الكفار وأحـوال مـوتهم، والعـذاب الـذي سـيحل بهـم بقولـه: {**ولـو تـرى اذ يتـوفى الـذين كفـروا الملائكـة يضربـون وجـوههم وأدبـارهم وذوقـوا**

(1) الرازي: 15/ 179.

(2) م. ن: 9/ 120.

(3) البقاعي: 8/ 291.

(4) النسفي: 2/ 193، أبو حيان: 4/ 505، الرازي: 15/ 1760.

(5) القرطبي: 8/ 27.

(6) آ: 49.

(7) النسفي: 2/ 193.

(8) آ: 49.

(9) النسفي: 2/ 193.

(10) الرازي: 15/ 177.

عذاب الحريق} بين- عز وجل- أن العذاب الذي سيفرغ عليهم ناجم عما قدمت أيديهم من الفعل[1]، ونخلص من هذا العرض لموضعي مجيء التركيب الذي نحن بصدده في سورتيه إلى أن وروده فيهما لغرض متسق واحد مع اختلاف الحالة القرآنية التي يتصل بها في موضعها، وغرضه التعقيب به على أقوال رديئة فاهت بها فئات من أرباب العقائد الفاسدة في صدر تاريخ الدعوة الإسلامية، مما نستحضره الآن بالإشارات القرآنية إليه للذكرى والعبرة والاتعاظ به.

سورتا الأعراف ويونس:

قال- تعالى-: {**فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين**}. ورد هذا التركيب في السورتين المذكورتين إخبارا عن موقف قوم فرعون من الآيات البينات التي جاء بها موسى- عليه السلام- وهذا يعني اتصاله بحالة قرآنية واحدة في موضعيه خلافا لما وجدناه أو وصفناه في دراستنا للمثال السابق، فقد قال- تعالى- في سورة الأعراف: {**وقالوا مهما تأتنا من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين * فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيت مفصلت فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين**}[2]، وقال في سورة يونس: {**ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون إلى فرعون وملإبه بأيتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين**}[3]، وقد تضمن سياق الآية الأولى تفصيلا لذكر آيات موسى التسع، وتضمن الآخر إجمالا لها، بيد أنّ السياقين قد أفضيا إلى نتيجة واحدة، وهي تصوير استكبار الفراعنة وإجرامهم. فقد كانوا "كفارا ذوي آثام عظام"[4] بمستطاع المفسر التقاط صورة قرآنية واضحة عنها حين

---

(1) م. ن: 15/ 179.

(2) آ: 132- 133.

(3) آ: 75.

(4) الزمخشري: 2/ 361.

يتجه إلى تمثل المدة الوسيطة من حياة موسى- عليه السلام- في مصر، ومن آثام فرعون مصر في تلك المدة كفرياته ومجلس سحرته وما اضطر به موسى إلى الخروج بقومه من مصر عبر البحر، مما لا نتحدث عنه في هذا المقام.

سورتا الزخرف والمعارج:

قال- تعالى-: {**فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلقوا يومهم الذي يوعدون**}[1]. ورد هذا التركيب في السورتين المذكورتين متضمنا وعيدا للمشركين، ويمكن أن يعزى تكرار هذا التركيب إلى اختلاف نوع اللعب المشار إليه في كل منهما، واختلاف الحالة التي دعت إلى ذلكم الوعيد في سورته، فهو في سورة الزخرف معلق بادعاء المشركين الباطل على الله، بقولهم: إن لله ولدا، وقيل: إن النضر بن عبد الدار بن قصي كان قد قال: إن الملائكة بنات الله[2]؛ فنزل قوله- تعالى-: {**قل إن كان للرحمن ولد فانا اول العبدين * سبحن رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون * فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلقوا يومهم الذي يوعدون**}[3]. أي: ذرهم- يا محمد- يخوضوا في باطلهم، ويلعبوا في دنياهم إلى ان يجيء يوم يلقون فيه العذاب الموعود[4]، وقد قيل: إن هذه الآية منسوخة في القرآن بآية السيف، وهي على أصح الأقوال قوله- تعالى-: {**فإذا انسلخ**

(1) الزخرف- آ: 83، المعارج- آ: 43.

(2) الزمخشري: 4/ 266، النسفي: 4/ 426، ابن عاشور: 25/ 265.

(3) آ: 81- 83.

(4) الزمخشري: 4/ 267، النسفي: 4/ 426، القرطبي: 25/ 103، ابو السعود: 5/ 5، ابن عاشور: 25/ 296.

الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم...}[1]، ونفى ابن الجوزي (ت 596) نسخها، لكونها وعيدا[2]، والوعيد الإلهي لا ينسخ، لأنه مسوغ بأسبابه وأحواله وغاياته القرآنية في مواضع وروده كما ورد في سورة الزخرف، وكما ورد في سورة المعارج أيضا، قال- تعالى-: {**فمال الذين قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين * أيطمع كل أمريء منهم ان يدخل جنة نعيم * كلا إنا خلقناهم مما يعلمون * فلا أقسم برب المشرق والمغرب إنا لقادرون * على ان نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين * فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلقوا يومهم الذي يوعدون**}[3]، وقيل: إن المشركين كانوا يجتمعون حول الرسول- ﷺ- حلقا حلقا، يستمعون كلامه ويستهزئون به، ويقولون: إن دخل هؤلاء الجنة- يعنون أصحابه رضوان اللـه عليهم- كما يقول، فلندخلنها قبلهم[4]، فنحن أهلها، لأن اللـه لم ينعم علينا في الدنيا بالمال والبنين وغير ذلك إلا لرضاه علينا[5]. فأبطل- سبحانه- قولهم هذا بالوعيد الذي أنذرهم به، لمعرض غير المعرض الذي ألمحنا إليه في تفسيرنا لآيات الخبر الأول المذكور في سورة الزخرف، ولا يخفى ما بين نصي الوعيد في معرضيه من التطابق الذي لا مشاحة في عدّهِ تكرار جاريا على نسيج واحد في ظرفين وزمنين مختلفين، وهذا التصور يعطيه حقيقته القرآنية في كل من موضعيه، ولكنه لا ينفي

(1) التوبة- آ: 5، و =: ابن عطية: 3/ 259، الشوكاني: 5/ 295، ونواسخ القرآن: 455، 495، والنسخ في القرآن الكريم- دراسة تشريعية تاريخية نقدية: 2/ 504.

(2) زاد المسير في علم التفسير: 8/ 366.

(3) آ: 36 - 42.

(4) الطبري : 29/ 86، ابن الجوزي: 8/ 364، الزمخشري: 4/ 163، النسفي: 5/ 261، أبو السعود: 5/ 195.

(5) ابن عطية: 15/ 106.

عنه حقيقته اللغوية في موضعيه المختلفين، كما نثقفها من دلالة مصطلح " التكرار المحض " عليه بوضوح.

سورتا المزمل والانسان:

قال- تعالى-: {**إن هذه تذكرة فمن شاء إتخذ إلى ربه سبيلا**}. ورد هذا التركيب في السورتين المذكورتين مكتنفا في سورة المزمل، وفي سورة الإنسان من غير اختلاف البتة في أية مادة من مواد تركيبه اللغوي، وقد اكتنفه في سياق السورة الأولى بحديث عن الذين كفروا بالآيات البينات وبالهدى الذي أتى به- ﷺ- فنطقت آياته بالوعيد لهم. قال- تعالى-: {**وأذكر أسم ربك وتبتل إليه تبتيلا * رب المشرق والمغرب لا إله الا هو فاتخذه وكيلا * وأصبر على ما يقولون وأهجرهم هجرا جميلا * وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا * إن لدينا أنكالا وجحيما * وطعاما ذا غصة وعذابا أليما * يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا * إنا أرسلنا اليكم رسولا شهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا * فعصى فرعون الرسول فأخذنه أخذا وبيلا * فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا * السماء منفطر به كان وعده مفعولا * إن هذه تذكرة فمن شاء إتخذ إلى ربه سبيلا**}[1] فهذه الآيات بما فيها من وعيد وتهديد موعظة لكل من لا يتخذ سبيل الحق، ولا ينشغل بالطاعة، ولا يحترز من المعصية، وقد أشير إلى عذابه بقرائن ذكر الأنكال والجحيم والأخذ الوبيل[2]. وقد تضمن السياق في سورة الإنسان حديثا مفصلا عن حياة الأبرار والنعيم الذي سيجازون به في الجنة التي سيؤولون إليها بوعد مبرور من الله- عز وجل- وقد جرى هذا الوعد في معرض مخالف تماما للمعرض الأول، قال-

(1) المزمل- آ: 8- 19.

(2) ابن عطية: 15/ 166، القرطبي: 19/ 51، 152.

تعالى-: {**إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا * عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا**}[1] ، ثم قال عز من قائل: {**إنا نحن نزلنا عليك القرءآن تنزيلا * فأصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا * واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا * ومن الّيل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا * إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا * نحن خلقنهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثلهم تبديلا * إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا**}[2]، وهذه الآيات بما فيها من الترتيب العجيب والوعد والوعيد والترغيب والترهيب تذكرة لمن شاء الخير لنفسه في الدنيا والآخرة وأتخذ إلى ربه الوسيلة التي توصله إلى نعمة الوعد العظيم الذي وعده به الله[3]، وليس المعرض فيها معرض تخيير، بل معرض تحذير وحض على اتخاذ تلكم الوسيلة[4]، ومع انتفاء التشاكل بين المعرضين في السورتين، وتباين الغرضين فيهما بين أحوال الأشرار في الأول، وأحوال الأخيار في الثاني فقد تشاكلت الإشارة في آخر كل منهما إلى التذكرة بالوعد والوعيد الإلهيين بما جرى على وجه "التكرار المحض " الذي لا سبيل إلى الخلاف فيه.

- التكرار المحض في أكثر من سورتين:

ولم يأت منه في القرآن الكريم غير قوله- تعالى-: {**ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين**} في سور: يونس[5]، والأنبياء[6].

---

(1) آ: 5- 6.

(2) آ: 23- 29.

(3) الرازي: 30/ 261- 262.

(4) ابن عطية: 15/ 166، 254.

(5) آ: 48.

(6) آ: 38.

والنمل[1] وسبأ[2]، ويس[3]، والملك[4]. معقبا بـه عـلى سـت قضـايا مختلفـات فـيهن، فقـد سبقه قوله- تعالى-: {**ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهـم لا يظلمـون * ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين**} في سورة يونس[5]، وقولـه- سـبحانه-: { **وإذا رءاك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي يذكر ءآلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كـفرون * خلق الإنسـن من عجل سأوريكم ءآياتي فلا تستعجلون * ويقولون متـى هـذا الوعـد إن كنـتم صادقين**} في سورة الأنبياء[6]، وقوله: {**وقال الذين كفروا أءذا كنا تربـا وءاباؤنـا إئنـا لمخرجـون * لقد وعدنا هذا نحن وءَاباؤنا من قبل إن هذا إلا أسـطير الأولين * قل سيروا في الأرض فـانظروا كيف عاقبة المجرمين * ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مـما يمكـرون * ويقولـون متـى هـذا الوعد إن كنتم صدقين**} في سورة النمل[7]، وقوله: {**وما أرسلنـك الا كافـة للنـاس بشـيرا ونـذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون * ويقولون متـى هـذا الوعـد إن كنـتم صـادقين**} في سـورة سـبأ[8]، وقولـه: {**وإذا قيـل لهـم أنفقـوا مـما رزقكـم اللـــه قـال الـذين كفـروا للـذين آمنـوا أنطعـم**

(1) آ: 71.

(2) آ: 29.

(3) آ: 48.

(4) آ: 25.

(5) آ: 47- 48.

(6) آ: 36- 38.

(7) آ: 67- 71.

(8) آ: 28- 29.

من لو يشاء الـلـه أطعمه إن أنتم الا في ضلـل مبين * ويقولون متى هذا الوعد إن كنـتم صـادقين} في سورة يس[1] وقوله: {**قل هو الذي ذرأكم في الأرض واليه تحشرون * ويقولون متـى هـذا الوعـد إن كنتم صادقين**} في سورة الملك[2]، وهذا يعني: أنا نواجه مع ظـاهر الـنص الـذي بـين أيـدينا سـتة مطالب قرآنية ولكننا نستطيع ان نجعلهـا في حقيقـة الأمـر مطلبـين اثنـين لا غـير، بملاحظـة أوضـاع الموصوفين بالنص المذكور، لا بل نستطيع أن نجعل المطلبـين واحـدا في النهايـة أيضـا، وهـو وصـف المعاندين الذين يستبعدون الوعد والوعيد الإلهيين مجاهرين بما دل عليه النص من الشك والتحدي والتعجل، وهم في سورة يونس: المجاهرون بذلك من رجـال كـل الأمـم المكذبـة لرسـلها، وفي السـور الخمس الأخر: المكذبون من أمة محمد- ﷺ- بعد أن أنذر سائر أمته- عليه الصـلاة والسـلام- بـأنهم مبعوثون يوم القيامة خلقا آخر للحسـاب عقابـا أو ثوابـا، وقـد جـرى سـياق النـذارة أو البشـارة في السور المذكورة كلها مفصلا في واحدة منها، ومجملا في الأخرى وبما يناسـب الحـال والغـرض الإلهـي الذي لا يصعب علينا ملاحظته في موضعه بأيسر نظر.

---

(1) آ: 47- 48.

(2) آ: 24- 25.

الفصل الثاني

التكرار المؤتشب

الفصل الثاني

التكرار المؤتشب

● كلمة في رؤية المصطلح:

لقد ألمحنا في موضع سابق إلى أنّ مصطلح " التكرار المحض" الذي صدرنا به الفصل الأول سيشرع لنا باباً لمصطلح ثانٍ نصف به نوعا آخر من التكرار [1]وقصدنا البحث عما يخالف صفاء "المحضية" في تنوعه واختلاطه، ولما كنا سنتجه في هذا الفصل الجديد إلى العناية بثلاثة أنواع من التكرار في القرآن الكريم، يستقل الواحد منها بثنائية لغوية من ثلاث: (التعريف والتنكير/ التقديم والتأخير/الحذف والزيادة)، فقد آثرنا وصف هذه الأنواع بأنها " تكرار مؤتشب" أخذاً من دلالة لطيفة يذكرها اللغويون في جذر هذا الوصف في معجماتهم، من ذلك ما ذكره الزمخشري(ت538) مثلا في معرض التفسير: (الأشَب- بفتح الشين): "الأشُب: شدة التفاف الشجر حتى لا مجاز فيه، ومنه الحديث: بيني وبينك أشب، ومن المجاز: عدد أشب: مختلط.. وتأشبوا واتشبوا: تجمعوا من هنا وهنا، وجمع مؤتشب ومؤتشب: غير صريح...وعنده أشابة من الناس، وأشابة من المال: تخاليط"[2] وربما وصفوا: (اللبن) بأنه "محض"، حين يكون خالصاً، وبأنه "غير صِراح، حين يكون مختلطاً"[3]، وقد لطف لدينا اقتباس مصطلحنا الجديد من المفهوم الدلالي لهذا المدخل اللغوي الصغير مع الفرق الناجم لدينا فلسفياً بين مصطلحي: (المحض- والمؤتشب) في التصدير بالأول منهما لدراسة نوع واحد من التكرار في ذاتها، وهي في الفصل المصدر بها حقيقة واحدة، وتعلق الصفة الثانية بأنواع مختلفة من التكرار، وبالثاني لدراسة ثلاثة

---

(1) =: ص34، آنفا.

(2) مادته في أساس البلاغة: 6، و=: مادته في: الصحاح:223/1، ولسان العرب: 266/2 أيضا.

(3) مادته في: الصحاح: 381/1.

أنواع منه، وما ذلك إلا لتعلق الصفة الأولى بحقيقة التكرار في ذاتها، لا رابط بين كل نوع ونوع منها، لأنها ذوات ثلاث حقائق، تجتمع في إطار المصطلح الجديد اجتماعاً مختلطاً في إطار فسحة الفصل، لا اجتماعاً متداخلاً تضيع فيه حقيقة كل نوع منها في حقائق الأنواع الأخرى، فالتعريف والتنكير- بوصفهما ثنائية واحدة- لا يتداخلان مع التقديم والتأخير، او الزيادة والحذف باعتبار كل من الثنائيتين المذكورتين قائمة بنفسها، ومستقلة بحقيقتها اللغوية، كاستقلال تلك بنفسها وحقيقتها اللغوية أيضاً، وهذا يعني: أن الجمع بينهما تسويغ عملي مختار في منهج البحث انطلاقاً من المفهوم الدلالي الذي قبسناه- كما أسلفنا- من المدخل اللغوي الصغير الذي حررناه آنفاً، وقد قيل في المأثور من الكلام العربي: "ولا مُشَاحَة في الاصطلاح" لما ينطوي عليه الاصطلاح من الشجاعة في اختيار اللفظ ولكنها ليست اعتباطية، نختار ما ليس مناسباً من الألفاظ، لنفرغ في تخومه الدلالية ما تعنيه من المفاهيم والمقاصد إفراغاً قسرياً وتلزمنا إشارة في هذا المقام إلى أننا سنختم الفصل كله بدراسة خاصة كما سنؤثر تسميته في موضعه بأنه "حالتان من التكرار المؤتشب المركب"، ونعني بـ"التركيب": اشتمال آيتي التكرار على ظاهرتين اثنتين من الظواهر الثلاث المدروسة في سائر الفصل، مما سنزيده بياناً في تحليلنا له، فلزم الإيضاح والتنبيه على هذا قبل البدء بدراسة أولى الثنائيات الثلاث على نحو ما درجنا عليه من التحليل في الفصل الأول.

- التعريف والتنكير:

وبين أيدينا من أمثلة هذه الثنائية سبع حالات، سنحصرهن ابتداء في مسرد شامل، ينقسمن فيه قسمين بحسب نوع الضميمة اللغوية التي حققت التعريف في كل مثال من أمثلتها، فثمة أمثلة وقع التعريف فيها بالألف واللام فقط، وأمثلة أخرى وقع فيها بضميمتي الألف واللام والإضافة إلى الضمير، ومن أجل هذا وضع المسرد على النحو الآتي الذي تشير النجمات(*) في أثنائه إلى الآي اللواتي وقع فيهن التعريف مقابل التنكير في الأخريات:

القسم	السور وأرقام الآي	ضميمة التعريف
(1)	- البقرة-126/إبراهيم-35(*) - الأنعـام-21، 97، 144/الأعـراف-37/يـونس-17/هـود- 18/الكهـف-15/العنكبوت-68/الصف-7(*). - مريم-33/15(*).	الألف واللام الألف واللام الألف واللام
(2)	- الحجر-34(*)/ص-35. - طه-130/ق -39(*). - النور-58(*)/89. - الزمر-2(*)/14.	الألـف والـلام والإضـافة إلى الضمير

وسيقتصر تحليلنا بعد الفراغ من دراسة الحالات الثلاث الأولى على اثنتين من حالات القسم الثاني من المسرد المذكور، وهما الأولى المغنية فيه عن دراسة الثالثة لاشتراكهما معا بظاهرة الانتقال من التعريف بالألف واللام إلى التعريف بالإضافة، والرابعة المشتملة على "تحويل " تصدر كلا من آيتيها في سورتها الواحدة:

الزمر-2	فاعبد اللـه مخلصا له الدين
- 14	قل اللـه أعبد مخلصا له ديني

وهذا التحويل قد أخرج التكرار الواقع فيها باللزوم من دائرة " التكرار المحض" الذي عنينا بدراسته في فصلنا الأول، ودفعه بالضرورة عما عددناه في فصلنا هذا " تكراراً مؤتشباً" " كيما يقربه ويدخله في ما سنسميه: " تكراراً جامعاً " وسنعمل على إضاءة مصطلحه في مستهل فصلنا الثالث بما يناسب، ولكننا نشير في هذا المقام على سبيل التنبيه إلى أن الحالة المذكورة نفسها مشاكلة في نسيجها اللغوي للحالة الثانية التي نعنى بها من حالات القسم الثاني في المسرد، ومناط التشاكل بينهما الاشتمال على الانتقال من التعريف بالإضافة إلى الضمير إلى التعريف بالألف واللام في موقع الفاصلة من إحدى الآيتين في كل منهما وهما:

الزمر-2	فا عبد اللـه مخلصا له الدين
ق-39	وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقب الغروب

وفيما يأتي تحليلنا الشامل للحالات الخمس المختارة من قسمي المسرد الذي بدأنا به:

- سورة مريم:

قال- تعالى- في الموضع الأول من السورة المذكورة: {**وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا**}[1] وقال في الثاني:{**وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا**}[2]، والكلام في الآية الاولى على يحيى بن زكريا- عليه السلام-، وفي الثانية على عيسى بن مريم- عليه السلام- وما بينهما من تنكير" السلام" وتعريفه في إحداهما دون الأخرى، وقد قيل في ضميمة الألف واللام في هذا المثال من التكرار قولان؛ أحدها: أن الألف واللام عهدية، وبعبارة أخرى: إن مدلول لفظة.." سلام" نكرة في آية عيسى" وهي الآية الثالثة والثلاثون في السورة قد أصبح سلاماً معهوداً بعد وروده في آية يحيى، وهي الخامسة عشرة فيها، فيكون المعنى على لسان عيسى: أنّ ذلك السلام الموجه إلى يحيى في المواطن الثلاثة موجه إليّ[3]. الآخر: إنّ الألف واللام لاستغراق الجنس، أي: وجنس السلام عليّ وعلى أتباعي[4]، فلم يبق لأعداء عيسى إلا اللعن، لأن كلامه تعريض بذلك على من اتهم والدته مريم- عليها السلام- بالزنا[5]، ويفهم من كلام الكرماني أنّ " السلام" إنما جيء به نكرة في قصة يحيى، لأنه منه-تعالى- فالقليل منه كثير[6]، وقيل: إنما

(1) آ: 15.

(2) آ: 33..

(3) الزمخشري: 16/3، النسفي: 62/3.

(4) الزمخشري؛: 16/3، الرازي: 216/21، النسفي: 22/3، البقاعي: 194/12.

(5) الرازي: 216/21.

(6) أسرار التكرار في القرآن: 136.

جيء باللفظة نكرة؛ لأنّ بدن يحيى لم يسلم من الأذى[1]، وقصة قتله- عليه السلام- معروفة في قصص الأنبياء، ولكن بدن عيسى- عليه السلام- قد سلم من كل أذى، ومن أجل هذا جيء باللفظة في خبره معرفة لاستغراق جنس السلام، فكأنه قال: فلا يقدر أحد على ضرري يوم ولدت، فلم يضرني الشيطان، ويوم أموت سأموت كامل البدن والدين، لا يقدر احد على انتقاصهما[2]، وقيل: إنّ الألف واللام في آية عيسى مشعرة بذكر الله- سبحانه-؛ لأن " السلام" من أسمائه- تعالى-، ومشعرة بمعنى طلب السلامة منه، فضلا عن كونها مشعرة أيضا- في بعض المواضع- بعموم التحية، وهي غير مقصورة على المتكلم، لذا نكر لفظها في آية يحيى-عليه السلام- لاستغناء موطن ذكر " السلام" في قصته عن هذه الفوائد الثلاث؛ لأن المتكلم في الموطن المذكور- وهو الله-سبحانه-، لم يقصد التبرك بذكر اسمه " السلام" من أسمائه الحسنى، ولا التعرض لذلك وطلبه، كما يقصده العبد، كما أنه- عز وجل- لم يرد إعماما للتحية منه ومن غيره على يحيى؛ لأنّ سلاما منه وحده- تعالى- كاف من كل سلام، ومغن عن كل تحية، ولذا جيء باللفظة نكرة كما فهمنا من كلام السهيلي(ت581) قبالة اللفظة المعرفة في قول عيسى- عليه السلام- المشعرة بأن ذلكم العبد الصالح كان محتاجا في كلامه الى الفوائد المذكورة آنفا، وآكدها كلها عموم التحية، لاستحالة أن يقع سلام المرء على نفسه خاصة، فضلا عن استبعاد كينونته- عليه السلام- راغبا عن ذكر مولاه- عز وجل-، وتاركا التعرض لمعنى اسمه "السلام" ومقتضاه.[3]

---

(1) البقاعي: 180/12.

(2) م. ن: 194/12.

(3) نتائج الفكر في النحو: 415-416.

-سورتا البقرة وإبراهيم:

قال- تعالى- في سورة البقرة {**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آَمِنًا**}[1]، وقال في سورة إبراهيم {**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آَمِنًا**}[2] ولكل من هذين التركيبين في موضعه صلة سياقية تالية له، يتصل مدلولها بمدلوله، وصلة الأول قوله-عز وجل-: {**وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ**}، وصلة الثاني: {**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ**}، وقد وجدنا لتنكير "بلد" في سورة البقرة المدنية بعد تعريفه في سورة إبراهيم المكية[3] ثلاثة أوجه لا نغفل في استكناهها عن الحقيقة التاريخية للتوقيت الذي جأر فيه إبراهيم-عليه السلام- بدعائه هذا، ويشير الوجه الأول إلى أنّ دعاءَه لم يكن واحداً، وإنما كان دعاءين في وقتين مختلفين وقد نجم منه اللفظ قبل صيرورة مكة بلداً، وكانت يومئذ واديا مجدبا، اسكن فيه زوجه هاجر وولده إسماعيل ثم اتجه إلى ربه قائلا: {**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ**}[4] ، ونجم منه اللفظ بالتعريف كما يفهم من الوجه الثاني بعد أن استحالت مكة مستقرا معروفا له سمات المدينة الحضرية العامرة، فاندفع- عليه السلام- يدعو لها بأن تكون دار أمن وسلامة[5]

---

(1) آ: 126.

(2) آ:35.

(3) =: البرهان 193/1-194، الإتقان :72/1-73.

(4) إبراهيم-آ:37.

(5) درة التنزيل: 29، أسرار التكرار في القرآن: 35، البرهان: 127/1، ملاك التأويل: 235، معترك الأقران: 89/1، و=: الرازي: 61/4، مسائل الرازي وأجوبته: 8، البقاعي: 424/10، الشوكاني: 54/1، غرائب القرآن :397/1، التسهيل لعلوم القرآن: 60/1، ترتيب سور القرآن، مقدمة المحقق: 42، صفاء الكلمة: 2.

أما الوجه الثالث فالمدخل إليه من حيث اختلاف النحاة في إعراب الآيتين، فلما كان الدعاء في الآية الأولى بأن يجعل الله- تعالى- مكة من جملة البلاد الآمنة، وكان الدعاء الثاني رجاء إخراجها من حالة الخوف فيها إلى حالة الأمن[1]، فاسم الإشارة في الآيتين هو المفعول الأول لفعل الجعل في المطلب الأول، و" البلد" في موضع تنكيره مفعول ثان موصوف باسم الفاعل الآتي بعده،ويبقى اسم الإشارة في مطلب الرجاء على إعرابه المذكور. و"البلد" في موضع تعريفه معطوف عليه عطف بيان على مذهب الخليل وسيبويه[2]، وربما عُدّ صفة له على مذهب المبرد[3]، وقد رجح ابن هشام (ت 761) المذهب الأول في توجيه الإعرابين لما يشترط في النعت (:الصفة) من الاشتقاق[4]، ومن ثم يكون في الآية على هذا الوجه الثالث محذوف، تقديره: (اجعل هذا البلد آمنا)، جرى حذفه اكتفاء بالإشارة إليه، وعلى هذا تكون الآيتان سواء[5]، ويكون اتجاه إبراهيم- عليه السلام- بقوله هذين مع ما بينهما من الفرق اليسير في المظهر النحوي واقعا بعد صيرورة المكان بلدا، وتنكيره في الآية الأولى مبالغا لطلب جعله من البلدان الكاملة الأمن[6] والمبالغة- كما نعلم- من معاني التنكير[7]، والمقصود إنما هو طلب الأمن المفقود، لزيادة ما كان موجودا منه، والمظنون لدينا أن مجيء التنكير في الآية الأولى متسق مع قوله-تعالى- قبله في سورة البقرة: **{وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا}**[8] وذكر " البيت" يقتضي بالملازمة ذكر "البلد" لأنه حال في محلول به، لا بد من أن يكون معروفا فكأن تعريف "البلد"

---

(1) الزمخشري: 557/2، ابن عاشور: 238/13.

(2) الكتاب: 190/2.

(3) المقتضب: 216/4.

(4) مغني اللبيب: 570.

(5) معترك الأقران: 89/1.

(6) الرازي: 61/4.

(7) الطراز: 13/2، و= من بلاغة النظم العربي: 162.

(8) آ: 125.

قد حصل من تعريف "البيت" عرفا، فلم يحتج إلى تعريف نحوي، لان اسم الإشارة في السياق المذكور غير مفتقر إلى تابع يبين جنسه، فورد الكلام كما قال الغرناطي (ت708): "على ما هو إحراز للإيجاز، وأبلغ في المقصود مع حصول ما كانت التبعية تعطيه فجاء على ما يجب"[1] وهذا مخالف لما وقع في الآية الثانية فهي لم تسبق بما يقتضي ذكر" البلد" ولا المعرفة به، فعرف لفظه في موقعة منها بأداة التعريف، وإذا كان الأولى في أصول التفسير الحمل على الظاهر من غير تأويل فان الوجه الأول من الأوجه الثلاثة التي عرضنا لها أقرب إلى هذا الأصل فيما نقدر من الوجهين الآخرين ومادام التفسير الظاهر لا يخفي في الآية فلا حاجة إلى تقدير محذوف، أو اصطناع تأويل بعيد كما جرى في التصور في ذينك الوجهين.

-سورتا الحجر و ص:

قال- تعالى- في سورة الحجر: {**... فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ*وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ**}[2] وقال في سورة ص: {**فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ** (77) **وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ**}[3] وذلك في خطابه- عز وجل- في الموضوعين لإبليس، ولا يخفى ما وقع في الآيتين من التعريف المتخالف في الضميمة النحوية في الموضوعين، فقد وقع مرة بالألف واللام، ومرة بالإضافة إلى ياء المتكلم، وهذا التخالف هو المسوغ الذي سيجعلنا نتوسع قليلا في تقويم هذه الحالة، وفي زجّها في دائرة ما عددناه " تكرارا مؤتشباً " متخذين من إشارة العلوي إلى أنّ التعريف بالإضافة أدنى مراتب التعريف[4]ذريعة لتوسعنا، فكأنا به يسلمنا إلى ترتيب ثلاثي لمجرى الانتقال اللغوي من التنكير إلى التعريف:

---

(1) ملاك التأويل: 234، و=: التسهيل لعلوم التنزيل:60/1.

(2) آ: 34-35.

(3) آ: 77-78

(4) الطراز:11/2.

نكرة	(1) نكرة مخصصة (2) معرفة دنيا	معرفة عليا

قبل أن يشرع النحو في مجمل تقويماتهم للمعارف بترتيبها من الضمير الى المعرّف بالإضافة، ويجعلونه في العادة آخر الأنواع[1]، لأنّه الأدنى قوة منها فهو حالة بين النكرة والمعرفة، لا تجتمع إليه في إطاره الخاص لأنّ النكرة المخصصة بالوصف مثلا، وإن كان نوع المعرفة المضاف إليها يخلع قوته على النكرة المنسوبة إليه بالإضافة بحسب الفروق الدلالية بين تلكم الأنواع، وهذا التصور يمكن أن يكون نكتا لغزلنا في مضمون التصور النظري للمراتب الثلاثة المشار إليها، لأنّ آية سورة " ص" قد تضمنت إضافة " لعنة" إلى أقوى الضمائر في العربية، نعني: ضمير المتكلم في أجل مراتبه، وهي مرتبة الكناية به عن الألوهية في سياق الآية الكريمة، ولكي نجد وجها للانتقال من التعريف بالألف واللام إلى التعريف بالإضافة إلى ياء المتكلم [الإلهية] بحسب موضعي الآيتين في المصحف، نكمل النظر في الآيتين معاً، وسنرى فيهما: أن ضميمة " الألف واللام" في الآية الأولى جنسية مفيدة الحصر والاختصاص عند السيوطي[2]، ولكنه- رحمه الله- لم يشغل باله بسؤال من يسأل؛ وكيف تكون "اللعنة" جنساً، ثم تكون غير محصورة وغير مختصة!؟، لأنّ الجواب لدى الوعاة من أهل القرآن سيكون تصوراً لإطلاقه- تعالى- حالة لعن إبليس لكل لاعنٍ، ينوبه من شره وما ينوبه، فيتجه إليه باللعنة، ولكي نفسر إشارة السيوطي في بحثنا بوضوح، لا نرى إرادته حصر اللاعن وتخصيصه، بل حصر الملعون وقصر اللعنة عليه وقد ذكر البلاغيون أنّ "الألف واللام" الجنسية يؤتى بها للقصر مبالغة[3]، ولا يغيب عنا أن التعبير في سورة" ص" متسق مع ما سبقه من إسناد لفظه" يد" إلى ضميره- تعالى- في قوله:

---

(1) =: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد:21.

(2) قطف الأزهار:117.

(3) الإيضاح في علوم البلاغة: 99/1، و=:من بلاغة النظم العربي: 264.

{مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}[1] فناسب المقام أن تكون إضافة " اللعنة" إليه بضميره الجليل صراحة توحيدا لعنصري الخطاب[2] في مواجهة إبليس لاستنكافه من السجود لآدم في لحظة خلقه، و أيما نظر في قوله- تعالى-: **{قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ}**[3] وقوله: **{قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}**[4] يلفتنا إلى تناسب المقام في سورة " ص" مع وضع التعبير عن الأفعال الإلهية الثلاثة: خلق آدم، وتسويته، ونفخ الروح فيه مع تكرار الإشارة إلى خلقه مقرونا بذكر " اليد" التي يكنى بها عن القدرة الإلهية لدى المفسرين وشراح أسماء الله الحسنى[5]، وليس ثمة في سورة الحجر أية عودة إلى تكرار ذكر " الخلق" إلا على لسان إبليس- لعنه الله- في تسويغه لعدم سجوده كبرا وعصيانا، مما أُشير إليه في السورتين بسورة واحدة الدلالة مختلفة النسج.

ويجمل بنا قبل الفراغ من الكلام على هذه الحالة الانتفاع ببعض ما قرأناه من كلام المفسرين على الحالة التي تناظرها، وهي قوله- تعالى- في سورة النور: **{ذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ}**[6] وقوله في السورة نفسها: **{كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ}**[7]، وهي الحالة التي أشرنا في توطئتنا إلى استغنائنا عنها بما سنحرره عن نظريتها لوحدة الظاهرة اللغوية الماثلة فيهما[8]، نعني: الانتقال من التعريف بالألف واللام إلى التعريف بالإضافة إلى الضمير،

---

(1) ص-آ: 75.

(2) ملاك التأويل: 275.

(3) الحجر-آ: 32.

(4) ص-آ:75.

(5) =: الأسماء والصفات: 319.

(6) آ: 58.

(7) آ:59.

(8) =:ص64، آنفا.

فقد أولى الكرماني هذه الحالة شيئا من عنايته[1]، وقيل فيها في جملة ما قيل: اختلف في التعريف عدولا عن التكرار عندما تقارب اللفظان، جرياً على عادة العرب في استثقالها تكرر اللفظ بعينة في بيت واحد من الشعر، أو في ما تقارب من الكلام، ما لم يحمل على ذلك حامل من المعنى، فجيء بـ"الآيات" في الأولى معرفة بـ " أل " العهدية في ما تقدم من المعتبرات الواضحة الدلالة، وفي الثانية مضافة إلى الضمير المتصل لتحصل نسبتها لمن هي له- سبحانه- وكانت الثانية هي المضافة، لأنها مع ما تعطيه من النسبة مبّينة للأولى بيانا تأكيديا[2]، وهذا الكلام جميل في مقصده ومناسب لمجيء آيتي التكرار في السورة الواحدة، أما الآيتان اللتان نحن بصددهما في سورتي الحجر وص فلا يصدق عليهما هذا التأويل في الظاهر، لبعد ما بينهما في المصحف، ولكنه صادق عليها حقيقة بما يجمع بينهما من وحدة الموضوع، وهو لعنة إبليس غب عصيانه للأمر الإلهي بالسجود لآدم في لحظة الخلق، ويقوي هذا التصور حين يستحضر النص القرآني كيما يخرج منهما بفهم واحد للمعنى القرآني الواحد، مهما تفرقت مواضع الإشارة إليه في المصحف، واختلف بنيةً وتركيباً.

- سورتا طه وق:

قال- تعالى- في سورة طه {**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**}[3]، وقال في سورة ق {**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ**}[4] وينحصر الفرق بين الآيتين في ضميمة التعريف، فهي في الأولى ضمير مضاف إليه، وفي الثانية ألف ولام داخلتان على لفظة "غروب" في مقطع الآية إلى ما بعدها وقد قيل: إنّ الأصل هو الإضافة إلى الضمير كما جاء في سورة طه، لان الغروب للشمس حقا، كما أن الطلوع لها أيضا،

---

(1) أسرار التكرار في القرآن: 152.

(2) ملاك التأويل: 887.

(3) آ: 130.

(4) آ: 39.

فحقه أن يكون مضافا إلى ضميرها، وهو هاء بعدها ألف، وقد عدل عن هذا الأصل في الآية الأخـرى مراعاة للفواصل[1] الجارية في سـورة " ق" عـلى الـردف بـواو أو يـاء، كالسـجود، والخلـود، والعقيـد والعتيد، والردف- كما نعلم- من مصطلحات علم القوافي، وهو مجـيء حـروف العلـة قبـل حـروف الروي التي تعقد بها قوافي الأشعار بما تجري الفواصل على غراره أحيانا، أو على قريب منه[2]، فـذكر لفظ "الغروب" لأنّه شبيه بالفواصل التي تقدمته في السورة، ومتى ما ذكر علم أنّ المـراد بـه غـروب الشمس[3]، فاستغنى بهذا العرف عن إضافته إلى ضميرها، وقد لفت الغرناطي نظرنـا في مـا رآه مـن التلاؤم بين ألف ضمير المؤنثة الفواصل في سورة طه نفسها؛ لأنّ مقاطع الآي في السورة المـذكورة قـد اكتنفت ألفات مفتوحا ما قبلها نطقا أو تقديراً[4]، ولا يصح هذا التصور حتى يكـون الضـمير مقطـع كل آية إلى ما بعدها، ولكنه ليس كذلك في سياقها الطول؛ لأنّ النص كله في درج الآية، ولعل المـفسر قد لحظ موقع الوقف على الضمير في القراءة، فارتضى أن يعده شبيها بالمقطع ومضارعا للفاصلة.

-الحالة الأخيرة:

وإذا كنا قد اخترنا لدراستنا السـابقة خمـس حـالات، وقعـت الأولى مـنهن في سـورة واحدة، وكل من الأخريات في سورتين، فالحالة التي سـنعرض لهـا في هـذا المقـام واقعـة في سبع سور دفعة واحدة، وهي سورة الأنعام والأعراف ويونس وهـود والكهـف والعنكبـوت والصف، فثمة تذكير للفظ " الكـذب" في سـتة مـنهن، نعنـي: في آيـاتهن المنسـوقات لـدينا هنـا عـلى واو العطـف او فائـه في صـدر الصـدر او الـدرج، وهـي قولـه- تعـالى-: {**وَمَـنْ**

(1) درة التنزيل: 448، و=: أسرار التكرار في القران:196، ملاك التأويل: 380.

(2) =: كتاب القوافي – التنوخي: 114.

(3) درة التنزيل: 448.

(4) ملاك التأويل: 380.

أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللـهِ كَذِبًا}[1] وقوله- عز وجل- {**مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللـهِ كَـذِبًا}**[2] ولم يـأتِ التعريـف إلا في سـورة الصـف: وحـدها قـال- تعـالى- {**وَمَـنْ أَظْلَـمُ مِمَّـنِ افْـتَرَى عَـلَى اللــهِ الْكَذِبَ}**[3]وتشعرنا مجموعة الفاء بتعلق الآيات بما قبلها تعلق السبب بالمسبب، وليس الأمر كـذلك في مجموعة الواو، وإذا كان التنكير أو التعريف قد وقعا في الآيات كلهـا في موضـع المفعوليـة لفعـل الافتراء، كما لا يخفى، فانفراد آية سورة الصف بالتعريف العهدي متعلق بما عهد في سـياق السـورة من تعيين المفترى فيه الكذب، وهو تكذيب بني اسرائيل لكلام عيسى- عليه السلام- حين قال لهم ما حكته الآية الكريمة عن لسانه، قال- تعالى-: {**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَـا بَنِـي إِسْرَائِيـلَ إِنِّي رَسُـولُ اللـهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّـوْرَاةِ وَمُـبَشِّرًا بِرَسُـولٍ يَـأْتِي مِـنْ بَعْـدِي اسْـمُهُ أَحْمَـدُ فَلَـمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ}**[4]، وقد أسست الآية المذكورة على هذا التكذيب تعجباً مـن حالهم، وليس في آيات مجموعة التنكير ما يقتضي التعجب[5] فهن حالات من التعبير الخـبري الخـالي من الإفصاح البلاغي عن حالة الدهشة التي أنشـاها الصراع الفكـري بـين عـيسى- عليـه السـلام- وبني إسرائيل غب تكذيبهم لرسالته ولإرهاصه بالرسالة المحمدية، وربمـا صح القـول: إنّ العهـد الملموح بالألف واللام في هذه الآية خارج إلى استغراق جـنس الكـذب، فمـن يفـتري عـلى اللــه ما افتراه عليه بنـو إسرائيـل مـن تكـذيب رسـولهم حقيـق بـان يتصـور كاذبـا ومكـذبا في حقـير الأمـور وكبيرهـا؛ لأنّ الكـذب مركـوز في فطرتـه بفسـاد اعتقـاده وزيغـه وانحرافـه عـن خطـة

(1) الأنعام آ: 21، 93، 144- مكررة ثلاثا، وهود آ: 18، والكهف: آ 15-درجا، والعنكبوت: آ: 68.

(2) الأعراف: آ: 37، ويونس: آ: 17.

(3) آ:7.

(4) آ: 6.

(5) ملاك التأويل: 435- 435.

الصواب والإيمان والفضيلة، فهو لا ينفتل عن الكذب البتة أنفة منه، بل يرى ملتبسا به ومندفعا إليه بالطبع والسجية والاعتياد.

- التقديم والتأخير:

وها هنا لا بد من الإشارة إلى أنّ أمثلة "التقديم والتاخير" كثيرة ومتنوعة في القران الكريم، بحيث أمكن التوفر عليها في دراسات خاصة، قام كل منها برأسه بحسب المنهج المختار في التمثيل والمعالجة، ولكن هذه الدراسات لم تغلق علينا باب المعالجة الجديدة من مدخل " ملاحظة التكرار" الواقع في نصوصها القرآنية، باعتبار هذا منطلقنا الخاص للدراسة والتحليل كما كان الرصد البلاغي منطلقا في دراستي حميد أحمد عيسى العامري[1] ومحمود السيد شيخون[2]، والدرس النحوي منطقا في دراسة عز الدين محمد أمين[3]، وليس من المحظور أن ينشيء الكاتب الآخر دراسته الجديدة من مدخله الخاص تحقيقا لإضافة معرفية تقدر قيمتها بمقدار ما يكون فيها من الجدة والموضوعية والفكر المغاير، وحين تلتقي الأنظار في إطار مثال واحد أو أمثلة معينة بالضرورة، فليس هذا عيبا منهجيا في حقيقته، لأنّ العبرة ليست في وحدة المثال، بل في اختلاف طرائق وصفه وتحليله والاستنتاج منه، وهذا هو ما سنحرص عليه حرصا كبيرا في دراستنا المقبلة لأربع حالات مكن تسع عشرة حالة وقع فيها التكرار تقديما وتأخيرا في القرآن الكريم، نجمل الإشارة إليهن في المسرد الآتي:

---

(1) التقديم والتأخير في القران الكريم- رسالة ماجستير، كلية الآداب- جامعة صلاح الدين، أربيل 1990، بإشراف الدكتور عمر الملا حويش.

(2) أسرار التقديم والتأخير في لغة القران، القاهرة، 1983.

(3) التقديم والتأخير في القران الكريم- رسالة دكتوراه، كلية التربية للبنات- جامعة بغداد، بغداد، 1998، بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الوهاب محمد علي العدواني.

السور وأرقام الآي
- البقرة 123/48. - البقرة 120/ آل عمران 73. - البقرة 173/ المائدة 3، الأنعام 145، النحل 115. - البقرة 264/ إبراهيم 18. - البقرة 284، آل عمران 129، المائدة 18، الفتح 14/المائدة 40.
- آل عمران 40/ مريم 8.
- النساء 41/ النحل 89.
- النساء 135/ المائدة 8.
- الأنعام 151/ الإسراء 31.
- الأعراف 188/ يونس 49.
- هود 63/28.
- الرعد 16/ الفرقان 3
- الرعد 38/ الروم 47.
- الرعد 43/ العنكبوت 52.
- الحجر 1/ النمل1.
- المؤمنون 33/24.
- المؤمنون83/ النمل 68.
- القصص 20/ يس 20.
- الحديد 12/ التحريم 8.

-سورتا آل عمران ومريم:

قال- تعالى- على لسان زكريا- عليه السلام- {**قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ**}[1] وقال: {**قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا**}[2] وذلك حين بشارته بولده يحيى- عليه السلام-، وقد فسر قوله بأنّه: استبعاد وتعجب[3]، وكأنه قد قال: كيف ومن أين يكون لي ولد، وقد أضعفني الكبر وامرأتي عاقر[4]، استبعادا لحدوث الولد منه ومن زوجته، لأنّ العادة قاضية بأنه لا يحدث من مثلهما؛ لأنّهما كانا يوم التبشير كبيرين في السن، فقد قيل: إنّ زكريا كان ابن تسعة وتسعين عاما، وامرأته ابنة ثمانية وتسعين، وثمة أقوال تراوحت في بيان عمره بين خمس وستين سنة، ومئة وعشرين[5]. والتعجب في قوله ليس للشك، وإنما من قدرة الله- تعالى- على وجه التعظيم بأنه يخرج ولدا من امرأة عاقر وشيخ كبير[6]، وقيل: إنّه استفهام عن الكيفية، وليس استبعادا للحالة، والمقصود: كيفية حصول الولد، أيكون بإزالة العقر عن زوجته، ورد شبابه إليه، أم يأتي وهما على حاليهما، أم يكون الولد من زوجة أخرى؟[7]

---

(1) آل عمران-آ:40.

(2) مريم-آ: 8.

(3) الزمخشري: 360/1، أبو السعود: 275/3، الشوكاني: 323/3، و=: قطف الازهار587.

(4) ابن عطية: 106/3، الزمخشري: 360/1، أبو حيان: 450/2، أبو السعود: 234/1، البقاعي: 175/12.

(5) ابن عطية: 433/9، الزمخشري: 360/1، أبو حيان: 449/2، ابن الجوزي: 385/1، و=: أبو السعود: 234/1، الشوكاني: 338/1.

(6) القرطبي: 83/11، أبو السعود 234/1.

(7) الطبري: 383/6، 50/16، ابن عطية: 106/3، ابن الجوزي: 384/1، الرازي: 38/8، أبو حيان: 449/2، و=: معاني القرآن وإعرابه: 407/1.

ونحن نلحظ وحدة النصين في الشطر الأول منهما، ووقوع التقديم والتأخير في الشطر الثاني منهما، وإسناد " البلوغ" في الآية الأولى إلى الكبر، وإسناده إلى زكريا- عليه السلام- في الآية الثانية، وقد حمل غير واحد من اللغويين هذا الإسناد على القلب، وعدوا القولين سيين في الدلالة، لأنّ ما بلغك فقد بلغته[1]، والمعنى: قد كبرت، وهو كقول القائل: بلغني الجهد وبلغته[2]، وكل شيء صادفته وبلغته، فقد صادفك وبلغك[3]، ومن الدارسين من لمح في إسناد فعل البلوغ إلى الكبر" أبلغية" على ضرب من المجاز، يجعل الكبر هو الساعي إلى الإنسان والبالغ إليه، مما عده أبو حيان توسعا في الكلام[4]، ولكننا نلمح "أبلغية" من حذو آخر في النص الثاني، وهي بلاغة التفصيل في عرض زكريا لحاله وحال امرأته، إظهاراً لشدة عجبه من حصول الولد منهما في تلكما الحالتين المتأخرتين من العمر والقوة والصحة، ومما يُلفت النظر في النصين تقديم "الكبر" على "العقر" في الآية الأولى، وتأخره في الثانية مع كونه المقصود بالتقديم في الموضعين، ((لأنّه- كما قال أبو السعود (ت982)- أنسب فيهما من زكريا إلى بيان قصور شأنه))[5]. فهو الذي دعا ربه للحصول على الولد، فكان الأنسب تقديم وصفه لنفسه على وجه ما يسمى في البلاغة العربية بمراعاة تقديم الذات في الترتيب الوجودي على الغير[6]. وعلى هذا جرى الخبر في السورة الأولى على الأصل بتقديم ذكر "الكبر" على ذكر " عقر المرأة"، ومن المعلوم لدينا أنّه لم يسبق لقصتهما أي ورود في القرآن الكريم قبل سورة آل عمران، ثم كان ذكره ثانية

---

(1) الأخفش: معاني القران: 405، معاني القرآن وإعرابه: 208/1، =: تأويل مشكل القران: 195، الطبري: 281/6، ابن الجوزي: 385/1، المفردات في غريب القرآن: 58، قطف الأزهار: 587.

(2) الطبري: 381/6.

(3) معاني القرآن وإعرابه: 408/1.

(4) أبو حيان: 450/2، و=: رافع عبد الله مالو –رسالة دكتوراه: المباحث اللغوية والنحوية والصرفية عند ابن قتيبة: 76-77.

(5) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم: 275/3.

(6) الطراز: 57/2، و=: جواهر البلاغة: 143.

في سورة مريم بتقديم الإشارة إلى حال زكريا- عليه السلام- من وهن العظم واشتعال الرأس شيبا قبل الإشارة إلى عقر المرأة، قال- تعالى-: {**كهيعص *ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا*إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا *قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا*وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا**}[1] ونحن نلحظ في هذه الآيات إشارة زكريا إلى كبره وضعف حاله قبل إشارته إلى عقر امرأته أيضا، كما وقع في سياق السورة الأولى، فلما أعيد ذكر كبره مرة أخرى في سورة مريم نفسها حكي على لسانه تقديم ذكر العقر، قال- تعالى-: {**أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا**}[2]، فكان المذكور في هذا الموضع الجديد من الإشارة إلى بلوغه أقصى مراتب الكبر تتمة لما سبق ذكره من قبل[3] هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فثمة ملحظ يتصل بالجرس الذي يتحقق بتقديم " العقر" على "الكبر"، كيما يستحضر كلمة " العتي" في صفة الشيخوخة والتقدم في السن، تطبيقا لفاصلة الياء المشددة في سورة مريم المطلقة بالألف[4]، وهذا التطبيق باب مقصود يترجح في جمال أي كلام، وفي فصاحته إذا لم يكن مخلا بمعناه، وقد المح أبو حيان إلى أنّ التقديم والتأخير الحاصلين في آية سورة مريم ليس مشعراً بتقديم زمان، وإنما هو من تقديم المناسب في فصاحة الكلام[5] وهذا يعني بعبارة أخرى: انه ليس مشعرا بتقدم زمان المذكور أولا قبل زمان المعطوف عليه بالواو في الآية.

(1) آ:1-5.

(2) آ:8، و=: أسرار التكرار في القران: 47، أبو حيان: 450/2، أبو السعود: 275/3.

(3) أبو السعود: 275/3، و=: قطف الأزهار:587.

(4) أبو حيان: 450/2، و=: أسرار التكرار في القران: 47، ملاك التأويل: 298-299، قطف الأزهار:587.

(5) البحر المحيط: 450/2.

- سورتا النساء والمائدة:

قال- تعالى-: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ**}[1]، وقال- عز من قائل-: {**أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ**}[2]، ونحن نلحظ وقوع التكرار في الشطر الأخير من الآيتين، ونقول: "الشطر- مفردا"، مراعاة لفكرة وحدة النص في السياقين على جهة التكرار إلا في حدود ما وقع في مثاليه من التقديم والتأخير، وتأتي وحدة النص من وحدة جهة الخطاب الموجه إلى فئة واحدة من المخاطبين، وهم الذين وصفوا بأسلوب النداء بأنهم الذين آمنوا، مأمورين بالقوامة والشهادة على نحو من اختلاف المتجه إليه بكل من هاتين الصفتين بأسلوب الإضافة بحرف الجر في الآيتين، مما نوضحه بالمعرض الآتي:

النساء	القوامة بالقسط	الشهادة لله
المائدة	القوامة لله	الشهادة بالقسط

وهذا يعني إنّ التقديم والتأخير لم يقعا في إطار المقطع المكون من الحدث المضاف إلى صاحبه بحرف الجر، بل بجزء الإضافة منه بالحرف المذكور.

وحين يستضيء الدارس بأقوال أهل التفسير في سياق كل من الآيتين، وقد ورد في سورة النساء من بدايته تأكيدا للأمر بالقسط والعدل[3]{**مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ**}[4] وذكرا للنشوز والإعراض: {**وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ**}[5] فسيجد أنّ التركيب في الآية التي نحن بصددها في السورة المذكورة جاء كالنتيجة لما مضى من الأمر بالقسط

---

(1) النساء- آ: 135.

(2) المائدة آ: 8.

(3) أبو حيان: 440/3، البقاعي: 431/5، ابن عاشور: 134/6، و=: ملاك التأويل: 358.

(4) آ: 123.

(5) آ:129.

فيها من أولها إلى موضعه في سياقها[1] ومجيئه- كما لا يخفى- في معرض الاعتراف على النفس وعلى الوالدين والأقربين بدليل قوله- تعالى-: {**وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا**}[2] ابتداءً بذكر القسط الذي هو العدل من غير محاباة نفس ولا والد ولا قرابة[3]، ولما كان " العدل" في غاية الصعوبة على الإنسان، لأنه يحوج المتخلق به إلى تدريب كبير، حتى يصير صفة راسخة فيه، فقد عبر عنه بالكون المأمور به بقوله- تعالى-: {**كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ**}[4] بيد أنّ التركيب المقابل في سورة المائدة وارد في سياق الأمر بترك العداوات والإحن، والاتصاف بالوفاء بالعهد الوثيق، فناسب بوضعه هذا الوصف بالقوامة لله- عز وجل- أولا، لأنّ ذلك أردع للمؤمنين[5]؛ ولأن الوفاء بالعهد إنما يخفى على النفوس، ويعظم العزم عليه بالتذكر بجلالة موثقه- سبحانه- وعدم انتهاك حرمته، ((لأن المعاهد- كما قال البقاعي (ت885)- إنما يكون باسمه ولحفظ حده ورسمه، فقدم اسمه لإحاطته- تعالى- بكل شيء))[6]

وقد لمح أبو حيان وجه الفرق بين الآيتين، فنبه على أنّ البدء قد كان "بالقسط" في الاية الواردة في معرض المحبة والمحاباة، وبالقيام في الآية الواردة في معرض العداوة والشنآن، وعده من التوسع في الكلام والتفنن في الفصاحة، للزوم من كان قائما لله ان يكون شاهدا بالقسط، ومن كان قائما بالقسط أن يكون قائما لله[7]، أي شاهدا له، ولا

(1) البقاعي: 431/5.

(2) آ: 135.

(3) أبو حيان: 440/3.

(4) البقاعي: 40/6.

(5) أبو حيان: 440/3، و=: قطف الازهار763، نقلا من كتاب ابن جماعة: كشف المعاني، الذي لم نستطع الاطلاع عليه، ص: 14، آنفا.

(6) نظم الدرر: 40/6.

(7) البحر المحيط: 440/3.

تعارض بين الحالتين؛ لان المؤدي الأخير لكل منهما مردود إلى الخلق الرفيع والاعتقاد الصحيح الذي يؤمر به المكلف على وجه الإطلاق غير المقيد بأية حالة من الحالات المتحدث عنها في الآيتين والسياقين.

- سورتا الأنعام والإسراء:

قال- تعالى-: {**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**}[1] وقال: {**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ**}[2] ولا يخفى أن التكرار واضح المعالم في هاتين الآيتين، لا ينفيه استبدال" من" بالمصدر الآتي مفعولا لأجله، والمغايرة في رتب الضمائر في الشطر الأخير من النصين، كما نوضحه في المعرض الآتي:

الأنعام	نرزقكم و إياهم	خطاب- غيبة
الإسراء	نرزقهم و إياكم	غيبة - خطاب

والثاني في النصين مبني على الأول بالاقتضاء، فثمة خطاب في سورة الأنعام للفقراء من الآباء الذين كانوا يقتلون بناتهم من إملاقهم وفقرهم المدقع[3]، وإنما قدم ذكر ضميرهم على ضمير أبنائهم؛ لأنهم المكلفون بالسعي والإنفاق رقة لهم، ولإفادة أنهم أصحاب العمل[4] في تحصيل رزق أولادهم، وقد أكمل- تعالى- هذا السياق بوعده إياهم برزق الأولاد، حتى تسكن نفوسهم ولا يجد القلق سبيلاً[5] وكان- سبحانه- قد

---

(1) الأنعام-آ: 151.

(2) الإسراء-آ: 31.

(3) درة التنزيل: 136، اسرار التكرار في القران: 75، ابو حيان 151/4، البقاعي: 8- 317، ابن عاشور: 87/15، و=: الايضاح في علوم البلاغة: 114/1، قطف الازهار958.

(4) الفاصلة القرانية: 104، المعاني في ضوء اساليب القرآن 235، و=: صفاء الكلمة: 157، ودراسات في التفسير: 167.

(5) من بلاغة القرآن: 117، و=: بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ: 314.

أحل الآية محلها المعجز بعد قوله في سورة الأنعام: {**قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ**}[1]، لانتفاء داعيهم لديه- عز وجل- لقتل أبنائهم، موسرين كانوا أم معسرين بيد أنّ الداعي لقتل المعسرين المقترين أولادهم أقوى من داعي الموسرين[2] مع جسامة ذنب القتل في كل من حالتي اليسر والعسر، ما دام- تبارك- صاحب الرزق ومصدره ومانحه.

أما السياق في سورة الإسراء فقد اتجه إلى الآباء الموسرين خوفا من حلول فقر ليس بواقع لهم ساعة القتل بقرينة ذكر الخشية منه، فقد جعلت هذه الخشية علة لفعلهم الوبيل، ولهذا قدم- سبحانه- ذكره لرزق الأبناء على رزق الآباء[3]، ليدفع عنهم الوهم الذي ركبهم، واستولى على أنفسهم بأنهم صائرون بأولادهم- لا محالة- الى فقر مستقبل، ومضى في إكمال طمأنينتهم، فوعدهم بالرزق بعد عدة أبنائهم به[4]، والاتجاه بالخطاب الى الموسرين في السورة المذكورة مؤيد بقوله- تعالى- قبل الآية التي نحن بصددها: {**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا**}[5]وقوله: {**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ**}[6]، وهذان القولان لا يقالان بالتأكيد لمن كان فقيرا معدما[7].

---

(1) آ: 140.

(2) التعبير القرآني : 247، و=: عز الدين محمد امين- رسالته للماجستير- وجوه الاستبدال النحوي في القران الكريم: 170.

(3) درة التنزيل: 136، ملاك التأويل: 479، أبو حيان: 151/4، البقاعي: 317/8، معترك الأقران: 93/1، قطف الأزهار: 958، و=: أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن: 118، العامري- رسالته للماجستير – التقديم والتأخير في القرآن الكريم : 128.

(4) من بلاغة القرآن: 117.

(5) آ:26.

(6) آ: 29.

(7) التعبير القرآني: 246-247.

- سورتا المؤمنون والنمل:

قال- تعالى-: {**لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآَبَاؤُنَا هَذَا مِـنْ قَبْـلُ إِنْ هَـذَا إِلَّا أَسَـاطِيرُ الْأَوَّلِـينَ**}[1]، وقـال: {**لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**}[2] وتبدأ ملاحظة الفرق بين هـاتين الآيتين عندنا في مطلب توجيه التكرار الماثل فيهما برصد المكونات اللغويـة لتركيـبهما الواحـد بغـض النظر عن مواقع التقديم والتأخير فيهما، وهذه المكونات بحسب ترتيبها في الآيـة الأولى عـلى النحـو الآتي:

حرف التوكيد وحرف التحقيق	الفعل المتعدي إلى مفعولين مبنيا للمجهول	النائب عن الفاعل	ضميمتا التوكيد والمعطوف	المفعول الثاني
لقد	وعدنا	نا	نحن وآباؤنا	هذا

أما ترتيبهـا في الآيـة الثانيـة فمختلـف اختلافـا واضـحاً، وذلـك بتقـديم المفعـول الثـاني عـلى ضميمتي التوكيد، وليس في تقديم المفعـول الثـاني أي تـأثير في أصـل المعنـى، ولكنـه دليـل عـلى أن المقدم هو الغرض المقصود بالذكر، وقد ذكر البلاغيون: أنّ تقديم المفعول به للاهتمام بـه وللاعتنـاء من الاغراض البلاغية المعروفة في تمثل الكلام العـربي، وربمـا كـان ذلـك لافـادة اختصاصـه بالـذكر في موضعه[3]، كما هي الحال في آية سورة النمل بحيث ساغ الفصل به بين المؤكد ولازمه خلافا لما جـرى على هذا القياس في الآية الاولى، وتقديمه على نية التأخير، لأنّ سياق المعنى لم يخرج بهـذا التقـديم عـما كان عليه[4]، ومحط العناية بالسياق في سورة " المؤمنون " هو الخلق والإيجاد وتهديد أهل العناد الذين أكدوا حالهم بضـميرهم وذكـر آبـائهم شـكاً في البعـث، ومحطـه في سـورة النمـل: حقيقـة هـذا البعـث

---

(1) المؤمنون-آ: 83.

(2) النمل- آ: 68.

(3) العامري- رسالته للماجستير: التقديم والتأخير في القرآن الكريم: 114 وما بعدها.

(4) دلائل الإعجاز: 106.

الذي قد ذكره لأهميته على ذكر شكهم فيه هم وآباؤهم، وقد جاءت الرسل بتأكيد وقوعه في يوم من الأيام وفطن الأبناء أنّه وعد وُعِد به آباؤهم، ولكنه لم يحصل[1] وهذا يعني: أنّ السياق في سورة " المؤمنون " يشير إلى اصالة مستحكمة في العناد والكفر والتقليد امتدادا من الآباء الى الابناء، فقد ظنت الفرقة الثانية أنّ البعث الذي هو قطب المعنى في سياق الآية الثانية مستبعد مشكوك فيه، بعد أن يصيروا كما صار آباؤهم ترابا[2]، وبامكان المتبصر لمح الفرق بين السياقين بتأمل قوله- تعالى- في سورة "المؤمنون": {**بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ * قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ *لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**}[3] ، وقوله في السورة الأخرى: {**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**}[4]، فقد جرت الآيات في الموضع الثاني على الأصل، نعني: الاصل الذي وصفه الاسكافي بأن الافعال الواردة في سياقه قد " قصدت بها حكاية ما بعدها، فلما قال: {**لقد وعدنا**}، وجب في البناء على الأفعال المتقدمة أن يتمم حكم الفاعل، وهو توكيده والعطف عليه: (..نحن وآباؤنا) على المفعول الثاني، وهو (هذا) لذلك، ولأن الأصل اذا جرى عليه الشيء أولى من غيره"[5] في حين أخّر المعطوف (آباؤنا) على اسم كان: وهو الضمير في قوله- تعالى- {**أإذا كنا ترابا**} والقياس: تقديم الاسم

(1) =: البقاعي: 175/13.

(2) الزمخشري : 380/3، مفتاح العلوم : 115، البرهان: 284/3، و= خصائص التركيب: 294، والعامري- رسالته للماجستير: التقديم والتأخير في القرآن الكريم: 128.

(3) آ: 81-83.

(4) آ: 81-83.

(5) درة التنزيل: 318.

الذي هو كالفاعل للفعل الناقص على خبره المنصوب: (ترابا)، لأنه كالمفعول له، والقياس في المفعـول تأخيره[1]، فجاء السياق كله موافقا لما قبله مبنيا عليه، وعلى هذا يكون القياس الأصل هو مـا ورد في آية سورة "المؤمنون"، والقياس المغاير هو ما ورد في آية سورة النمل، ومن عادة النحـاة أن يحكمـوا حين يتعاقب المرفوع والمنصوب، كما حدث في سورة " المؤمنون": (..نحن وآباؤنـا هـذا..) بـأن يقـدم الأول على الثاني[2].

وبعد، فنحن نلمح للتقديم الماثل في الآية الأولى فائدتين؛ إحداهما: معنوية، وهـي الاهـتمام بالمتقدم اعتمادا لذكره متقدما، والثانية: شكلية، وهي الإتيان بالكلام على نسق واحد[3]، وقـد اختـار الباري- عز وجل- لفـظ " البعـث" في سـورة " المؤمنـون" ولفـظ " الإخـراج" في سـورة النمـل، وهـما يفضيان عنـد اللغـويين إلى مقصـد واحـد في التفسـير[4]، الا ان في "البعـث" دلالـة زيـادة عـلى مـا في "الاخراج"، وهي الإثارة[5]، فلما كان السياق في سورة "المؤمنون"- كما أسـلفنا- هـو الخلـق والإيجـاد وتهديد أهل العناد الذين أكدوا حالهم بضميرهم وذكر آبائهم شكا في البعث، فقد اسـتعمل اللفـظ الأكثر إثارة في موضعه من الآية الاولى، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن مداة " بعث" قد تكررت بمشتقاتها المختلفة في سورة "المؤمنون" أربع مرات[6]، قبالة استعمال واحد لها في السـورة الأخـرى[7].

---

(1) م . ن: 318، و=: أسرار التكرار في القرآن: 149.

(2) حاشية الجمل على الجلالين: 324/3.

(3) لقد اشار ابن الأثير حين عرض في: المثل السائر: 41/2. لتفسير قوله- تعالى-: {**وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُون الْقَدِيمِ**} (يـس-آ : 39) إلى أن مـن الفوائـد البلاغيـة للتقـديم بنـاء الكـلام عـلى نسـق واحـد، و=: العامري- رسالته للماجستير: التقديم والتأخير في القرآن الكريم: 124.

(4) =: مادتهما في لسان العرب: 422/2، 74/3.

(5) =: مادته في لسان العرب: 422/2.

(6) آ: 16، 37، 82، 100.

(7) آ: 27.

وهذا ملمح من ملامح الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، ليس في وصفه بأنـه " تواطـؤ المشـتقات في إطار الجذر اللغوي الواحد في بعض السياقات القرآنية" أي انزياح عن الصواب وابتعـاد عنـه، في مـا نظن.

- الحذف والزيادة:

والزيادة أوسع دورانا في آيات التكرار مـن الحـذف، لانحصـار الحـذف في أطـر محـدودة، لم تتجاوز حذف اسم الجلالة المجـرور بالبـاء في آيتـين اثنتـين تقابلتـا عـلى وجـه التكـرار، والحـذف في حروف المباني وقد وجدنا منه في القرآن الكريم ثلاثة أمثلة فقط، سنعرض لها بالتفصيل المناسـب في موضعها، ولكننا نقول ها هنا: إننا قد توسعنا قليلاً في تصور هذه الحالة، فلم نحصر أمر هذا النـوع من الحذف في إطار الحذف من حروف "مبنى الكلمة"، بل نقلنـاه إلى الحـذف مـن حـروف "مبنـى الجملة" أيضا، إن صح هذا الوصف على ما فيه من الاجتهاد.

أما الزيادة فقد اتسعت، وتنوعت تنوعا كبيرا في آيات التكرار بما يمكن أن نوضحـه في المسرد الآتي، متخذين النجمة(*) إشارة الى الآية التي وقع فيها نوع الزيـادة دون سـائر نظيراتهـا، وسـنعمل على دراسة منتقيات منها بحسب تقسيم نلحظ فيه سعة المزيد من الحرف إلى الجملة وشبهها، بـل إلى الجزء منها أيضـا، وسـنرى في المسرد انحصـار الحـروف المزيـدة في خمسـة أنـواع، وكـثرة زيـادات الضمائر، والجمل الفعلية، وحروف العطف، ومجيء الزيادات المركبة في خمسة مواضع، اسـتوعبت اثنان منها حرفا مزيدا مشبها بالفعل واسـمه ضـميرا، واسـتقل كـل مـن الآخـرين بنـوع خـاص مـن الزيادة، سنصفه في موضعه من المسرد بعد هذا الإيضاح الموجز:

نوع الزيادة	اسم السور وأرقام الآي
حرف توكيد	الأنعام 165/الأعراف 167(*)
حرف توكيد	طه15/غافر 59(*)
حرف توكيد	الحج64(*)/لقمان26

نوع الزيادة	اسم السور وأرقام الآي
حرف توكيد	لقمان17/الشورى43(*)
حرف جر	البقرة271(*)/الأنفال29
حرف جر	الأنعام 117/النجم30 (*)
حرف جر	الأنعام 165/فاطر39(*)
حرف جر	التوبة 54(*)/84/80
حرف جر	النحل70/الحج5(*)
حرف عطف	الأنعام 7/الشعراء8(*)/السجدة 26/ ص3
حرف عطف	الأعراف34(*)/يونس 49/النحل61
حرف عطف	النحل29(*)/الزمر72
حرف عطف	النمل 80/الروم 52(*)
حرف عطف	الفرقان 43/الجاثية23(*)
حرف عطف	الشعراء 186/154(*)
حرف عطف	الروم 16(*)/سبأ 38
حرف عطف	الزخرف 66/محمد 18(*)
حرف عطف	الزمر73/71(*)
حرف عطف	الانشقاق25/التين6(*)
حرف مشبه بالفعل	التوبة 99/91(*)/102(*)
حرف مصدري	هود 77/العنكبوت33(*)
اسم	المائدة1(*)/الحج30
اسم	الأنعام94(*)/الكهف 48
اسم	يونس 38/هود13(*)
اسم	هود 60(*)/99
اسم	الشعراء90/ق 31(*)

نوع الزيادة	اسم السور وأرقام الآي
اسم	الأحزاب59/28(*)
اسم(: ضمير)	البقرة 232(*)/الطلاق 2
اسم(: ضمير)	الأنعام 16/الجاثية 30(*)
اسم(: ضمير)	الأعراف45/هود19(*)
اسم(: ضمير)	النحل72(*)/فصلت 67.
جملة اسمية	البقرة 173/ الأنعام 145(*)/ المائدة3/ النحل115.
	لقمان 7(*)/الجاثية
جملة اسمية	
جملة فعلية	البقرة 174/آل عمران 77(*)
جملة فعلية	البقرة 110/المزمل20 (*)
جملة فعلية	آل عمران 117/النحل33(*)
جملة فعلية	المائدة 92(*)/التغابن 12
جملة فعلية	يوسف 22/القصص 14(*)
جملة فعلية	الكهف 72/67(*)
جملة فعلية	لقمان 33/فاطر5(*)
جملة فعلية	الشورى17/الأحزاب 63(*)
جملة فعلية	التغابن 9(*)/الطلاق 11
شبه جملة	البقرة 160/آل عمران 89(*)
شبه جملة	المائدة 46(*)/الحديد27
شبه جملة	هود 31/الأنعام 50(*)
شبه جملة	الكهف 72/75(*)
شبه جملة	العنكبوت22(*)/الشورى31
شبه جملة	الروم 46/الجاثية 12(*)

نوع الزيادة	اسم السور وأرقام الآي
شبه جملة شبه جملة	الصافات 79(*)/109/120/130 المجادلة 2(*)/3.
شبه جملة وحرف عطف حرف مشبه بالفعل واسمه ضميرا	آل عمران 99/الأعراف 86(*) الأنعام25/الإسراء46/الكهف 57(*) الصافات 80/110(*)/122/131
ظرف وحرف جر	التوبة 89، 100(*)

- ظاهرتا الحذف:

- حذف لفظ الجلالة:

وقد جاء مجرورا بالباء ومحذوفا من قوله- تعالى-: {**قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**}[1] مقابل قوله: {**آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ**}[2]، ونحن لا نغضي هنا عن دلالة ادغام الضمير وفكه بعد " أنّ" في الآيتين، فمجيئه على أصل الفك في الآية الثانية ، وعلى فرع الادغام في الأولى، ولا غرابة في هذا الكلام، فللمفسرين ثمة كلام أفضى بنا إليه، فما جاء بالإدغام آت في حكاية عيسى- عليه السلام-، وكان قد سأل الحواريين عما أقروا به من النصرة لله، يقتضيهم إقرارا ثانيا بها، مثل اقرارهم بها لله مباشرة في أول كلامهم الذي حكاه الباري- عز وجل- عنهم في الآية الثانية، فالسائلان مختلفان، وطبيعة سؤال عيسى للحواريين هي الجارة إلى التصريح بلفظ الجلالة أولا، وإلى ادغام الضمير ثانيا، وطبيعة السؤال الالهي هي الجارة الى حذف اللفظ الجليل في الآية الأخرى، إذ ليس م المظنون، ولا نقول من المعقول أن يخاطب- تعالى- الحواريين مباشرة، فيجيبون: بقولهم

---

(1) آل عمران- آ: 52.

(2) المائدة-آ:111.

آمنا باللـه، وكأن ما آمنوا به طرف ثالث بين السائل والمسؤول، والجارة أيضاً إلى المجـيء بـالتخفيف من إدغام نون الحرف المشبه بالفعل بنون الضمير، ويمكن أن نزيد هذا بيانا باستحضار تمام الآيتـين، فقد قال- تعالى-: في سورة آل عمران: **{فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللـهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللـهِ آمَنَّا بِاللـهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}**[1] وقـال في سـورة المائـدة: **{وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ}**[2] ولا يخفـى كيـف حدسنا الباريء- عز وجل- طرفا ثالثا بين عيسى والحواريين فوجدنا تصريحه باسم جلالتـه في احـدى الآيتين دون نظيرتها المقابلة لها في التكرار، لأن عيسى- عليه السلام- لم يكن ذا مركز في هذا الخطـاب الثنائي، وما ورد في الآية الأخيرة هو الإقرار الأول من الحواريين لـلـه حين أوحى اليهم بضرورة الإيمان به وبرسوله، في كلامهم على الأصل، يعني: بحذف اسم الجلالة لعدم الحاجة اليه صريحا في السـياق، وما ورد في الآية الأخرى هو إقرارهم الثاني لعيسى حين أحس الكفر بين أتباعـه، فسـأل سـؤاله العـام عمن يـنصره إلى اللــه، فرفـع الحواريـون أصـواتهم بـأنهم أنصـار اللــه مصرحـين بإسـمه الجليـل، وملتمسين شهادة عيسى- عليه السلام- لهم بذلك الاسلام، وقد عد المـفسرون التكـرار في آيـة عـيسى مجيئاً للقول على الفرع؛ فتخفيف الادغام فرع، والفرع- كـما قـال الاسـكافي- بـالفرع أولى[3]، وقيـل أيضاً: إن سورة المائدة قد تضمنت تفصيل الخبر أكثر مما تضمنته سورة آل عمران، وهـو تفصـيل في الأمر الإلهي للحواريين بالإيمان به- تعالى- وبرسـوله، فناسـب هـذا الإتيـان بالضـمير عـلى حالـه غـير مدغم مع آداة التوكيد، كي توفى العبارة وتتم، فطال السياق بتفصـيل مضـمون الأمـر وفـك الادغـام،

---

(1) آ: 52.

(2) آ: 111.

(3) درة التنزيل: 61-62، و=: أسرار التكـرار في القـرآن: 50، بصـائر ذوي التمييـز: 164، قطـف الأزهـار: 597، فـتح الرحمن: 134/1.

واكتفى في الآية الأخرى بإيجاز الادغام، وحذف مضمون الأمر الالهي[1]، فلم يطل السياق بذكر لفظ الجلالة في معرض هاتين الحالتين من الإيجاز.

- الحذف في حروف المباني:

الحذف في مبنى الاسم:

وذلك في قوله- تعالى- في سورة الأعراف: {**مَن يَهْدِ اللـهُ فَهُوَ الْمُهْتَدى**}[2] وقوله في سورتي الاسراء[3]والكهف [4]: {..**مَن يَهْدِ اللـهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ**}، ومن الدارسين المعاصرين[5]من تتبع ورود مادة " هدى" في السور الثلاث، فوجدها قد تكررت في الأعراف ثماني عشرة مرة[6]وفي السورتين الأخريين معا ست عشرة مرة[7]، فعلق تمام لفظ اسم فاعلها بالياء على زيادة ترداد مادته في السورة الأولى، وهذا التوجيه لطيف؛ لما يتضمن من الربط الخفي في السورتين الأخريين بين حذف ياء الفعل المضارع المعتل جزما تلو أداة الشرط وحذف ياء المفتعل(: المهتدي) في موقع الفاصلة وكأن العربية التي جرت على حذف ياء مضارع الفعل المجزوم، وهي أصل فيه، لا تأبى في خصوصيتها القرآنية حذف الياء من اسم الفاعل المأخوذ منه تنسيقاً لحالتي الحذف في المعرض الواحد، وهذا ملمح جمالي في غاية الطرافة، وفي الكسرة دلالة على الياء المحذوفة في سورتي الإسراء

(1) ملاك التأويل: 310.

(2) آ:178.

(3) آ: 97.

(4) آ: 17.

(5) فاضل السامرائي: التعبير القرآني: 81.

(6) آ: 30،30، 43، 43، 43، 52، 100، 148، 154، 155، 158، 159، 178، 181، 186، 193، 198، 203.

(7) الإسراء: آ- 2، 9، 15، 15، 84، 94، 97، 97 والكهف: آ- 13، 17، 17، 24، 55، 57، 57.

والكهف اللتين قلّ فيهما تكرار أصل المادة، وثمة قراءة سبعية بإثبات الياء في آية سورة الكهف وحدها تعيد الوضع إلى أصله.[1]

الحذف في مبنى الفعل:

وذلك في قوله- تعالى- في سورة النحل: {**وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ**}[2]، مقابل قوله في سورة النمل: {**وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ**}[3]، فقد حذفت نون الكون، والأصل النحوي في جزم الفعل المضارع للكون إبقاء نونه ساكنة وعدم حذفها[4] لانتفاء الداعية النحوية الى هذا الحذف، مع اتساع فسحة التعويض الصوتي عن النون الساكنة في حالة الحذف بمطل ضمة الكاف التي قبلها حين يجري حذفها طلبا للتخفيف ولكثرة الاستعمال، كما يقول النحاة، وقد شرطوا لهذا التخفيف أن يكون الفعل المضارع مجزوما بسكون غير متلو بحرف ساكن[5].

ولكن المفسرين يردون المسألة الى مطلب علمي من مطالب عملهم في التفسير، يصلونه بسببي نزول الآيتين المذكورتين، فقد قيل في آية سورة النحل: إنها نزلت بعد غزوة أحد، حين مثّل المشركون بالمسلمين، فحلف الرسول- ﷺ - بأن يقتل سبعين رجلا لقاء ما فعلوه بعمه حمزة بن عبد المطلب- رضي الله عنه- فنزلت الآية تسلية له[6]، وقيل في الآية الأخرى إنها نزلت تسلية له- عليه الصلاة والسلام - في الضيق الذي كان قد

(1) وهي قراءة نافع وأبي عمرو، كتاب السبعة في القراءات: 391، =: معجم القراءات القرآنية: 353/3.

(2) آ: 127.

(3) آ: 70.

(4) شرح الكافية الشافية: 422/1-423، همع الهرامع: 122/1، و=: معاني النحو: 247/1.

(5) =: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: 191/1، وشرح قطر الندى وبلّ الصدى: 192.

(6) أسباب النزول: 290، و=: الطبري 131/14-132، الزمخشري: 645/2.

انتابه من عزوف قومه مـن قـريش عـن الاسـتجابة لـه ولدعوتـه[1]، ومعنـى هـذا أنّ حزنـه النبـوي الشريف لم يكن واحدا في الآيتين، فحذفت النون مبالغة في تسليته من الحزن الأول[2] عـلى الشـهداء أو مبالغة في النهي عنه [3]وكأنه- سبحانه- قد أراد الإشارة إلى أن سبب الحزن الآخر أكـبر مـن مقتـل حمزة، فقد كان حزنا على الإسلام وجودا ومصيرا، وقد ورد عن الـزركشي أنّ النـون عـادة مـا تحـذف تنبيها على صغر مبدأ الشيء وحقارته[4]، فالشهيد إنما يـذهب بأجلـه المحتـوم، وتنطـوي سـيرته كـما تنطوي سير كافة البشر، ولكن مكابدة الداعية إلى اللـه في لمّ أقربائه إلى دعوته حالة إنسـانية كـبرى متصلة به من طرف، وبالمعاندين من طرف آخر، وبسـيرورة الـدعوة وتاريخهـا وتأثيرهـا مـن طـرف ثالث، فهي بهذا المقياس تولد حزنا أكبر من الحزن على شهيد يمضي في موعده كائنـا مـن كـان، وإذا كان هذا مذهبا مجملا في تفسير الآيتين، فقد وردت ثمة قراءة بإثبات النون في آيـة سـورة النحـل، لم ينسبها الزمخشري، ولا الرازي[5] إلى قارئ بعينه، تنهي هذا الاختلاف بين الآيتين من ناحية مبنـاه، وربمـا كان حذف النون في الآية نفسها- كما قيل أيضا- طلبا للاتساق مع ما سبقها من الحذف نفسه في سورتها قبل سبع آيات منها، قال- تعالى-: {**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَـمْ يَـكُ مِـنَ الْمُشْرِكِـينَ**}[6]، وفي هذا التصور وجاهة سياقية مختلفة عن الوجاهة الدلالية التي أقيم عليهـا تصـور التفريـق بـين الحـزنين

(1) الزمخشري: 381/3.

(2) أسرار التكرار في القرآن: 127، و=: التعبير القرآني: 73.

(3) غرائب القرآن: 132/14.

(4) البرهان: 407/1-408، و=: معاني النحو: 248/1.

(5) الكشاف: 645/2، التفسير الكبير: 142/20، و= معجم القراءات القرآنية 300/3.

(6) النحل-آ: 120، =: غرائب القرآن: 132/14، فتح الرحمن: 239/2، وحاشية الجمل على الجلالين: 607/2.

بحذف النون في المذهب التفسيري المجمل الذي بدأنا تأسيسا على المستفاد من أسباب التنزيل.

- **الحذف في مبنى الجملة:**

وقد أسلفنا إشارتنا في التوطئة الى ما أقمنا عليه هذا التصور من الإجتهاد[1]، وهو ما تمثلناه في مبنى جملة " الكيد" من قوله- تعالى- في سورة الأعراف: {**قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ**}[2] وقوله في سورة هود: {**فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ**}[3] من الحذف، مع تعدد ظواهر الخلاف بين سياق التكرار في هاتين الآيتين، مما لا نعرض له في هذا المقام، لانحصار مرادنا فيه بالاتجاه الى الظاهرة التي أشرنا اليها فقط، وقد جرى فيها حذف ياء المتكلم في الآية الأولى تخفيفا، بعد حذف نون الرفع عطفا على جواب الطلب، والاكتفاء بالكسرة رمزا لها بعد نون وقاية الفعل من الكسر، وثمة قراءة سبعية بإثبات الياء على وضعها[4]، وحين نتتبع السياق في السورتين نجده في سورة الأعراف خطابا الهيا مباشرا إلى المشركين، لم يأت على لسان أحد من أنبيائه- تعالى- [5]. وفي السورة الأخرى خطابا نبويا اتجه به هود- عليه السلام- الى معارضيه وأكثر فيه ترداده لضمير المتكلم عن نفسه ثماني مرات[6]، والآية نفسها موقع المرة الثامنة، وقد لمح أحد الدارسين المعاصرين ملمحا جماليا لإظهار الياء في المحكي من كلمات هود، في سورته سماه " التحدي " في هذه السورة، ورآه أطول وأكثر مما كان منه في سورة الأعراف، ولما كانت الياء أطول من

---

(1) =: ص 83، آنفا.

(2) آ: 195.

(3) آ: 55.

(4) وهي قراءة أبي عمرو نافع في رواية ابن حجاز واسماعيل وابن عامر وهشام الداجوني وأبي جعفر وابن

(5) آ: 188-195.

(6) =: آ: 49-58.

الكسرة فإن مجيئها في معرض التحدي الأطول مناسب لسياقه [1]، ونحن نرجو أن يكون لهذا التوجيه حظه من السلامة والقبول، تبعا لحظه من التفكير الجديد في التفسير.

ظواهر الزيادة:

- زيادة الحرف:

ونحن لا نقصد هنا حرفا من " حروف المباني"، كما كان مقصدنا بمصطلح "الحرف" في الفصلة السابقة، وأول بيان لمقصدنا المطلوب في فصلتنا الحاضرة ما أشرنا اليه في صدر المسرد المطول الذي بدأنا به الكلام على ظواهر الحذف والزيادة دفعة واحدة، ولكن بنسق قدمنا فيه العناية بظاهرتي الحذف على العناية بظواهر الزيادة للتفاوت الكبير في سعة المادة القرآنية للعنايتين المذكورتين فبين أيدينا من ظواهر الزيادة أنواع، تتصدرها زيادة" حروف المعاني" التي نعرف ما أفرغه لها النحاة من كتب متخصصة، أقربها إلينا متناولا كتاب ابن هشام الأنصاري"مغني اللبيب عن كتب الأعاريب" فضلا عما نعرفه من اهتمام أحد الدارسين المعاصرين بها في الدائرة القرآنية بخاصة[2]، واهتمام الآخر بزيادتها في الكلام العربي بعامة[3] وإذا كنا ألمحنا في مسردنا الى ثلاثة وعشرين مثالا من زيادات الحروف في آيات التكرار، فسنكتفي في هذا المقام بدراسة مثالين مختارين منها فقط جريا على منهجنا في الانتقاء الخاص المعبر عن التنوع العام لكل حالة من حالات الدرس، والمثالان المختاران هنا:

---

(1) فاضل السامرائي- التعبير القرآني:77.

(2) هادي عطية مطر الهلالي: الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين- بيروت 1986، ونظرية الحروف العاملة ومعناها وطبيعة استعمالها القرآني بلاغيا- بيروت 1986.

(3) عباس محمد السامرائي: دراسة في حروف المعاني الزائدة – بغداد 1987.

- زيادة نون التوكيد:

قال- تعالى- في سورة البقرة: {**الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**}[1] مقابل قوله في سورة آل عمران: {**الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ**}[2] والخطاب في الآيتين موجه للنبي- ﷺ- واقتضاء التوكيد في الآية الأولى متصل بجوهر القضية القرآنية المتحدث بالآية عنها في ظرفها وطبيعتها، وثمة آيتان أخريان جاء فعل الكون فيهما مؤكدا بالنون أيضا، قال- تعالى- في سورة الانعام: {**أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**}[3] وقال في سورة يونس: {**فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**}[4] وهذا يعني أننا حيال أربع أحوال وأربع قضايا قرآنية في هذه الآيات كلها، انفرد منها نص واحد بفعل كون غير مؤكد بالنون، وهي الحرف المزيد المراد لدينا في هذا المبحث الصغير، ولكننا سنحصر المقارنة بين الآيتين الأوليين، لأن العناية الواحدة الشاملة بالآيات الأربع ستلزمنا الانصراف إليهن بما فيهن مجتمعات من التحويل الذي يمكن أن نصوره بالمعرض الآتي:

البقرة	الحق من ربك	فلا تكوننّ	من الممترين
آل عمران	الحق من ربك	فلا تكن	من الممترين

(1) آ: 147.

(2) آ: 60.

(3) آ: 114.

(4) آ: 94.

الانعام	انه منزل من ربك بالحق	فلا تكوننّ	من الممترين
يونس	لقد جاءك الحق من ربك	فلا تكوننّ	من الممترين

فالتحويل الواقع في صدور هذه الأمثلة من التكرار سيخرج عملنا في تحليلنا للمثال الذي بدأنا به عن سنة الاقتصاد والتركيز، وسيكون مناسباً معه إلحاق الدرس الشامل للآيات الاربع بمادتنا المستقبلية في الفصل الثالث الذي سنسمه في موضعه بمصطلح " التكرار الجامع"، نعني: الجامع لأنماط مختلفة من التحويل الذي ينشيء التباين الظاهر بين البنى التركيبية للأمثلة مما ليس من غرضنا الاهتمام به في هذا الموضع من الدراسة.

أما الآيتان اللتان نحن بصددهما فيه، فقد استوعبتا خلافا يسيرا منحصرا في زيادة نون التوكيد في الأولى منهما وهي متصلة بخبر تحديد قبلة المسلمين، كما صور ذلك في سورة البقرة، فلما قيل للنبي-ﷺ-: {**فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا**}[1] أي ترضاها فلا تكونن من الممترين، أوجب هذا السياق- كما يفهم من كلام الكرماني- الازدواج[2] بين التوكيدين، ثم نجم عن الآيتين توكيدان آخران في خبر " إنّ "قال- تعالى-: {**إِنَّكَ إِذَاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ**}[3]، وقال: {**أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**}[4]، فكأن القول في الآية قد جرى على ما سبق من تواتر التوكيد في المعرض كله، ولما كان ما جرى من وقائع تغيير القبلة من بيت المقدس إلى مكة المكرمة ليس إمراً يسيرا، فقد صحبه أراجيف وأقاويل، ارتد بعدها من ارتد من ضعاف الإيمان، فقد أشعر الله- سبحانه- نبيه الكريم بما هو كائن، وعد ذلك امتحانا للمسلمين، وقال: {**وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ**

(1) آ: 144.

(2) أسرار التكرار في القرآن:50.

(3) آ: 145.

(4) آ: 146.

مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللـهُ}[1]، ومما جعل هذه القضية مثارا للاضطراب كونها أول نسخ وقع في القرآن الكريم[2] ارتد له من أولئك من ارتد، ولتحقيق التناسب فيه بين تأكيد النهي عن الامتراء فيه[3]، كرر- سبحانه- الأمر باستقبال النبي-ﷺ- الكعبة ثلاث مرات، واستقبال المسلمين لها مرتين في سورة البقرة نفسها[4] لأجل التأكيد المشار إليه آنفا، وقد انتهى الأمر كله إلى أن ما أمر به الرسول عليه الصلاة والسلام هو الحق الذي لا مرية فيه[5] قطعا لكل الشبهات والأراجيف والأقاويل، وليس ثمة شيء من هذا في معرض الآية الأخرى من سورة آل عمران[6]، ففي الآية معلومات أخبر بها النبي -ﷺ- في جملة ما أخبر به عن سلفه الكرام من الأنبياء وطبيعة تلقيه لهذه المعلومات لم تحتمل إنكاراً منه لها، أو شكا فيها، قال- تعالى-: {**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللـهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ**}[7]، فالنبي من موقف إيمانه المطلق بمفردات الوحي الإلهي إليه كان مستعدا لاستقبال كل ما يرد إليه من هذا الطريق، مما يمكن أن يكون مثار الشكوك لدى غيره من الناس ولهذا لم تحتج الآية غلى توكيد فعل الكون فيها بضميمة النون، كما كانت الحاجة في آية تحديد القبلة.

---

(1) آ: 143.

(2) الرازي 156/3، و=: نواسخ القرآن: 143.

(3) قطف الأزهار: 599.

(4) آ: 144، 149، 150.

(5) =: التعبير القرآني: 122/121.

(6) فتح الرحمن: 64/1.

(7) آل عمران-آ: 59-60.

- زيادة لام الابتداء:

وهي اللام التي يسميها النحاة " اللام المزحلقة" ايضا، ووظيفتها عندهم توكيد جملة الاسم والخبر في سياق " إنّ " المشبهة بالفعل، لإندفاعها من اسمها الى صدر خبرها[1] مفردا كان أم جملة، قال- تعالى- في سورة الانعام مخاطبا النبي -ﷺ-: {**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**}[2]، ومطلب بحثنا هنا " إنّ" الاولى وجملتها، ومن النحاة المعاصرين[3]من رد فراغ هذه الجملة من التوكيد الى كون الآية كلّها مبنية على تأخير العقاب، إمهالا به للرسول- ﷺ- وأمته، وترجيحا للغفران على سرعة العقاب، لأن المذكورين في الآية ليسوا بجملتهم ممن يستحقون العقاب[4] بدلالة " إن" الثانية وخبرها المؤكد باللام في خاتمة الآية نفسها، بيد أن الخطاب في الآية المقابلة للآية المذكورة في التكرار وهي قوله- تعالى- في سورة الأعراف: {**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**}[5] موجه الى بني اسرائيل الذين توعدهم- تعالى- بالذل والنقمة وأداء الجزية بعد مسخهم قردة، فلما جرى توكيد الخبر الأول باللام إفادة لتعجيل العقاب لهم[6] عودلت هذه الإفادة بتوكيد الخبر الثاني باللام ايضا، لينتفي ظنهم بأن رجحان الغفران لهم من الشأن الإلهي العظيم بعد كل ما سلف من عصيانهم وعتوهم، وهم أمة ليس لها شرف كشرف الأمة المحمدية

(1) الحروف: 74-75، رصف المباني: 833، مغني اللبيب: 228.

(2) آ: 165.

(3) فاضل السامرائي- التعبير القرآني: 118.

(4) ملاك التأويل: 486.

(5) آ:167.

(6) ملاك التأويل: 486، و=: البرهان: 4/65-66، التعبير القرآني: 151.

بالمبعوث اليها رحمة لها[1]، وقد جاء إخبار بني اسرائيل بتسريع عقابهم بعد إفصاح قرآني بعقوبة الذين عدوا منهم في السبت، قال تعالى: {**فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ *فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ* وَإِذْ تَأَذَّنَ**}[2] فالسياق كله مشعر بوقائع عقاب متصل على جملة ما أجرموا في حق الله- عز وجل- بانحراف أمزجتهم، وفساد سرائرهم، وسوء أخلاقهم.

- زيادة الاسم:

وسنحصرها هنا في زيادة الضمير فقط ولكن في مثالين، الأول منهما قوله- تعالى- في سورة الحج: {**ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**}[3] مقابل قوله في سورة لقمان: {**ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**}[4]، فلدى المعارضة بين هاتين الآيتين نرى ضمير الفصل حاضراً ثلاث مرات بين الأسماء والأخبار في جمل" أنّ" الثلاث في الآية الاولى، وفي اثنتين من جملها في الآية الثانية، وغائبا في واحدة منها وهي الجملة المتوسطة، نعني: قبل "الباطل" فيها، وهو ضمير جرى النحاة على تعريفه بأنه ضمير رفع يؤتى به بين المبتدأ والخبر بشرط أن يكونا معرفتين أو مقاربين للمعرفتين، وقد سماه أهل البصرة: " فصلاً" وأهل الكوفة" عماداً" لكونه المعتمد عليه في الفائدة[5]، لأنه يفصل في الأمر حين

(1) قطف الأزهار: 972، و=: أسرار التكرار في القرآن: 77.

(2) الأعراف: 165-167.

(3) آ-: 62.

(4) آ-: 30.

(5) شرح جمل الزجاجي: 65/2.

الشك، بدلالته على أنّ الاسمَ الواقع بعده خبرٌ لما قبله من مبتدأ أو ما أصله مبتدأ، وليس صفة ولا بدلا ولا غيرهما من التوابع والمكملات[1]، ومعنى هذا: أنه ليس ضمير تأكيد حقا، ولكنه مشاكل لمجيئه في معرض قرآني فسيح مليء بالتأكيدات، فقد سبقت آيته في سورة الحج سبع آيات[2]جرى فيهن توكيد الخبر باللام، منهن قوله- تعالى-: **{وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ}**[3] وتلتها خمس[4] أكد فيهن الخبر باللام ايضاً، كما في قوله- تعالى- **{فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ}**[5]، "فلما ترادفت التوكيدات- كما قال الاسكافي- وجاء في هذا الموضع، وجاء بعده خبر بين خبرين أكد، وهو: **{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ}**[6] وقوله: **{وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}**[7] قتضت اشباهه مثله، فجاء الخبر الثاني الواقع بين الخبرين وبعد الأخبار المؤكدة مؤكداً بقوله "هو " فقال: **{وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ}**[8] وليس كذلك ما جاء في سورة لقمان، لأنه لم تتقدمه التوكيدات التي تستتبع أمثالها، كما تقدمت في الاولى"[9] وقد عنى الإسكافي بهذا التفصيل مجموعة الأخبار التي ترادف ذكرها في سياق

---

(1) زاهدة عبد الله العبيدي- رسالتها للدكتوراه: الحدود النحوية من النشأة إلى الاستقرار: 215-216. و=: الكامل في النحو والصرف والإعراب: 241.

(2) آ: 39، 40، 53، 54، 58، 59، 60.

(3) الحج – آ: 53.

(4) آ: 64، 65، 66، 67، 74.

(5) آ-: 67.

(6) آ: 62.

(7) آ: 62.

(8) آ: 62.

(9) درة التنزيل: 312-313.

الآية كاملة، وأثرها طردا وعكسا على موقع الخبر الثاني، وهو "الباطل" في منتصفها، مسبوقا بـ"الحق" خبرا في السابقة، ومتلوا بـ"العلي العظيم" خبرين في اللاحقة فلمجيئه في الموقع المذكور بين التوكيدات المترادفة بمصطلحه الخاص في عبارته، أي: المتوالية المتعاقبة، جرى توكيده بالضمير في موقعه من آيته المختلفة عن نظيرتها في سورة لقمان بمظهر جوهري في الصياغة القرآنية لكل منهما، ذلكم هو تعاقب حلقات التوكيد في سورة الحج وحدها- كما اسلفنا-، دون سورة لقمان، وهذا يعني: أنّ الضمير قبل " الباطل" واحد من تلك الحلقات المعبرة إجمالا عن بنية التوكيد السياقي في السورة المذكورة طردا من أولها إلى موقع الآية فيها.

وإذا كان ما ذكرناه وجها من التعليل، فثمة وجه آخر، يبدأ من الإشارة إلى أن ما عرضته الآيات في سورة الحج حالة من الصراع مع أهل الباطل من لدن قوله- تعالى-: {**وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ..**}[1]، حتى قوله- تعالى-: {**وَالَّذِين هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**}[2] وإذا كان أولئك الكفار يومئذ ساعين معاجزين معاندين مصارعين متمكنين في الأرض بعد هجرة المؤمنين منها أو قتلهم أو موتهم، فقد احتاج أمر المسلمين معهم إلى زيادة تثبيت لهم على الإيمان، وإشعارهم بأن المناوئين لهم على الباطل بالضمير الذي رآه السيوطي " مفيدا التأكيد والاختصاص والتعريض بأهل الكتاب"[3] ولم يكن في آيات سورة لقمان أكثر من ذكر لأهل الباطل بباطلهم حسب، من غير ذكر لأي صراع لهم مع أهل الإيمان، ومن غير إشارة إلى صولة باطلهم عليهم وبطشه بهم[4]، ولذا خلت الجملة الثانية في موضعها من

---

(1) آ: 51.

(2) آ: 58.

(3) قطف الأزهار: 177.

(4) التعبير القرآني: 131-132.

آيتها من الفصل بالضمير قبل " الباطل" لانعدام الشك في كونه باطلا في الحالة الهادئة الخالية من صراع الإيمان والكفر خلافا لطبيعة الحالة الموصوفة في الآية الأولى.

أما المثال الآخر من زيادة الاسم ضميرا، ففي قوله- تعالى- في سورة النحل: {**فَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللـهِ هُمْ يَكْفُرُونَ**}[1] مقابل قوله في سورة العنكبوت: {**أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللـهِ يَكْفُرُونَ**}[2] ولكن الضمير المزيد في الآية الاولى من هاتين ليس فصلا بين الخبر والصفة البتة، بالاعتبار النحوي لحقيقة " ضمير الفاعل " كما عرفناه في الموضع السابق[3]وقد رد المفسرون المعنيون بظاهرة التكرار في القرآن الكريم مجيء الضمير المذكور الى حالة متصلة بسياق الآية، واتجاه الخطاب فيه من العموم الى الخصوص، ومن المواجهة الى الغيبة، قال- تعالى-: {**وَاللـهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللـهِ هُمْ يَكْفُرُونَ**} وقد اقتضى الانتقال في هذا السياق من الخطاب العام المواجه إلى التعريض الخاص بالكفار التأكيد بالضمير، لئلا تلتبس الغيبة بالخطاب، والتاء بالياء[4]، لأن الخطاب في آية سورة النحل عائد الى من تقدم ذكرهم في قوله- تعالى- {**وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ**}[5]، حتى قوله {**فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**}[6] فلما كان قوله: {**أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ**} راجعا إلى ما تباعد، اتى

---

(1) آ:72.

(2) آ: 67.

(3) =: ص 94، آنفا.

(4) درة التنزيل: 270، و=: أسرار التكرار في القرآن: 125، فتح الرحمن: 213/2.

(5) آ: 56.

(6) آ: 63.

بضميرهم المشعر بالبعد، وهو ضمير الغائبين؛ فارتفع بالاتيان به توهم عودة الضمير في "يؤمنـون"- كما قال الغرناطي- [1] إلى المقول لهم: {**وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم...**}[2]، بخلاف التركيب في آية سـورة العنكبوت لورودها في نهاية قوله تعالى: {**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللــهَ مُخْلِصِينَ لَـهُ الـدِّينَ فَلَـمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * أَوَلَـمْ يَـرَوْا أَنَّـا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُـونَ وَبِنِعْمَـةِ اللــهِ يَكْفُـرُونَ**}[3] بعـد إشارات استمرت كلها الى الغيبة، "فترادف الإخبار عن الغيب- كما قال الاسكافي- أغنـى عـن توكيـده بما يحصره على الخبر" [4]ولعل ذكر الضمير في آية سورة النحل قد أغنى عن إعادته هنا في آية سـورة العنكبوت، اذا أخذنا بالسياق القرآني العام في دراسة ظاهرة التكرار، ونحن نحدس سببا آخر يتعلـق بمجيء الضمير في إحدى الآيتين دون نظيرتها، نعني: نوع الكفر المذكور فيهما معا، فهو في آية سـورة النحل كفر باللـه وايمان بالباطل، وفي الآية الأخرى كفر للنعمة، "وكفر النعمة- كما قال ابن عاشور- أخفى من الايمان بالباطل، لأن الكفـران يتعلق بحالات القلب"[5]ولذا احتيج الى تأكيده بالضـمير الـذي عـدّه أبو السـعود " صـلة للفعـل، تقـدمت عليـه للاهـتمام، او لإيهـام الاختصـاص مبالغـة، أو لرعايـة الفاصلة، والالتفات الى الغيبة للإيذان باستيجاب حال آولئك الكافرين للإعراض عـنهم، وصرف الخطـاب الى غيرهم من السامعين تعجيبا لهم لما فعلوه"[6] والمقصود بمصطلح "الصلة " في هذا النص خـاص جـدا،

---

(1) ملاك التأويل: 750-751.

(2) آ: 72.

(3) آ:65-67.

(4) درة التنزيل: 270.

(5) التحرير والتنوير: 220/14.

(6) إرشاد العقل السليم: 184/3.

وغير جارٍ على مفهومها عند النحاة في باب الاسم الموصول، فقد أراد أبو السعود بمصطلحه هذا: الجار والمجرور الواقعين في موقع المفعولية المقدمة على الفعل، وحين جاء الضمير في سياق هذا الترابط بين المعمول المتقدم والعامل المتأخر وقع في إطار الجملة كلها، فكان جزءا موصولاً بالشطر المتأخر منها للأسباب التي ألمح إليها المفسر نفسه في معرض الكلام.

- زيادة الجملة:

- الاسمية:

قال الله- تعالى- في سورة الكهف: {**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**}[1]، وقال في سورة الانبياء: {**قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**}[2]، والخطاب في الآيتين- كما لا يخفى- موجه إلى الرسول- ﷺ- وفرق ما بين نصيه في الآيتين الجملة الاسمية {**أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ**} المزيدة في أولاهما على الثانية، مناحة في السياق الطويل لمقول القول فيها، وهو ما أمر- ﷺ- بإشهاره على مناوئيه من كفار مكة، منشؤه حالة ملاحاتهم له وشدة كفرهم بدعوته، مما عرضت له سورة الأنبياء أيضا، قبل الآية التي نحن بصددها فيها، حاكية على لسان اولئك الكفار قولهم {**هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ**}[3]، في معرض نكراتهم للدعوة الآتية- كما تصورها- من نفسه وذاته وجبلته البشرية التي يملكون منها ما يملك، فما أفضليته عليهم في اختصاصه بها؟ وهم أرباب اللسن والفصاحة والوجاهة والغنى وعزة الجانب،

---

(1) آ: 110.

(2) آ: 108.

(3) آ:3.

ثم بقيت الآيات من ثم تؤكد حقيقة بشريته قال تعالى: {**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ**}[1] وقال: {**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**}[2]، إشارة الى أنّه- عليه الصلاة والسلام- بشرٌ حقا وكذلك سائر الأنبياء والرسل الذين لم يبعث أحدهم البتة من غير عالم الأنس، ونحن حين نعيد النظر في آية سورة الكهف سنرى كيفية تحقيق بشرية الأنبياء فيها بالأسلوب الذي سماه البلاغيون: "قصرا " لتصديره بـ" إنّ " المشبهة بالفعل مكسوعة بـ" ما" الكافة لها عن عملها النحوي[3] كما لا يغيب عنا ما في الجملة الاسمية من عناصر قوة المضمون بما تدل عليه من الثبوت- كما يقول النحاة[4]، فضلا عما أضفاه الوصف بالمثلية التي خوطب بها آولئك الجافون المعادون على خبر المبتدأ فيها من دلالة حقيقة البشرية التي عزاها-ﷺ- إلى ذاته الشريفة بالتركيب الاسمي بأمر ربّه إرغاماً لأعدائه، وتصحيحا لانحراف اعتقادهم فيه وفي نبوته وإذا كان الباري- عز وجل- قد صدعهم على لسان نبيه المبتلى بتكذيبهم، وفيهم عشيرته وأهله الأقربون بالقول الذي أجراه على لسانه {**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ**} ليقطع شكهم بيقينه، ووهمهم وتكذيبهم بصدقه، قصرا لهم على الإقرار بنبوته فيهم، مع حقيقة كونه بشراً مثلهم مرسلا إليهم من لطف الباري- تبارك وتعالى- بخلقه ورحمته لهم[5]، كما يستكنه من مجمل الخطاب كله في موقع الآية من سورة الكهف، إذا كان ذلك فإن الخطاب في السورة الأخرى قد أخذ مسارا آخر في تقرير بشرية الرسل في مطلب الاعتقاد الصحيح بهم، فمن انتهاء سورة الكهف بالآية التي عرضنا لها بما فيها من المضمون الدافع لتكذيب المكذبين لتلك البشرية كان ابتداء سورة

---

(1) آ:7.

(2) آ: 107.

(3) = الإيضاح في علوم البلاغة: 121/1.

(4) معاني النحو: 16/1.

(5) ملاك التأويل: 791-792.

الانبياء بذلك التبكيت الذي بُكِتَ به الغافلون المعرضون المكذبون لكل ذكر إلهي، يأتي به الرسول بعد الرسول، فلما آن أوان الرسالة المحمدية قيل للفريق المكذب بها ما قيل في آياتها الخالية من أية إشارة إلى بشرية الرسول -ﷺ-كما أشير اليها في آية سورة الكهف تنصيصاً أسلوبياً بالجملة الاسمية وقصراً بلاغياً بما اشرنا اليه آنفا كما يجري تأكيد هذه الحقيقة بمعرض فسيح متفرق في السورة كلها بحسب مقتضياتها الإلهية ومراميها القرآنية.

- **الفعلية:**

قال- تعالى- في سورة يوسف: {**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**}[1] ، وقال في سورة القصص {**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**}[2]وقد تفارقت هاتان الآيتان بزيادة جملة الاستواء الفعلية في الثانية منهما، مع كونهما مقولتين في موصوفين مختلفين، نعني: يوسف في قصته وسورته القرآنية، وموسى- عليهما السلام- والجملة المزيدة الفارقة بينهما متصلة، بشخصية موسى قبل إيتائه الحكمة والعلم والنبوة، وللمفسرين في الفرق بين الآيتين كلام مقروء ناجم لديهم عن الاختلاف في تفسير" الأشُد- بضم الشين" فقد قال أبو عبيدة (ت215): "بلغ فلان أشده: إذا انتهى منتهاه في شبابه وقوته، قبل أن يأخذ في النقصان"[3]، وروى الرازي عن ابن عباس (ت68): أن الأشد ثلاث وثلاثون سنة[4]، ولكنه عاد فنقل أربعة اقوال اخرى في لفظتي:

الأشد ← و	← الاستواء
-كمال القوة الجسمانية	-كمال القوة العقلانية

(1) آ: 22.

(2) آ: 14.

(3) مجاز القرآن305/1، 99/2.

(4) التفسير الكبير 110/18.

-كمال القوة	-كمال البنية والخلقة
- كمال البلوغ	- كمال الخلقة
- ما بين الثماني عشرة سنة الى الثلاثين	- إن ما بين الثلاثين الى الاربعين يبقى سواء من غير نقصان[1]

ويظهر في هذه الأقوال: أن الاستواء كائن في عمر الثلاثين إلى الأربعين وليس مناسبا أن يظن سن الاربعين أشّد، وظاهر ما عليه القرآن وصف مدة السنوات العشر التي قبلها بالأشد هو الأحجى بدليل قوله- تعالى- في سورة الأحقاف: {**حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً**}[2] في صفة الانسان الكامل القوة والخلقة والعقل، "فلو كان الأشد- كما ألمح الغرناطي- هو الاربعين، لأدى ذلك الى عطف الشيء على نفسه"[3]، وهذا عيب من عيوب الكلام المعتاد لا يصح اعتقاد حصوله في البيان الإلهي المعجز ومن أجل هذا كانت حيطة الرجل من الظن الذي أشرنا اليه، والإضرار منه بقوله: " فإنما الكلام في قوة أنّ لو قيل: حتى إذا بلغ أشده واستكمل، وتم بالزيادة.." [4]، وعلى هذا فالأشد لا يكون إلا على حال من العمر يحسن فيها الضبط والتدبير وإحكام الأمور وفهم الخطاب وابتداء هذا في جاري العادة لا يكون إلا عند البلوغ أو قبل البلوغ، ثم يستحكم الى الغاية التي إليها انتهاء تمام القوة واستحكام العقل وتلك هي سن الأربعين[5]. وقد أوحي إلى يوسف- عليه السلام- وهو في الجب، قال- تعالى-: {**وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ**}[6] وقد أوحي الى موسى- عليه

(1) م.ن: 232/24، و= تفسير المنار: 274/12.

(2) آ: 15.

(3) ملاك التأويل :676.

(4) ملاك التأويل: 676.

(5) ملاك التأويل: 676-677.

(6) يوسف- آ: 15.

السلام- بعد هذه السن، غبّ فراره من مصر في النوبة الأولى قال- تعالى-: {**فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ**}[1]، وإنما كان هذا القول منه لهم كما تفصح الآي، بعد عودته إلى حاضرة فرعون من رحلة الخوف والفرار ولقاء شعيب- عليه السلام - والزواج من ابنته، وقد توالت هذه الوقائع كلها من ابتدائها الى استكماله الأشد، وهو الاستواء، بقرينة قوله- تعالى- في قصته: {**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى**}[2]، أي استكمل وانتهى الى أحسن حالات عمره [3] ولما كان يوسف كذلك حين أوحى إليه وهو في قاع الجبّ وقد كان يومئذ فتى يافعا مخوفا عليه من غدر إخوته به، وعلى هذا يكون قوله- تعالى- في وصفه وهو في الجبّ: {**وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ**}[4] إرهاصاً مبكراً بنبوته قبل دخوله في مكابدات كيد النسوة والسجن المرير الطويل حتى خروجه منه باللطف الإلهي به، وقبضه على مقاليد الأموال والأرزاق في أرض مصر، كما نفهم من مجرى قصته الكريمة في القرآن، ولهذا كان وصفه فيها بالأشد فقط دون الاستواء، كما وصف موسى بهما مقترنين في قصته، وحين يكون " الأشد " كمال القوة الجسمانية، أو كمال القوة، أو كمال البلوغ، أو يكون ما بين الثماني عشرة والثلاثين فهو ظرف الحالة التي مكنت موسى من قتل أحد الرجال بوكزة واحدة، خرج بعدها خائفا من مصر وشيكا قال- تعالى-: {**وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَـذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ**

---

(1) الشعراء-آ :21.

(2) القصص- آ: 14.

(3) درة التنزيل: 240، ملاك التأويل :677.

(4) يوسف-آ:15.

عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ}[1] ثم كان ما كـان مـن أمـره في الوقـائع التـي أشرنـا إليها ومن اللطيف ما فعله ابن عاشور في تفسيره " مفهوم الاستواء" في قصة موسى باستحضار قوله- تعالى- في صفة الزرع: {**فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ**}[2]، ليرى من ثم أنّ استواء موسى هو اسـتغلاظ خلقته وتمامها قبل الوحي إليه بعد سن الأربعين من عمـره[3]، ولعـل الاشـد كـما عرضـناه آنفـا هـو ظرف الحال التي كان يوسف فيها لدى مغادرته السجن، وبـدء عملـه الخطـير في إدارة أمـوال مصر، ومواتاته بألطاف النبوة والوحي الإلهي، وها هنا لا بد من التنبيه على أمر مهـم جـدا في سـياق كـل من القصتين، لورود آية الوصف بالأشـد في الأولى وبالأشـد والاسـتواء في الثانيـة وهـما آخـذتان بعـد بتنامي القصص، وفي موضع متقدم منه جدا فهذا التقديم من فن القصة القرآنية التي يسحب فيهـا حدث متأخر في تاريخ احداثها الى موضع المقصد الإلهي الذي يستدعي تقديمه على بقيـة الاحـداث فيها، ولا يكون لتقديمه أي ارتباط بعمر المتحدث عنه في القصة ولا بأوصافه أو خصائصـه البشريـة، وقد وصف يوسف بالأشد في يفاعته، ووصف موسى به وبالاستواء قبل ذكر حادثـة القتـل في القـرآن وهما كائنان له بعد سنوات هجرته من مصر إلى أرض الجزيرة العربية، ولدى بدء رسالته بعـد سـن الأربعين.

●- زيادة شبه الجملة/أو/ جزئها:

ولا غرابة في الشطر الأول مـن هـذا العنـوان، إن كـان ثمـة شيء مـن ذلـك في جزئـه الآخر، وقد سلفت لنا إشارة في ذيل المسرد الكبير الى أنّ زيـادة جـزء الجملـة قـد انـحصرت لدينا في سـتة مواضـع ختمنـا المسرد بـذكرها، نعنـي: بوصـف مكوناتهـا فيـه وصـفا كافيـا،

---

(1) القصص-آ: 15.

(2) الفتح- آ: 29.

(3) التحرير والتنوير: 87/20.

وليس لدينا من زيادات شبه الجملة غير زيادات الجار والمجـرور دون الظـرف الـذي لم نجـد لـه في القرآن الكريم أي ورود مزيد في سياقات التكرار.

- زيادة الجار والمجرور:

قال- تعالى- في سورة الأنعام: {**قُل لاَّ أَقُـولُ لَكُـمْ عِنـدِي خَـزَآئِنُ اللـهِ وَلا أَعْلَـمُ الْغَيْـبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ**}[1] وقال في سورة هود: {**وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللـهِ وَلاَ أَعْلَـمُ الْغَيْـبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَـكٌ**}[2] وأول الفـرقين بـين الآيتـين أنّ الكـلام في أولاهـما إنشـاء وفي الثانيـة خـبر بـالمفهوم البلاغي والخبري[3]، وقد نشأ هذا الفرق بصـدارة فعـل طلـب القـول والأمـر بـه في الآيـة الأولى، لأن الخطاب موجه فيها صراحة إلى النبي-ﷺ- إشعاراً له بلزوم تبليغ عتاة قريش والعـرب جميعـا بـأمر الدعوة، توبيخا لهم وتقريعا على ما اجترموا في حقها من التكذيب والتشنيع والبغي والعدوان وكان هذا الأسلوب قد تعاقب قبل الآية مراراً في سورتها، قال- تعالى-: {**قُلْ إِنَّ اللـــهَ قَـادِرٌ عَـلَى أَن يُنَـزِّلٍ آيَةً**}[4] وقال: {**قُلْ أَرَأَيْتُكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَـذَابُ اللــهِ**}[5]، وقـال: {**قُـلْ أَرَأَيْـتُمْ إِنْ أَخَـذَ اللــهُ سَـمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ**}[6] ولا يخفى ما أخذه ضمير جمع المخاطبين، في هذه الآيات كلها والآية التـي نعـرض لهـا من فاعلية في تحديد جهة الخطاب، إمعانا في الإشعار بصغار المخـاطبين، وإقـلالا مـن شـأنهم حيـال القوة الإلهية الجبارة التي يمكن أن تنزل بهم كل شيء من العذاب والدمار والخسف والأخذ المقتدر

(1) آ:50.

(2) آ: 31.

(3) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: 332/1 وما بعدها، و464/2 وما بعدها.

(4) آ: 37.

(5) أ: 40، 47.

(6) آ: 46.

الوبيل، ما أشبه تكرار (لكم) في الآية نفسها بالتوكيد اللفظي على غير ناموسه التقليدي في النحو العربي، وناموسه: هو التعاقب والاتصال بين لفظي التوكيد، كما في قولنا: (الصدق الصدق/إياك إياك/وما شاكل)، وكأنا بالآية في سورة هود قد خلت تماما من هذا الذي تصورناه شبيها بالتوكيد، مما لم يدخل لدى النحاة في أصول التوكيد اللفظي عندهم، فرد المفسرون خلوها من الضمير نوبة أو نوبتين إلى أنّ مضمونها المحكي عن نوح- عليه السلام- في مخاطبة قومه باللطف والشفقة من حالهم معطوف على ما سبق من قوله لهم: {**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ**}[1]، وقوله: {**وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً**}[2]، وقوله: {**وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللـه**}[3]، قبل أنْ يقول لهم أخيرا ما حكته الآية الكريمة مضارعة بنظيرتها في سورة الأنعام، وخالية من مجيء " لكم " فيها مطلقا، بعد مجيئها نوبتين في تلك، وقد رأى الغرناطي أن تكرارها في آية سورة الأنعام مناسب لما جاءت تلك الآية من أجله من مطلب التوبيخ المؤكد لعتاة قريش وتقريعهم وتعنيفهم[4]، وما عدم ورودها في الآية الأخرى غير تلطف في دعوة نوح لقومه لا يلائمه تكرار كلمة تفهمهم منه تعنيفا أو توبيخا، والتأكيد والتكرار يفهمان ذلك[5]، في مثل هذا الموضع قد عد البقاعي عدم تكرار الجار والمجرور " لكم " في آية نوح تواضعا منه، لكون مضمون الآية من قوله، فتواضع بعدم التصريح بإسناد الامر فيه الى اللـه- عز وجل-[6] وقد سبق تكرار "لكم" في قصته أربع مرات[7] مع الآية نفسها، فاكتفى بذلك عن إعادته

(1) هود – أ: 28.

(2) آ: 29.

(3) آ: 30.

(4) ملاك التأويل: 457.

(5) م. ن: 456.

(6) نظم الدرر: 124/7.

(7) هود –آ= 25، 27، 31، 34.

فيها[1]. ومن زيادة الجار والمجرور ايضا، قوله- تعالى- في سورة العنكبوت: {**وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاء وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللـهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**}[2] وقوله في سورة الشورى: {**وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللـهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**}[3] وفي الآية الأولى زيادتان ملحوظتان على الثانية، مع فرق أسلوبي جميل في موضعه، ذلكم هو (لا) النافية التي عزز بها بعد ذلك النفي المستهل به في صدر الآية بـ (ما)العاملة عمل ليس، وأرسى بها التعبير القرآني على أصله المعجز المطلوب، وللقارئ أنْ يتصور نص الآية خاليا من هذه الضميمة الثانية، ليرى انهدام الصياغة واضحا حين يعطف الجار والمجرور على الجار والمجرور بدون هذه الركيزة الاسلوبية التي عززت النفي- كما أسلفنا- وأنشأت نفيا جديدا في مجال كوني غير مجال الأرض لا يملك البشر الهرب فيه من ملكوت اللـه أيضا، وقد وجدنا في أقوال المفسرين تعليلين للاختلاف الناجم بين الآيتين، يتعلق اولهما بسبب النزول، والآخر بالسياق، فقد نزلت الآية الأولى في قصة ابراهيم- عليه السلام- في خطابه لقومه، ونمرودهم الذي رام الصعود في الجو متوهما أنه يحاول بلوغ السماء، فقال له إبراهيم ما قال مما حكته الآية الكريمة، ومعناه: وما أنتم بفالتين من العذاب، فلا تجدون لكم موئلا ينجيكم من قدرتنا عليكم في مكان من الأرض من الإنس والجن، ولا في السماء من الملائكة،فكيف تعجزون اللـه[4]، فعطف قوله: {**وَلا فِي السَماءِ**} على قوله: {**فِي الأَرضِ**} احترازاً وتأييساً لهم من الطمع في النجاة[5] في حين ضمت الآية الأخرى خطابا للمؤمنين غبّ قوله- تعالى- لهم: {**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا**

(1) أسرار التكرار في القرآن: 70، و=: البرهان: 167/1.

(2) آ: 22.

(3) آ: 31.

(4) درة التنزيل: 352و=: البقاعي 418/14.

(5) ابن عاشور 232/20 و=: أسرار التكرار في القرآن: 163، البقاعي: 14 /418.

كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ}[1]، وهذا إعمام في المصائب أريد به الخصوص، فما كل مصيبة مستحقة باجترام صاحبها، فمن المعتاد أنْ يصاب أحيانا من لا جرم له في شيء، وقد يصاب من لم يبلغ حد التكليف أيضا، فيجري عقابه وجوبا على الذنب الكائن منه، وخلاصة هذا: أنّ المخاطبين في الآية مخصوصون، وإن عموا بلفظها، فلما كان الخطاب موجها للمسلمين فقد قال لهم- سبحانه- {**وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ**} وعيدا لهم وهم ليسوا من القوم الذين يقال لهم {**وَلا فِي السَمَاءِ**}، لأنهم لم يجترموا جرما كجرم النمرود[2] وقد قيل: إنّ الخطاب في الآية عام للمسلمين والمشركين بقوله- تعالى-: {**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**}، وفي هذه التعقيبة الأخيرة رد للخطاب إلى حالة تخصيص المسلمين بالعفو[3] كل هذا من جهة تعلق التأويل بسبب النزول، أما ما يتعلق منه بالسياق، فالإشارة إلى أنّ الآية في سورة العنكبوت مسبوقة بقوله- تعالى- {**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاء مَا يَحْكُمُونَ**}[4] وهذا من أشد الوعيد، وحاصله: أنّه لا يفوته- سبحانه- أحد ولا مهرب منه- تعالى- إلا إليه فناسب هذا قوله: {**وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَمَاءِ**} وثمة قوله- عز وجل- في سورة البقرة: { **أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا**}[5] في اتجاه المعنى نفسه، في حين لم يرد في سورة الشورى من أولها إلى

---

(1) الشورى – آ: 30.

(2) درة التنزيل: 352.

(3) ابن عاشور: 20: 233.

(4) آ: 4.

(5) آ: 148.

موضع الآية فيها مثل هذا الوعيد الشديد، ولذلك لم تنشأ فيها داعية للتعميم، فوردت آياتها على ما يجب لها[1] من وضعها الذي جاءت عليه في حدود المقصد القرآني منها.

- زيادة جزء الجملة:

نعود بعد ما قدمناه من زيادة شبه الجملة لنختم الكلام هنا بمقصدنا في عنوان هذه الفصلة الصغيرة من البحث، بعد أن قضينا على زيادة شبه الجملة، مع أن المصطلح الذي اخترناه- كما نعلم- ليس من ألفاظ النحاة، ولا من مصطلحاتهم، فلا مشاحة لدينا في الاصطلاح ما دام المصطلح الذي نختاره- كما فعلنا غير مرة-[2] يؤدي غرضا، ويحقق فائدة ومفهوما، ونحن نقصد بجزء الجملة الحرف المشبه بالفعل واسمه ضميرا للمتكلمين في قوله- تعالى- في سورة الصافات: {**إنّاكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**} أربع مرات[3] وقوله بينهما مرة واحدة: {**كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**}[4] والمراد: إنا نجزي المحسنين مثل هذا الجزاء الذي جازينا به أنبياءنا، وقد ورد القول الأول تعقيبا على قصص ثلاثة منهم، هم نوح وموسى وإلياس، ثم ورد درجا في قصة إبراهيم[5] قبل ورود التركيب الآخر في خاتمتها مجردا من حرف التوكيد والضمير[6]، وهما جزء الجملة الكبرى التي يمكن أن يكتمل معناها بضميمة الإشارة والتشبيه (كذلك)، بل بالجملة الفعلية التي تحدد نوع الجزاء الإلهي الممنوح للأنبياء، ومن تلاهم من محسني الأمم ويمكن أن يفسر تجريد السياق من الحرف المشبه بالفعل واسمه في خاتمة قصة إبراهيم بما سبقه من ذكرهما في درجها، وبعد

(1) ملاك التأويل: 917.

(2) =: ص63، آنفا.

(3) آ:80، 105، 121، 131.

(4) آ: 110

(5) آ: 105.

(6) آ: 109.

أن أتى بهما في التعقيبات على قصص نوح وموسى وإلياس مرة واحدة في كل واحدة منهن، قال- تعالى-: {**سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ *إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**}[1] وقال: {**سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**}[2] وقال: {**سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**}[3] وكان- سبحانه- قد قال {**سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ* كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**}[4] خاتمة، وبعد أن قال درجا: {**وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**}[5] وهي كما نعلم رؤياه ذبح ولده اسماعيل- عليه السلام- وقد ذكر الغرناطي: أنّ التكرار في قصته لبناء علة الجزاء وموجبه عليه ولكنه خلا من ذكر جزء الجملة الكبرى: (إنا...) إيجازا واختصارا لذكره في ما تقدم[6]، وعلله الخطيب الإسكافي سياقا بقوله: ((لكي يخالف بين منتهى هذه الآية، لأنها في القصة الأولى التي ختمت بـ: (إنّا نجزي) وبين منتهى قصة يس، لأن ما قبلها منها، فكأن (إنّا كذلك) لما ذكرت في هذه القصة مرة، اكتفى بها، ولم يكن منقطعا لها، فخالفت ما تقدمها وما تأخر عنها لذلك)) [7]، ومعنى هذا الكلام: أن المفسر- رحمه الله- قد عد مسارد قصص الانبياء كلها في سورة الصافات من نوح إلى إلياس معرضا قرآنيا واحداً، رصعت حلقاته بآية المنحة الإلهية للأنبياء، مؤكدة بالحرف المشبه بالفعل وضمير كلامه-سبحانه- عن ذاته العلية بما يناسبها من أوصاف جلالها وجمالها، ومنها كرمه الذي

---

(1) آ: 79-80.

(2) آ: 120-121.

(3) آ: 130-131.

(4) آ: 109-110.

(5) آ: 104- 105.

(6) ملاك التأويل: 959.

(7) درة التنزيل: 395.

لاحدود له[1]، فكل حلقة مختومة فيها بالآية المصدرة بحرف التوكيد جزء من القصة السابقة، وتوطئة للقصة اللاحقة، ولما كان الترصيع قد جرى مرتين في قصة ابراهيم بآية المنحة، فقد جرت الحالة الاولى بالتوكيد، والثانية بالتجريد منه، لما ألمحه المفسر من مطلب المغايرة السياقية لما سبقها في آخر قصة نوح، ودرج قصة إبراهيم نفسها، ولما لحقها في آخر قصتي موسى وإلياس، أو لما لمحه المفسر الآخر من مطلب الإيجاز والاختصار.

- حالة نادرة من الزيادة:

وقد اخترنا أولاً: الإتيان بهذه الحالة تلو المبحث السابق لما فيها من زيادة يمكن أن تدخل في إطار ما أسميناه فيه: "جزء الجملة" فسنرى أن المزيد فيها ليس حرفا، ولا اسما، ولا جملة، ولا شبه جملة حين نأخذها بإجمالها المؤلف من ثلاثة تكرارات، سنعرض لها بالبيان المتلابس فيها بين اللغة والتفسير، واخترنا ثانيا: وصف هذه الحالة بالندرة لاقتضائها الدراسة من جهتين، مع كون المادة الرئيسة التي تألفت منها واحدة في السياق المطرد للتكرار، وهي قوله- تعالى- ثلاث مرات بالتدريج في سورة الكهف:

- {**إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**}[2]
- {**أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**}[3]
- {**أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا**}[4]

وذلك في قصة موسى- عليه السلام- مع الخضر الموصوف في السورة بأنه (العبد الصالح) الذي آتاه ربه من عنده الرحمة والعلم[5]، ويصح أن نعد ما نراه في الآيات

(1) =: فخري أحمد سليمان- رسالته للماجستير: الاقتران الثنائي بين أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم- ألفاظه ودلالاته: 15، 226.

(2) آ: 67.

(3) آ: 72.

(4) آ: 75.

(5) وهو قوله تعالى: {**فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا**} آ: 65.

الثلاث "تكراراً محضاً"، حين نحصره في إطار ما يسميه النحاة: "مقول القول"، وهو ما يبدأ فيها بـ" إن " المشبهة بالفعل والمكسورة الهمزة وجوباً لمجيئها في صدر جملة المقول المشار اليه[1]، ولكننا غير معنيين في دراسة هذه الحالة النادرة من الزيادة بما ألمحنا اليه من وحدة السياق في الشطر الواحد المكرر الأخير من بنية الآيات الثلاث، فمرادنا ومدار نظرنا فيهن شطرهن المتقدم، وتفضي بنا ملاحظة الفرق بين الآيتين الأوليين الى تشخيص زيادة همزة الإستفهام: (أ + لم) مشفوعة بحرف النفي والجزم والقلب، وملاحظة الفرق بين الآيتين الثانية والثالثة الى تشخيص الزيادة المذكورة نفسها مشفوعة بضميمة لتحديد وجهة الخطاب، مكونة من حرف الجر والضمير، ويعني هذا مفصلا: كون المزيد في الآيتين الاوليين حرفين من فئتين مختلفتين من فئات حروف المعاني، وكونه حرف معنى واسما (: ضميراً) في الآيتين الآخريين، ويعني إجمالا في الآيات الثلاث: كون المزيد ثلاثة حروف وضميرا، ولا وجه لعقد المقارنة بين الآيات إلا بمتابعة التدريج الثلاثي المتنامي الذي جاء به القرآن الكريم فيهن بلاغة وإعجازا. وللمفسرين أقوال وتوجيهات لا يستغنى عنها في استكناه حقيقة هذا الوضع المعجز في مواضعه الثلاث:

نعود في الآيات من أولاها، فنقول: إنّ القول الأول قد جرى على لسان الخضر -عليه السلام- في سياق شرط علق عليه قبوله لاصطحاب موسى- عليه السلام- معه في الرحلة، وهو شرط تعريفي بين له فيه ما يريده منه في الصحبة[2]، والمراد: الصبر على كل ما سيراه منه من غرائب الأعمال، وقد نفى أولا قدرته على مثل هذا الصبر[3] نفيا مؤكدا بضميمة الحرف المشبه بالفعل، وعلل نفيه هذا بقوله: {**وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ**

---

(1) كذا يقول النحاة، =: عبد الوهاب العدواني، بحثه: دراسة تحليلية في همزتي إن وأنّ، مجلة آداب الرافدين، ع6، س، الموصل 1975: 366.

(2) =: عامر عبد محسن العد- رسالته للدكتوراه- دلالة الأنساق البنائية في التركيب القرآني: 149.

(3) الزمخشري 734/2، أبو حيان: 148/6، النسفي: 138/3، أبو السعود: 260/3.

خُبْرًا}[1] لأنه كان يعلم في نفسه اليقين بأنه سيتولى أمورا خفية، ستبدو في ظاهرها لموسى غريبة ومنكرة،لا يملك الرجل المتدين ذو الشريعة الصحيحة السمحا غير التحرج منها، فكيف به إذا كان نبيا كما كان[2]، وكان قول الخضر له في نوبته الأولى تمهيدا للأحداث وإرهاصا بها.

أما القول الثاني فجيء به بعد إنكار موسى لما ابتدره الخضر من خرق السفينة، وعدّ ذلك منه أمرا عظيما، اتهمه باقترافه، قال تعالى: **{قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا}**[3]، -والإمر- بكسر الهمزة وسكون الميم-: هو الداهية[4]، وقيل انه العجب، أي: أمرا عجبا[5] فذَكّره الخضر بما كان قد قاله له في تقرير شروط الصحبة من غير أن يزيد شيئا على ما كان قد قاله[6] مكتفيا بقوله: **{قال أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا}**[7] فاعتذر موسى، ولكنه عاد الى سلسلة إنكاراته المتعاقبة حين رأى مقتل الغلام، فأنكره إنكارا شديدا، فقال للخضر: **{أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا}**[8]، فواجه الخضر إنكاره هذا بتأكيد خطابه السابق له مكررا ثالثة ومؤكدا هذه المرة بضميمة حرف الجر والضمير ليكون كلامه في مستواه الدلالي جوابا مقابلا لقول موسى[9]، بما ينقله اليه

---

(1) آ:68.

(2) الزمخشري: 734/2، النسفي: 138/3، غرائب القرآن: 9/16، الشوكاني 299/3.

(3) آ-: 71.

(4) مجاز القرآن: 409/1.

(5) =: مادته في: الصحاح: 581/2.

(6) ملاك التأويل: 789.

(7) آ: 72.

(8) آ: 74.

(9) ملاك التأويل: 790.

من عتابه ولومه وتعنيفه له[1] على ترك ما أوصاه به من الصبر على كل ما سيشهده منه[2]، وقد انكشف له بأنه قليل الصبر، لم ينفع اعتذاره الأول، وما أخذه فيه على نفسه من لزوم الصبر وترك العصيان [3]، فكأن في الزيادة الأخيرة ما فيها من الزجر اللطيف له والإغلاظ الكيس عليه، مع أن الخضر على يقين من سلامة فطرته، ومعدن النبوة فيه.

- حالتان من التكرار المؤتشب المركب:

ونعني به التكرار الذي تلتقي فيه ظاهرتان أو أكثر من الظواهر التي سبقت العناية بها في هذا الفصل، مما يمكن أن نجمعه في هذا المسرد:

القسم	السور وأرقام الآي	الظواهر
(1)	- البقرة - 39/ الأعراف -36 - الأعراف -200/ فصلت-36.	زيادة + تعريف وتنكير
(2)	- آل عمران-5/ إبراهيم 38. - الأعراف- 121، 122/ الشعراء-47-48. - التوبة-114/ هود- 75. - يونس-18/ الأنبياء-66. - المؤمنون-33/24	زيادة + تقديم وتأخير
(3)	- البقرة-61/ آل عمران-112.	زيادة + تعريف وتنكير + تقديم وتأخير

وتقوم كل من هذه الحالات الثنائية على اعتبار: "التعريف والتنكير" مظهرا واحدا قبالة الزيادة، وكذلك " التقديم والتأخير" ونحن لم نجد في القرآن الكريم أي سياق من التكرار، يلتقي فيه " الحذف" قرين الزيادة مع أي من المظهرين السابقين، لكي تتألف منهما ثنائية:"حذف + تعريف وتنكير"، أو ثنائية" حذف + تقديم وتأخير"، وتكفي في هذا المقام دراسة حالتين من الحالات الثماني المشار إليها في المسرد لبيان حقيقة ما أسميناه:

(1) الزمخشري 736/2، الرازي: 155/21، أبو حيان: 248/6، الشوكاني: 303/3.

(2) فتح الرحمن: 335/2.

(3) أبو السعود: 261/3.

(التكرار المؤتشب المركب) ليفهم منه بالعرف: أنّ كل ما عرضنا له آنفا في فرشة الفصل كان " تكرارا أحاديا" أو " تكرار بسيطا " بمفهومنا المعاصر للبسيط منطقيا ورياضيا.

- زيادة وتعريف وتنكير:

ونأخذ حيطتنا هنا بالإشارة الى أن ما عددناه "تعريفا وتنكيرا" في موضع سابق[1] لا يصح في هذا المقام إلا على ظاهر تفعله ضميمة: الالف واللام" في صدور النكرات بحسب المفهوم المتبادر الى اذهاننا لحقيقة الوصفين المذكورين في الفكر النحوي، وما سنأخذ في الكلام عليه هنا لصيق في الحالة التي بين أيدينا باسمين من أسمائه الحسنى- تبارك وتعالى- ورد ذكرهما في قوله: **{وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللـهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}**[2] وقوله: **{وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللـهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}**[3] وهذه الحالة مهمة جدا في آخر هذا السياق من التكرار، لقوة اتصالها بظاهرة الاقتران الثنائي بين اسماء اللـه الحسنى في القرآن الكريم أولا، وبالقيمة الموقعية والأثر التركيبي لضمير الفصل في الجملة العربية[4] ثانيا، وبكون الألف واللام في صدور اسمائه الحسنى- عز وجل- لا تعني التعريف والتنكير البتة، لأنه- تعالى- بصفات جلاله وجماله ليس محتاجا إلى هذه الضميمة النحوية في أي من اسمائه وصفاته، وهو معرفة المعارف في ملكوته العظيم، فليس ثمة فساد في الاعتقاد أكبر من تصور حالته على خلاف هذا التقرير الناجم لدينا من الايمان بكونه واجب الوجود، سواء تجردت اسماؤه وصفاته من الألف واللام، أو تصدرت بها، وربما ظن الظان: أن هذه الضميمة النحوية اسم موصول

---

(1) =: ص 64، آنفا.

(2) الأعراف – آ: 200.

(3) فصلت – آ: 36.

(4) =: فخري أحمد سليمان- رسالته للماجستير: الاقتران الثنائي بين أسماء اللـه الحسنى في القرآن الكريم...-: 166.

من موضعها من الاسمين المذكورين في الآية الثانية، لكونهما اسمين مشتقين من السمع والعلم[1] ويمكن في مثل هذه الحالة أن تؤول الألف واللام بـ: " الذي"، ويعرب المشتق بعدهما خبرا لمبتدا محذوف، تقديره " هو"، فقولهم: " قال الشاعر" مثلا في الإعراب التقليدي الجاري المعتاد: (فعل ماض/ وموصول فاعل/ ومبتدا ضمير مقدر /وخبر مرفوع/وجملة صلة لا محل لها من الإعراب)، وكيف يجمل مثل هذا في إعراب الآية مع وجود ضمير الفصل بين " إنّ " واسمها، بوصفهما الوحدة التركيبية الأولى في سياقها، والخبرين المتتابعين فيها بوصفهما الوحدة الثانية، وهل يرتاح الدارس لجماليات العبارة العربية الى استحضار تركيب من قبيل:

إنه	هو	الذي	هو	السميع العليم

زاعماً أنه: رصين، ومحكم، ومتذوق، وجميل، وفيه ما فيه من تعاقب ضمير الغيبة وتكراره ما يجعل نسيجه النحوي متداعيا ومهلهلا، وما استشكلناه هنا مثال يمكن إضافته إلى أمثلة مصطفى النحاس[2] في دراسته للقيمة الموقعية والأثر التركيبي لضمير الفصل في الجملة الأصلية والمنسوخة، ولأجل هذا اخترنا عزو "الألف واللام" الى ما تحدثناه من فعل التعريف والتنكير آخذاً بالظاهر ليس إلا، لا بالتأثير الدلالي للمحظور الاعتقادي الذي أسلفنا الإشارة إليه، ولتحرير الاصطلاح من الشبهة العقيدية نتدارك ما بدأنا به من استعمال مصطلحي "التعريف والتنكير" بمقابلة معناهما في: دراسة أسماء الله الحسنى بالتركيب الاصطلاحي: "التصدير بالألف واللام"، وليس: "التعريف بـ..."، وهذا عندنا مستخلص من تفاعل الفكر النحوي والاعتقادي في مثل مقامنا هذا، ونحن نتصدى لتفصيل القول في الآيتين المذكورتين آنفا، وقد جاءت صفتاه- تعالى- في الاولى منهما مجردتين من الألف واللام، وفي الثانية مصدرتين بهما ومسبوقتين بضمير الفصل، ومن جاري الإعجاز القرآني التذييل

(1) م. ن: 114، 144، 166.

(2) =: بحثه: ضمير الفصل قيمته الموقعية وآثاره التركيبية في الجملة الأصلية والمنسوخة، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع 12، مج 13، الكويت 1983: 40- 52.

بصفتي السمع والعلم في معرض الاستعاذة من الشيطان الرجيم، لأنه لا يرى، بل يعلم وجوده من شرّه وكيده، فاللـه- سبحانه وتعالى- سميع لاستعاذة المستعيذ عليم بحاله، والسمع هنا، كما قال ابن قيم الجوزية (ت751): سمعُ الإجابة لا السمع العام[1] ومعنى هذا: أنّ من يسمع سمع الإجابة لا يفوته سمع الحس وخفي الأصوات، مما يدخل في دائرة السمع العام[2]، والكلام في سياق الآية الأولى متجه إلى ما كان الكفار قد اتخذوه من الحجر والخشب آلهة لهم، معدومة السمع والرؤية والقدرة على الخلق والنصرة، بدلالة قوله- تعالى- غبّ الاستفهام الإنكاري: {**أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ**}[3] وقوله: {**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلآ أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ**}[4]، وهو- تعالى- قد نفى أدنى شك يلحق تلك الآلهة الباطلة بالقدرة على الإحياء، ولهذا ((ورد الوصفان بقوله: {**سَمِيعٌ عَلِيمٌ**}- كما قال الغرناطي- مورداً لم يتقدمه ما يوهم صلاحية شيء من ذلك لغيره- تعالى- مما عبدوه من دونه مما قصد هنا، ولا ذكر دعوى شيء من ذلك لغيره من مدّع، فيستدعي ذلك التوهم مفهوما ينفيه فجاء على ما يجب))[5]، يعني: من بنية نحوية لم تحتج- كما حدث في الآية الأولى- إلى توكيدين بالحرف المشبه بالفعل أولا، وبضمير الفصل ثانيا، لأن المقام لا يقتضي ذلك البتة، ولا يحتمله بضابط السماع عن العرب، فهم لم يوردوا في كلامهم ضمير فصل مشفوعا بخبر مجرد من الألف واللام، إلا أنْ يكون ذلك الخبر مضافاً إلى ما تضاف إليه النكرات للتعريف أو التخصيص.

---

(1) التفسير القيم: 585، و=: الفاصلة القرآنية: 136.

(2) فخري أحمد سليمان- رسالته للماجستير- الاقتران الثنائي، بين أسماء اللـه الحسنى في القرآن.

(3) الأعراف– آ: 195.

(4) آ-: 197.

(5) ملاك التأويل: 379.

أما الآية الأخرى في سورة فصلت فقد تقدمها ذكر الذين أضلوا الناس من قرناء الإنس والجن، بدلالة قوله- تعالى-: {**وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاء فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ**}[1] وقوله: {**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ**}[2]، وهما عالمان أو صنفان يوصفان بالسمع والبصر، وينسب إليهما العلم ببعض ما يمكن أن يعلماه، وليس ثمة إشارة قبل الآية الأولى في موضعها من سورة الاعراف الى شيء من هذا.((فلما تقدم هنا- يعني: في سورة فصلت على حد قول الغرناطي أيضا- ذكر من يظن منه الغنى، ويمكن منه ان يسمع ويبصر ويعلم، ناسبه التعريف في الصفة، ليعطي بالمفهوم نفي ذلك عن غير الموصوف بهما –تعالى- ثم أكد ذلك بضمير الفصل المقتضي التخصيص، فقوي المفهوم، وصار الكلام في قوة أن لو قيل: الله هو السميع العليم لا غيره، وأحرز الفصل بالضمير هذا المعنى، مع إعطاء المفهوم إياه)) [3] ونحن نجد من جهة أخرى بعد ما ثقفناه من الغرناطي أن الأمر بالإستعاذة في الآية الثانية قد وقع بعد الأمر بمقابلة الإساءة بالإحسان، وذلك في قوله تعالى: {**وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**}[4]، وهذا امر يشق على النفس، ولا يقدر عليه إلا الصابرون، ولذلك قال- سبحانه: {**وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**}[5] ولكن الشيطان لا يدع العبد يفعل هذا، بل يصوره له بأنه ذل وعجز، ويدعوه الى الإعراض عنه وإلى الانتقام الذي يزينه له، وهذا المقام- كما لا يخفى- مقام حث العبد على مخالفته الشيطان وإيثار طاعة الله على طاعته، لكونه- سبحانه- سميعا عليما، يعلم

(1) فصلت – آ: 25.
(2) آ-:29.
(3) ملاك التأويل: 579-580.
(4) آ-: 34.
(5) آ: 35.

من قول العبد وعمله ما يخفيه وما يعلنه، ولهذا وصف ذاته العلية في الآية الثانية بصـفتي سـمعه وعلمه مصدّرتين بالألف واللام في سياق مؤكد بضميمتي الحرف المشبه بالفعل وضمير الفصـل، وقـد ترك هذا كله في الآية الأولى، لاستغناء المقام فيها عنه، فـالأمر الـذي بنيـت عليـه لـيس مـما يصـعب، أو يستعصي على النفس، وهو قوله- تعالى-: {**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**}[1] وهذا أسـهل من الأمر بمقابلة الإساءة بالإحسان، مما يجتهـد الشـيطان، ويحـرص عـلى إيقـاع العبـد في شرك عصـيان الباري- عز وجل- فيه، فيقابل الإساءة بالانتقام، ولذلك جاءت الفاصلة في آيته بدون توكيد[2]، وقـد علـل السيوطي التعريف بالاستناد الى تاريخ نزول كل من السورتين، فحسن التعريف عنـده في آيـة (فصـلت) لنزولها بعد آية (الأعراف)[3]، وهذا رأيٌ جدٌّ مقبول، لما يشير اليه من مجيء المعرف بعد المنكـر بحسـب تاريخ النزول وبحسب ترتيب السور في المصحف في الوقت نفسه.

- زيادة وتقديم وتأخير:

وذلك بيِّن في قوله تعالى في سورة البقرة: {**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّـابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللـهِ وَالْيَوْمِ الآخِـرِ وَعَمِـلَ صَـالِحاً فَلَهُـمْ أَجْـرُهُمْ عِنـدَ رَبِّهِـمْ وَلاَ خَـوْفٌ عَلَـيْهِمْ وَلاَ هُـمْ يَحْزَنُونَ**}[4] وقوله في سورة المائدة: {**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّـابِؤُونَ وَالنَّصَـارَى مَـنْ آمَـنَ بِاللـهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**}[5]، وقد حدثت الزيـادة بإغنـاء

---

(1) الأعراف – آ: 199.

(2) درة التنزيل: 419-420، بدائع الفوائـد: 343/2، 367، =: قطـف الأزهـار: 1079 مـن أسرار التعبـير في القـرآن – الفاصلة القرآنية: 136-137، التعبير القرآني: 130.

(3) قطف الأزهار: 1079.

(4) آ-: 62.

(5) آ: 69.

نص الآية الأولى بقوله- تعالى-: {**فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ**}، ووقع التكرار في هاتين الآيتين على وجه لا ينفيه تقديم ذكر " النصارى" على ذكر " الصابئين" في مسرد سورة البقرة والإتيان بذكر الجمع المذكر السالم فيه على وجه نحوي مغاير لما ورد في مسرد المائدة، وذلك بالانتقال من حالة النصب إلى حالة الرفع، وللمعربين القرآنيين توجيهات لهذه المغايرة، سنأخذ منها مقدار حاجتنا منها في موضعها، ومردّ تقديم ذكر"النصارى" في الآية الأولى على ذكر "الصابئة"، لأنهم كتابيون، وقد قام المقصد في سورة البقرة على ذكر الذين آمنوا بالكتب السماوية بدءاً من صحف إبراهيم- عليه السلام- إلى الإنجيل، والصابئون- كما ذكر الإسكافي- لم يثبتوا على دين، بل انتقلوا من ملة إلى ملة[1]، وهذا يعني أنّ ذكرهم قد تقدم في الآية الثانية مراعاة للزمن، لأنهم كانوا قبل عيسى- عليه السلام-[2]، فهم فيها مقدمون في اللفظ- كما قال الطيبي (ت 743)- مؤخرون في المعنى[3]، أو الرتبة، ولذلك ورد لفظهم مرفوعا فيها بالابتداء على نية التأخير، بتقدير: (والصابئون كذلك)، أو: (هذا حالهم أيضا) [4] ومثل هذا قول الشاعر القديم ضابيء بن الحارث:

فَمَنْ كانَ أَمسَى بالمَدينةِ رَحلَهُ   فَإني وَ قيارٌ بها لَغريبُ

فقد أراد: (فإني لغريب بها وقيار كذلك أيضا) [5]، وهذا الوضع من المسائل الخلافية النحوية بين البصريين والكوفيين، فسيبويه وأكثر البصريين قد أجازوا قول القائل: (إن زيدا وعمرو قائمان)، ولم يجزه الفراء (ت 207) من الكوفيين إلا بشرط كون

---

(1) درة التنزيل: 21.

(2) درة التنزيل: 21-و=: أسرار التكرار في القرآن: 31، ملاك التأويل: 219، بصائر ذوي التمييز: 144/1، قطف الأزهار: 266/1، فتح الرحمن: 41/1.

(3) التبيان في البيان: 92.

(4) درة التنزيل :21، أسرار التكرار في القرآن: 31، الرازي: 51/12، الشوكاني: 41/1.

(5) =: الكتاب: 75/1 تعليق المحقق، خزانة الأدب: 336/9، 312/10.

الاسـم الأول المنصـوب بعـد "إنّ " لا إعـراب فيـه، يعنـي: لا حركـة ظـاهرة، مثـل: (إنّ هـذا وزيـد قائمان).[1]

اما تقديم ذكر " الصابئين" في الآية الثانية فلزيادة البيان والإعلام بشمول فصل القضاء بين جميع المذكورين في مسردها، فليس في معرضه ترتيب في الغاية التي وصفها بعض المفسرين بأنها: " الأخراوية " فالكل متساوون أمام العدل الإلهي حتى الصابئة الذين هـم اشـد المـذكورين ضلالة إن آمنوا بالعمل الصالح، فبعملهم الصالح ذاك سيقبل اللـه توبتهم ويزيل ذنبهم[2]، وهذا مؤيد بقوله تعالى في سورة الحج: { **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللـهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللـهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**}[3] فلـيس المقصـود في هـذه الآيـة التي أخرجناها من دائرة عنايتنا لاقتصارها بجمعها مـع الآيتـين الأخـريين عـلى مصـطلح التكـرار في الثلاث، نقول: فليس المقصود فيها: أهل الكتاب وحدهم دون غيرهم، لأنه سبحانه- قد ذكـر معهـم من لا كتب لهم من الصابئين والمجوس والمشركين عبدة الأوثان، فلما لم يكن المقصد في الأغلـب مـن المذكورين ترتيبهم بحسب الكتب فقد رتبوا بحسـب الأزمنـة[4]ونحـن نعلـم أنّ الصـابئين والمجـوس والمشركين قد داخلوا أهل الكتاب في تلكم الأزمنة في التاريخ.

---

(1) الفراء- معاني القرآن: 311/1، الزجاج-معاني القرآن وإعرابه: 192/2-193، إعراب القرآن 509/1،: الإنصاف في مسائل الخلاف: 185/1-195، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك 256/1-263، وقد ناقش خليل عمايرة جميع الآراء الواردة في هذه المسألة في كتابه: في التحليل اللغوي –منهج وصفي تحليلي: 220-223، فلزم التنبيه.

(2) الرازي 51/12، ملاك التأويل: 220، و=: ابن عاشور 271/6.

(3) آ-: 17.

(4) درة التنزيل: 22.

الفصل الثالث

التكرار الجامع

الفصل الثالث

التكرار الجامع

توطئة:

بعد أن قضينا الكلام على ما أسميناه: "تكراراً محضاً" في فصلنا الأول وما أسميناه: "تكراراً مُؤتَشِباً" في فصلنا الثاني، وعنينا به: "المُؤتشب" بالتقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والحذف والزيادة، وهي- كما لا يخفى- ثنائيات تخرم مفهوم "النسقية " التي عددناها قوام وصف التكرار في الفصل الأول بأنّه "المحض.."، يعني: الجاري على وجهه خالصا من أي شيء تستحيل به المكونات اللغوية في الصياغة بنى مغايرة وإنشاءات جديدة بعد أن استقر لدينا مفهوم " النسقية " في آخر التمهيد بملحظ التشابه، أو التماثل، أو التطابق بين النصوص التي نهتم بدراستها[1]، نعقد هذا الفصل بعنوان: "التكرار الجامع" عقدا لازما لدراسة أحوال " الاستبدال " اللغوي، وما يصاحبه من ظواهر التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والحذف والزيادة في هيئات وأعداد مختلفة، بحيث تبدو مادته في ظاهرها غير مختلفة الطبيعة عن المادة التي جرى الاهتمام بها في الفصل الثاني، ولكنها في الحقيقة واضحة الاختلاف عنها، لأن "الاستبدال" الذي أشرنا إليه لا يدور فيها حول الظواهر المشار إليها وحدها كلا أو بعضا، ولا تفوتنا الإشارة هنا إلى أن اللقاء بين الثنائيات المذكورة في الفصل الثاني جعل "التكرار المُؤتَشِب" المقصود في الدراسة هناك: واقعة لغوية ذات ثلاثة وجوه، يتحدد كل وجه منها بثنائية واحدة من الثنائيات الثلاث، وهذا هو الذي دعانا إلى وصف التكرار ثمة بالصفة المذكورة، لأنّه قائم على الأنواع المستقلة بثنائياتها المختلفة، ولا لقاء فيه بين أزواج الثنائيات، كما سنلحظ اللقاء في إطار "التكرار الجامع"- مثلا- بين الاستبدال وغيره من مفاريد الثنائيات المذكورة بهيئاتها وأعدادها المختلفة، ونحن نركب في دراسة هذا الموضع

---

(1) =: ص 24، آ نفا.

مركباً في غاية العقادة والتشابك وصفا وتحليلا، ولكننا لا نملك مندوحة للعدول عن العناية بـه، لأنّـه من لباب دراسة التكرار في القـرآن الكـريم، ومـن لوازمهـا الواجبـة، ومـع هـذا فقـد وجـدنا فسـحة نتخفف بها من بعض مؤونته في ما عني به أحد الدارسين من تناول" الاسـتبدال " في القـرآن الكـريم بالدرس الشامل في رسالة علمية مرموقة[1]، قسم مادتها في تمهيد وأربعة فصول، وقد جرى التفصـيل بعد التمهيد المعقود لديه بعنوان: (من النظم إلى الأسلوب- مدخل نظري لدراسـة أنمـاط الاسـتبدال النحوي في العبارة القرآنية) على النحو الآتي:

النوع	التشقيق
استبدال الأداة بالأداة	*الاستقبالية بالاستقبالية * الإنكارية التوكيدية بالمصدرية * التنكيرية بالتعريفية * التنكيرية بالتنكيرية * الجادة بالجادة - الباء ـــ اللام - الباء ـــ من - اللام ـــ من - اللام ـــ إلى - إلى ـــ على * الجارة بالعاطفة - الباء ـــ الواو * العاطفة بالعاطفة: - الفاء ـــ ثم

(1) عز الدين محمد أمين سليمان، رسالته للماجستير- وجوه الاستبدال النحوي في القرآن الكـريم - دراسـة وصـفية تحليلية، بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الوهاب العدواني، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1993م.

النوع	التشقيق
	- الواو ـــ ثم - الواو ـــ الفاء * النافية بالنافية: - لا ـــ ما - إن ـــ ما - لن ـــ لا
استبدال الصيغة بالصيغة	* الصيغة الفعلية بالفعلية: - الماضي ـــ الماضي - المضارع ـــ الماضي * الصيغ الاسمية: - الاسم [الخالص] [1] ـــ الاسم [الخالص] - المصدر ـــ المصدر - اسم الفاعل ـــ اسم الفاعل - اسم الفاعل ـــ صيغة المبالغة - اسم فاعل ـــ اسم مفعول - صيغة المبالغة ـــ صيغة المبالغة - اسم الفاعل ـــ اسم التفضيل - اسم المفعول ـــ اسم المفعول - اسم التفضيل ـــ اسم التفضيل
استبدال التركيب بالتركيب	* الفعل الماضوي ـــ الفعل الماضوي * الفعل الماضوي ـــ الفعل الحاضري * الفعل الحاضري ـــ فعلي طلبي * التركيب الاسمي ـــ التركيب الاسمي

(1) ما بين العضادتين زيادة، تعني: أي اسم لا يدخل في فئة الأوصاف المشتقة المعروفة في الصرف العربي.

النوع	التشقيق
الاستبدال بين المتغايرات	* لفظ الجلالة ـــــ الاسم المضاف * الاسم ـــــ الاسم الموصوف * الاسم ـــــ الاسم المضاف * الوصف الجملة ـــــ الوصف المفرد * الاسم المجرور مخصصا ـــــ الاسم المجرور مطلقا * الضمير ـــــ الضمير * الموصول الاسمي وصلته التركيب الفعلي ـــــ الموصول الاسمي وصلته التركيب الفعلي * الموصول الاسمي وصلته شبه الجملة ـــــ الموصول الاسمي وصلته التركيب الفعلي * المفرد المضاف إلى الموصول ـــــ الجمع خبرا للكون * اسم الفاعل ـــــ التركيب الإضافي * التركيب الإضافي ـــــ الضمير * الموصول الحرفي بعد فعل القول ـــــ مقولة الجملة الفعلية * صيغة المبالغة ـــــ التركيب الفعلي * التركيب الفعلي ـــــ شبه الجملة * التركيب الفعلي المبني للمعلوم ـــــ التركيب الفعلي المبني للمجهول * الجملة الطلبية ـــــ فعل القول ومقولة الجملة الطلبية

وقد استطاع الكاتب بهذه المنهجية شمول نوع واحد من الاستبدال بالدراسة في عمله كله من أوله إلى آخره، يمكن أن نعده "المستوى الأول " من الاستبدال، ونعني به: ما يمكن أن نصفه على جاري العادة في مصطلحات عصرنا- كما فعلنا في موضع سابق-[1] بأنّه:

(1) = ص: 29، 63، آنفا.

"الاستبدال البسيط" قبالة مستوى: "الاستبدال المركب" الذي تلتقي فيه أكثر من حالة استبدال في آيتي التكرار، كيما ننتهي إلى مستوى ثالث من التكرار رأينا تسميته بـ"ملقى الظواهر" ولا مشاحة عندنا في الاصطلاح- كما قلنا أكثر من مرة[1]، فهو ملقى ظاهرة "الاستبدال" في النصوص التكرارية- كما أسلفنا- مع الزيادة أو الحذف، أو التقديم أو التأخير، بهيئات وأعداد مختلفة، وهذا الوضع يجعل لمفهوم "الجامعية" في عنوان هذا الفصل وجهين، أولهما: جمع المستويات الثلاثة من الاستبدال في إطار واحد من الدرس، وثانيهما: ملاحظة ما أجتمع في نصوص التكرار من الاستبدال بمستوياته الثلاثة، وما يصاحبه من الظواهر الأخرى، وطلبا للاختصار في تقريب المعلومات سيتشعب لدينا هذا الفصل بحسب هذا التصور إلى قسمين، لا يتسع كلامنا في الأول منهما أكثر من اللازم، ويبدأ اللازم عندنا بتجاوز كل ما درسه عزالدين محمد أمين من مادة " الاستبدال النحوي [البسيط] في نصوص التكرار القرآني "ماخلا العرض الذي سنقوم به لحالة واحدة من " استبدال الأداة بالأداة"، وحالتين اثنتين من "استبدال الصيغة بالصيغة"، وستكونان اسميتين مرة، وفعليتين مرة أخرى، لنخلص من ثم إلى عرض حالتين من "الاستبدال المركب" وقع في الأولى منهما استبدالان، وفي الثانية ثلاثة، ليصح القول في عملنا: أننا لم نخله من العناية بدراسة الاستبدال بمستوييه البسيط والمركب تقريبا بالمسرد الذي سنلحقه بهذه التوطئة، وتحليلا للأمثلة المختارة بالمنهجية التي جرينا عليها في دراستنا هذه من أولها، وسيشمل المسرد رؤوس الأنواع ضمن المستويين المذكورين، وما يقابلها من أوصافها النحوية ومن أسماء سورها وأرقام آيها على جاري عادتنا فيما صنعناه من المسارد السابقة في هذه الدراسة.

النوع	التشقيق	التكشيف القرآني
(1) الاستبدال البسيط	* النافية بالنافية - لن ـــــــ لا - إن ـــــــ ما	- البقرة 95 / الجمعة 7 - الأنعام 25 / الأنفال 31 / النمل 68 / الأحقاف 17

(1) = ص: 63، 105، آنفا .

التكثيف القرآني	التشقيق	النوع
- لقمان 29 / فاطر 13	* الجارة بالجارة: - إلى ـــــ اللام	استبدال الأداة بالأداة
- البقرة 35 / الأعراف 19. - الروم 9، فاطر 44 / غافر 21 / يوسف 109، غافر 82، محمد 10. - الصافات 174، 178. - الصافات 27، 50 /القلم 30. - الأنعام 11 / النمل 69.	* العاطفة بالعاطفة: - الواو ــــــ الفاء - ثم ــــــــ الفاء	
- البقرة 50 / الأعراف 141 - المائدة 62 / 63 - الأنعام 97 / 98 / 99 - الأنعام 151 / 152 / 153 - الأنفال 35 / الأعراف 39 - التوبة 42 / 107 - النحل 67 / 69، الكهف 36، فصلت / 50 - الروم 37 / الزمر 52 - الزخرف 20 / الجاثية 24 - المنافقون 7 / 8 - الممتحنة 1 / 1 - النور 30، 53 / المائدة 8 / الحشر 18. - القصص 46 / السجدة 3 - العنكبوت 55 / الزمر 24	* الصيغ الفعلية: - فعل مضارع ــــ مضارع	استبدال الصيغ
- البقرة 38 / طه 123 - البقرة 170 / لقمان 21 - البقرة 231 / الطلاق / 2 - المائدة 14 / 64 - يوسف 2 / الزخرف 3 - النحل 34 / الزمر 51 - طه 53 / الزخرف 10 - التكوير 6 / الانفطار 3 - التكوير 14 / الانفطار 5	- فعل ماضي ــــ ماضي	

النوع	التشقيق	التكثيف القرآني
	فعل ماضي ـــــ مضارع	- الحجر 12 / الشعراء 200 - آل عمران 54 / الأنفال 30
	* الصيغ الاسمية: - اسم خالص ـــــــ اسم خالص	- البقرة 80 / آل عمران 24 - البقرة 173 / الأنعام 145 - النساء 124 / مريم 60 - المائدة 2 / الحشر 8 - الأنعام 112 / 137 - الأنعام 122 / يونس 12 - الأنعام 145 / النحل 115 - الأنعام 163 / الأعراف 143 - يونس 60 / النمل 73 - هود 50 / 61 / 84 - الرعد 32 / الحج 44 - الرعد 37 / طه 113 - الحجر 11 / يس 30 / الزخرف 7 - النحل 79 / الملك 19 - المؤمنون 31 / 42 - النمل 73 / يونس 60 - الصافات 157 / الدخان 36 - الواقعة 14 / 40 - النازعات 34 / عبس 33
	- اسم الفاعل ـــــــ اسم الفاعل	- البقرة 258، آل عمران 86، التوبة 19، 18، الصف 7. - الجمعة 5 / المائدة 108 / التوبة 37. - المائدة 44 / 45 / 47 - المائدة 51، الأحقاف 10 / المائدة 67 - التوبة 19 / 24 / 37 / 80 - الحجر 28 / البقرة 30 / ص 71 - الحجر 73 / 83 - العنكبوت 47 / 49 - الزمر 32 / 60 - الزخرف 22 / 23

النوع	التشقيق	التكثيف القرآني
	- اسم المفعول ـــــ- اسم المفعول	- الصافات 16 / 53
	- صفة مشبهة ـــــ صفة مشبهة	- البقرة 181 / 182 - يونس 1 / يوسف 1 - الإسراء 9 / الكهف 2 - الزمر 1، الجاثية 2، الأحقاف 2، غافر 2 - الفتح 4 / 7 - الذاريات 28 / الصافات 101 - المجادلة 4 / 5
	- اسم الفاعل ـــــ صفة مشبهة	- الكهف 45 / الأحزاب 27
	- اسم تفضيل ـــــ اسم فاعل	- هود 22 / النحل 109
	- اسم خالص ـــــ اسم تفضيل	- البلد 4 / التين 4
	- اسم خالص ـــــ ضمير	- البقرة 286 / الأنعام 152 - التوبة 80 / 109 - يونس 60 / غافر 61
	- ضمير ـــــ ضمير	- البقرة 57 / الأعراف 160 - الأنعام 51 / 70 - الأنعام 116 / 148 - الأنعام 147 / يوسف 110 - هود 82 / الحجر 74 - النحل 66 / المؤمنون 21 - الصافات 78 / 119 - الصافات 81 / 122 - غافر 22 / التغابن 6 - المدثر 54 / عبس 11
استبدال التركيب بالتركيب	- تركيب اسمي ـــــ تركيب اسمي	- البقرة 45 / 153 - البقرة 217 / آل عمران 22 - البقرة 252 / آل عمران 108 - البقرة 27 / الرعد 25 - المائدة 17 / 18 - المائدة 54 / الحديد 21 - المائدة 20 / إبراهيم 6 - الأعراف 186 / الرعد 33

النوع	التشقيق	التكشيف القرآني
		- إبراهيم 34 / النحل 18 - النحل 30 / الزمر 10 - يس 76 / يونس 65 - يس 29 / 49 / 53 - سبأ 2 / الحديد 4 - الزمر 3 / غافر 28 - فصلت 46 / الجاثية 15 - المجادلة 16 / المنافقون 2
	- تركيب فعلي ـــــ تركيب فعلي	- البقرة 63 / 93 - البقرة 214 / آل عمران 142 - البقرة 225 / المائدة 89 - آل عمران 23 / النساء 44 / 51 - آل عمران 44 / يوسف 102 - آل عمران 42 / 45 - الأعراف 70 / الأحقاف 22 - الأعراف 92 / 92 - الأعراف 193 / 198 - هود 40 / المؤمنون 27 - الاسراء 22 / 39 - الروم 60 / غافر 55 / 77 - الأحزاب 38، 62 - الطلاق 3، 4، 5
	تركيب اسمي ـــــ تركيب فعلي	- البقرة 161 / آل عمران 91 - الإسراء 83 / فصلت 51 - الكهف 110 / فصلت 6 - مريم 8 / يونس 84 - العنكبوت 32، 33.
الاستبدال بين	- اسم فاعل ـــ فعل مضارع	- آل عمران 27، الروم 19، يونس 31 / الأنعام 95.
المتغايرات	- اسم فاعل ـــ تركيب فعلي	- المؤمنون 41 / 44
	- اسم فاعل ـــ شبه جملة	- القصص 38 / غافر 37

النوع	التشقيق	التكثيف القرآني
(2) الاستبدال المركب	- حرف عطف ــ حرف عطف + فعل مضارع ــــ فعل مضارع	الصافات 27 / 50 / الطور 25 / القلم 30
	- حرف عطف ــ حرف عطف + اسم تفضيل ـــــ اسم تفضيل	- الأنبياء 70 / الصافات 98
	- حرف عطف ـــ- حرف عطف + ضمير ـــ- اسم خالص	- الأعراف 82 / النمل 56
استبدال الأداة بالأداة والصيغة بالصيغة	- حرف عطف ــــــ حرف عطف + اسم فاعل ـــــ اسم فاعل	- الأنعام 21 / يونس 17 - الأنعام 11 / النمل 69
	- حرف عطف ــ حرف عطف + فعل ماضٍ ــــ فعل ماضٍ	- البقرة 281، آل عمران 161 / الجاثية 22 - الحج 45 / 48 - الشورى 14 / الجاثية 17.
	- حرف عطف ــــ حرف عطف + تركيب فعلي ــــ تركيب فعلي	- طه 112 / الأنبياء 94
	- حرف عطف ــــ حرف عطف + تركيب أسمي ـــ تركيب أسمي	- الأنعام 21 / الأعراف 37 / يونس 17 / العنكبوت 68 / الصف 7
استبدال الأداة بالأداة والتركيب بالتركيب	- حرف عطف ــــ حرف عطف + تركيب اسمي ـــ تركيب فعلي	- يونس 108 / النمل 92
	- حرف عطف ــــ حرف عطف + تركيب فعلي ـــ تركيب اسمي	- التوبة 32 / الصف 8
	- اسم خالص ــ ضمير + اسم فاعل ـــ اسم فاعل	الأعراف 101 / يونس 74
	- اسم خالص ـــ ضمير +اسم خالص ـــ اسم خالص	- الشورى 8 / هود 118
استبدال الصيغة بالصيغة والصيغة بالصيغة	- اسم خالص ـــ اسم خالص + اسم فاعل ـــ اسم فاعل	- الحج 28 / 36 - الحجر 75 / 77
	- اسم خالص ـــ اسم خالص + صفة مشبهة ـــ صفة مشبهة	- الحجر 19 / ق 7
	- اسم موصول ــــ اسم موصول + اسم فاعل ــــ صفة مشبهة	- البقرة 120 / الرعد 37
	- صيغة مبالغة ــــ صيغة مبالغة + صفة مشبهة ــــ صفة مشبهة	- النور 10 / 20

النوع	التشقيق	التكشيف القرآني
	- اسم خالص ــــ اسم خـالص + فعـل ماضٍ ـــــ فعل ماضٍ	- الأنفال 52 / 54
	- فعـل مـاضٍ مبنـي للمجهـول ـــــ- ماضي معلوم + فعل مضارع ــــ- فعل مضارع	- التوبة 87 / 93
	- فعل ماضٍ ـــ فعل مـاضٍ + أداة ـــــ صفة	- النحل 78 / المؤمنون 78
	- اسم فعل ماضٍ ـــــ فعـل مضـارع + تركيب اسمي ــــ تركيب أسمي	- غافر 47 / إبراهيم 21
	- فعل ماضٍ ــــ فعل مضارع + تركيب فعلي ـــ تركيب فعلي	- الأعراف 57 / الفرقان 48
استبدال الصيغة بالصيغة والتركيب	أسم خالص ــــ اسم خـالص + تركيـب فعلي ــــــ تركيب فعلي	- الأنبياء 2 / الشعراء 5
بالتركيب	- فعـل مضـارع ــــــ فعـل مضـارع + تركيب أسمي ــــ تركيب أسمي	- الأنعام 17 / يونس 107
	- تركيـب فعـلي ـــــــ شـبه جملـة + تركيب فعلي ــــ شبه جملة	- الانشقاق 22- 23 / البروج 19- 20
	- فعل مـاضي ــــ فعـل مـاضي + اسـم خالص ــــ اسم خالص + تركيب أسـمي ــــ تركيب أسمي	- الأنعام 37 / العنكبوت 50
استبدال الأداة بالأداة والصيغ بالصيغ	- أداة نفـي ــــ أداة نفـي + فعـل ــــ اسم خالص + اسم فاعل ــــ اسم فاعل	- الأنعام 131 / هود 117
استبدال أداة بالأداة والصيغة بالتركيب	حرف عطف ــــ حـرف عطـف + اسـم فاعل ــــ جملة اسمية	- الأنعام 11، النمل 69 / الروم 42

أربعة أمثلة مختارة من الاستبدال البسيط:

استبدال الأداة بالأداة:

قال الـلـه- تعالى- في سورة لقمان: {**أَلَمْ تَرَ أَنَّ الـلـهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْـلِ وَسَـخَّرَ**

الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى}[1] وقال في سورة فاطر: {**يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى**}[2] وقد آثرنا عند هذا المثال من " الاستبدال البسيط " بعد أن تجاوزنا فاتحة الآية الأولى: {**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللـهَ...**}لانعدام ما يقابلها من بنية التكرار في صدر الآية الثانية، وهو يبدأ- كما لا يخفى- بقوله تعالى: {**يُولِجُ...**}في الآيتين، وعلى وفق هذا التصور ينحصر الفرق بين الآيتين في الاستبدال الحاصل بين اللام وإلى في آخر البنية المذكورة وثمة إشارات للنحاة تجعل المعنى بين هاتين الأداتين ترادفاً[3] بيد أن المفسرين قد وجهوا الحالة وجهة أخرى، ورّد الغرناطي منهم الاستبدال إلى مطلب في سياق الآيتين، وهو الاختصاص الذي تفيده اللام في موضعها من الآية الأولى، إتساقاً مع مجرى الإطناب في سورة لقمان، وعد قوله- تعالى: {**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللـهَ..**} شيئاً منه، يقابله إيجاز في سورة فاطر، ناسبه الجر باللام " إكتفاءاً- كما قال- بما يحرز المعنى المقصود، ويناسب التركيب"[4] حسب، ولما كان المفسرون- كما نعلم- قد نفوا وقوع أي شيء من الترادف في القرآن الكريم، فإن مفهوم " الاختصاص" الذي تؤديه "اللام"- وهو: الملكية- ومفهوم "الانتهاء" الذي تؤديه" إلى"- وهو الغاية- ملائمان لصحة الغرض، فمعنى: {**يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى**} أي: تبلغه، ومعنى{**يَجْرِي لأَجَلٍ**} أي: إلى وقت معلوم[5]، وربما يكون المقصود بـ "الأجل" في سورة فاطر: أجل كل إنسان، فاختص باللام، وأجل بقاء هذا العالم الذي سينتهي يوماً من الأيام في السورة الأخرى[6]، فرمز إلى نهايته بإلى،

---

(1) آ: 29.

(2) آ: 13.

(3) مغني اللبيب: 233، و=: وشرح الكافية الشافية: 800، همع الهوامع 2/ 32.

(4) ملاك التأويل: 944.

(5) الزمخشري 3/ 502، الرازي: 18/ 223، القرطبي: 9/ 279.

(6) ابن عاشور: 22/ 281.

فكل ما ذكر في سورة لقمان دال على انتهاء الخلق، كما في قوله- سبحانه-: {**مَّا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ**}[1] وقوله: {**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ**}[2]، ((فكأن المعنى: كل يجري إلى ذلك الوقت، وهو الوقت الذي تكور فيه الشمس، وتنكدر فيه النجوم، كما أخبر الله- تعالى-))[3] بذلك، والمعنى في سياق سورة فاطر: إخبار عن ابتداء الخلق لا عن انتهائه، بدلالات قوله تعالى- فيها: {**الْحَمْدُ لِلهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ**}[4] وقوله {**وَاللهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا**}[5] فخص ما سيكون عند ذكر النهاية بحرفها في سورة لقمان، وما سيكون عند ذكر الابتداء بالحرف الدال على العلة التي يقع الفعل من أجلها[6]، وبهذا ينتفي القول بالترادف، ويكون الاستبدال حالة من التنويع القرآني في الاستعمال بحسب الداعية والغرض الإلهي في كل موضع دون الآخر.

- استبدال الصيغة بالصيغة:

- الاسمية بالاسمية:

قال تعالى في سورة الإسراء: {**وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**}[7]،

(1) آ: 28.

(2) آ: 33.

(3) درة التنزيل: 375، و=: التعبير القرآني: 188 – 189، معاني النحو: 62/3 – 63، عز الدين محمد أمين، رسالته للماجستير: وجوه الاستبدال النحوي في القرآن الكريم: 67 – 68.

(4) آ: 1.

(5) آ: 11.

(6) درة التنزيل: 375.

(7) آ: 9.

وقال في سورة الكهف {**وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا**} [1] وقد وقع هنا استبدال الصيغة الاسمية بالاسمية في موضع الفاصلة من الآيتين، وكل منهما في مقتضاها اللغوي في آيتها: وصف للأجر الذي بشر به القرآن الكريم المؤمنين الذين يعملون الصالحات في دنياهم، فجعله بمراد رب العزة- سبحانه- " كبيراً " في سورة الإسراء، و"حسنا " في سورة الكهف، والمعنى في ظاهره مختلف، ولكنه يتوارد إلى دلالة متقاربة في حقيقة أمره، والكبير والحسن من أوصاف مناقب الأشياء والمنقبة- كما نعلم- ضد المثلبة[2]، وهذا يعني: أنهما يؤولان إلى حقل دلالي واحد، ولكن ما وقع في الآيتين من الاستبدال مؤسس- كما نرى- على مطلب الفواصل في السورتين، وإن كان ثمة ملحظ سياقي يلفتنا إلى اختيار وصف الأجر بـ"الحسن " في سورة الكهف وارد احتمالاً لمقابلة قوله- تعالى- في الآية نفسها: {**لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ..**}، فذكر نوع البأس ونوع الأجر في الموضعين آتٍ على وجه المقابلة، وليس في سورة الكهف أي وصف سابق لشيء يقابل " الأجر " فجاء بيان نوعه مطلقاً من قيد الوجه المذكور، وثمة ملحظ خفي يحسن بنا الانتباه إليه في هذا المقام، وهو سعة دوران فعل "الكبير" ومشتقاته اثنتي عشرة مرة في سورة الإسراء[3]قبالة مرتين في سورة الكهف[4]ودار فعل " الحسن " سبع مرات في كل من السورتين[5]، وكان وصف "الأجر" بالكبير وبالحسن واحد من مجموعته في سورته وهو مجيئه في موقع الفاصلة منها بيد أن معظم الفواصل في سورة الإسراء مبني على "الراء" في صيغ: (فعيل/ فعول/ مفعول)، من ذلك: (بصيرا/

---

(1) آ: 2.

(2) مادته في: مختار الصحاح: 674.

(3) آ: 4, 9 , 21 , 21 , 23 , 31 , 43 , 51 , 60 , 87 , 111 , 111.

(4) آ: 5، 49.

(5) الإسراء - آ -: 7,7, 23, 34, 35, 35, 110, - الكهف – آ: 2، 7، 30، 31، 86، 88، 104.

وشكورا/ وكبيرا/ وحصيرا) [1] قبل الآية التي نحن بصددها، و(منشورا/ وتدميرا/ وبصيرا/ ومدحورا/ ومشكورا/ ومحظورا/ وغفورا) [2] بعدها، وليس الأمر كذلك "فصلاً " في سورة الكهف، ونعني هنا بمصطلح "الفصل": ما يماثل التقفية والروي في الشعر من الجريان على الوزن الواحد والصوت الواحد في مرتكز الإيقاع والجرس، وهو بنية القافية في الشعر، وبنية الفاصلة في القرآن، نقول هذا لما نلحظه من ورود أغلب فواصل السورة المذكورة على صيغ ثلاثية مختلفة من قبيل: (فِعَل: عوج[3] وفَعِل: كذب[4] وفَعَل: عَمَل[5] وفُعُل: جُرُز[6])، و " الحسن " من الوزن الثالث المذكور آنفاً كما لا يخفى، فضلاً عن اتخاذ الفصل في كل هذه الألفاظ مدى أوسع من التنوع الصوتي، فكان جيما، ولاما، وزايا، وياءا، ودالا، ونونا في آية التكرار التي بين أيدينا، ومعنى هذا: أنّه لا غلبة لصوت واحد في سورة الكهف، كما كانت للراء غلبة ظاهرة في فواصل سورة الإسراء.

- الفعلية الماضوية بالفعلية الماضوية:

قال الله- تعالى- في سورة طه: {**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا**}[7]

وقال في سورة الزخرف: {**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا**}[8] والصيغة واحدة، وهي صيغة " فَعَلَ " الثلاثية المجردة، وفعلاها هما: (سلك، وجعل) والأول منهما في اعتبار الصرفيين من أمثلة (نصَر ينصُر) المعروفة بأنها " الباب الأول " للثلاثي المجرد،

---

(1) آ: 1، 3، 4، 8.

(2) آ: 13، 16، 17، 18، 19، 20، 25.

(3) آ: 1.

(4) آ: 5.

(5) آ: 7.

(6) آ: 8.

(7) آ: 53.

(8) آ: 10.

ومثلها الرازي (ت606هـ) بفعلي: (دخَل يـدخُل) [1]، والثـاني مـن أمثلـة: فـتَح يفـتَح) المعروفـة بأنهـا "الباب الثالث " للثلاثي المجرد أيضاً ومثلها الرازي بفعـلي: (قطـعَ يقطَـع)[2] ومعنيـا: (سـلك وجعـل) متواردان إلى دلالة واحدة في الآيتين، وهي: ما هيأه اللــه- سـبحانه- لعبـاده مـن السـبل في الأرض، وذلك بجعلها ممهودة سهلة للسير والاضطجاع[3] فمعنـى: (الجعـل): عمـل الشيء وتهيئتـه[4]، وهـو لفظ عام في الأفعال كلها، أعم من (الوضع) وسائر أخواته[5]، ومعنى: (السلك): النفـاذ في الطريـق[6] والدخول فيه طلباً لاجتيازه[7]، ويتضح من هذا أن (الجعل) أعم منـه، لأنـه يتضـمن معنـاه ومعـاني الخلق والتصيير والعمل أيضاً[8].

ورأى المفسرون للسياق طلباً لكل من هذين الفعلين في آيته وسورته، وذلكم أن مقصـود التركيب في سورة طه: التلطف في الدعاء إلى اللـه- عـز وجـل- عـلى مـا تقـدم مـن أمـره لمـوسى وهارون- عليهما السلام- في قوله: {**فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًـا**}[9] فلـما بُنـي الكـلام عـلى هـذا، وعقـب عليـه بقولـه {.. **وَأَنـزَلَ مِـنَ السَّـمَاء مَـاء فَأَخْرَجْنَـا بِـهِ أَزْوَاجًـا مِّـن نَّبَـاتٍ شَـتَّى * كُلُـوا وَارْعَـوْا أَنْعَـامَكُمْ**}[10]، وفي هـذا مـن التلطـف والرفـق مـا فيـه، كـان التعبـير بفعـل "السـلك"

(1) =: مادته في: مختار الصحاح: 210.

(2) =: في م. ن: 105.

(3) ابن عاشور: 16/ 236.

(4) =: مادته في: لسان العرب: 13/ 114.

(5) =: المفردات في غريب القرآن: 94.

(6) =: مادته في م. ن: 239.

(7) ابن عاشور: 16/ 236.

(8) =:مادته في المفردات في غريب ألفاظ القرآن: 93، والفروق في اللغة: 128.

(9) آ: 44.

(10) آ: 53 – 54.

كي ما ينهج العباد ما نهجه لهم- سبحانه- من السبل والطرق لمرافقهم ومصالحهم، وهذه حالة من المعنى تنبيء عما يعطيه فعل " الجعل" في الآية الأخرى، مع زيادة الوضوح وكمال التهيئة[1].

أما الآية المقابلة في سورة الزخرف فمنبئة عن توبيخ من كفر من العرب وتقريعه، وذلكم في قوله- تعالى-: {**أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ**}[2]، وقوله إخباراً عن مكذبي الأمم الأخرى: {**وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون**}[3] وقوله: {**فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا**}[4]، وهذا كله توبيخ للمعاندين والجاحدين، ناسبه التعبير بفعل: "الجعل"، المنبيء عن الخلق والاختراع من غير زيادة[5]، فضلاً عن سعة دوران فعله ومشتقاته في السورة نفسها، فقد ورد فيه إثنتي عشرة مرة [6]قبالة ثلاث في سورة طه[7]ولعل في هذا ما يعضد التوجيه الذي قدمناه.

- استبدال التركيب بالتركيب:

- الاسمي بالاسمي:

قال- تعالى- في سورة إبراهيم: {**وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ**

(1) ملاك التأويل: 824.

(2) آ: 5.

(3) آ: 7.

(4) آ: 8.

(5) ملاك التأويل: 824 – 825.

(6) آ: 3، 10، 11، 12، 15، 19، 28، 33، 45، 56، 59، 60.

(7) آ: 29، 53، 58.

كَفَّارٌ}[1] وقال في سورة النحل: {**وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللـهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللـهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**}[2] وينتهي سياق التكرار في هاتين الآيتين إلى بداية موضع الاستبدال فيهما، وللتعقيب بالتركيبين اللذين حصل بهما الاستبدال- وهما قوله تعالى- في الآية الأولى: {**إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**} وقوله: {**إِنَّ اللـهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**} في الآية الثانية، صلة بالسياق السابق لكل منهما في سورتها وقد حظيت هاتان الآيتان بعناية دارسي الفاصلة في القرآن، لوقوع الاستبدال فيهما موضعها[3]، وإنما ختمت الآية الأولى بوصف الإنسان بالظلم والكفر عند أخذ النعم، لأن السياق كله في سورة إبراهيم قد أنبنى على وصف الإنسان بعيوبه، وبما جبل عليه من التنكر للخير، والبطر على النعمة، قال- تعالى-: {**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللـهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ**}[4]، وقال: {**وَجَعَلُواْ للـّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِ**}[5] فناسب أن يكون التعقيب في آية التكرار بقوله- عز وجل-: {**إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**}[6]، والمعنى: أنه ظالم للنعمة بإغفال شكرها، وشديد الكفران لها[7]، أما الآية الثانية فقد سبقت في سورتها بوصف اللـه- تعالى- وإثبات الوهيته، بما توالى في السورة نفسها من ذكر إحسانه، والنعم التي

---

(1) آ: 34.

(2) آ: 18.

(3) =: مصطفى الدباغ: وجوه من الإعجاز القرآني: 36، بكري شيخ أمين: التعبير الفني: 203، محمد الحسناوي: الفاصلة في القرآن: 245، عبد الفتاح لاشين: من أسرار التعبير القرآني – الفاصلة القرآنية: 150، أحمد أحمد بدوي: من بلاغة القرآن: 84.

(4) آ: 28.

(5) آ: 30.

(6) آ: 34.

(7) ملاك التأويل: 719، البقاعي: 13/ 423، البرهان: 1/ 86، الإتقان: 3/ 306.

أسبغها على البشر، وذلك في قوله- عز وجل-: {**خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ**}[1] وقوله: {**وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ**}[2] وقوله: {**كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ**}[3]، وقوله: {**فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلالاً طَيِّبًا**}[4], وكانت الحصيلة عليها، بضعاً وعشرين من أمهات النعم المذكورة في السورتين، من قوله- تعالى- فيها منبهاً وموقظا من الغفلة والنسيان {**أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ**}[5] حتى قوله- عز وجل- {**وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا**}[6]، فناسب هذه الخاتمة أن يكون التعقيب بوصف ذاته العليه بأنه- عز وجل- رحيم[7] فالشكر على النعم يقتضي الغفران والنعمة والرحمة بمشيئته- سبحانه- وظلم النعمة وكفرانها يقتضي إحلال الظالم الكافر دار البوار[8].

وقد حصل من مجموع الخاتمتين في الآيتين تركيبان متقابلان، فكأنه- سبحانه- قد قال بحسب ما قاله الرازي بعبارته: ((إذا حصلت النعم الكثيرة فأنت الذي أخذتها وأنا الذي أعطيتها، فحصل لك على أخذها وصفان، وهما كونك- أيها الإنسان- ظلوماً كفارا، ولي وصفان عند إعطائها، وهما كوني غفوراً رحيما، والمقصود: كأنه قال: إن كنت ظلوماً فأنا غفور، وإن كنت كفاراً فأنا رحيم، أعلم عجزك وقصدك، فلا أقابل

---

(1) آ: 4.

(2) آ: 5.

(3) آ: 81.

(4) آ: 114.

(5) آ: 17.

(6) آ: 18.

(7) ملاك التأويل: 719 – 720.

(8) وجوه من الإعجاز القرآني: 36.

تقصيرك إلا بـالتوفير، ولا أجـازي جفـاءك إلا بالوفـاء)) [1]، ويمكـن أن يكـون التقـدير بحسـب عبـارة البقـاعي: ((وإن تعـدوا نعمـة اللــه لا تحصـوها، إن الإنسـان لظلـوم كفـار، ولكـن ربـه لا يعالجـه بالعقوبة لأنه غفور رحيم))[2].

ومما يحسن ذكره في هذا المقام: أن مـا وقـع في موضـع الفاصـلة مـن الآيتـين معـروف عنـد دارسيها بمصطلح "التمكين" وهو: ((أن اللـه يمهد قبل الفاصلة تمهيـداً تـأتي بـه الفاصـلة ممكنـة في مكانها..... غير نافرة ولا قلقة، متعلقاً معناها بمعنى الكلام كله تعلقاً تاماً، بحيث لـو طرحـت أختـل المعنى، واضطرب الفهم))[3]، وقد سـمى البلاغيـون هـذا الأمـر: "تشـابه الأطـراف" وهـو كـما عرفـه القزويني (ت 739هـ): ((بأن يختـم الكـلام بمـا يناسـب أولـه في المعنـى))[4]وعـده الـرازي نوعـاً مـن "مراعاة النظير" وهو: أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه[5]، وفي هـذا إيضـاح لمجـرى التقـديرين اللذين ذكرنـاهما آنفـاً في تفسـير الآيتـين، آخـذين بنظـر الاعتبـار التركيـب الاسـمي الـذي اسـتوعب الفاصلة في كل منهما، والمعنى الكلي للآيتين معاً، لمجيئهما في تصوير مقصد قرآني واحد.

- الفعلي بالفعلي:

قال تعالى- في سورة البقرة: {**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُـذُواْ مَـا آتَيْنَـاكُم بِقُـوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**}[6] وقال فيها أيضاً: {**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَـا فَـوْقَكُمُ الطُّـورَ خُـذُواْ مَـا**

---

(1) التفسير الكبير: 19/ 130 – 131.

(2) نظم الدرر: 13/ 423.

(3) الفاصلة في القرآن: 286.

(4) الإيضاح في علوم البلاغة: 2/ 344، و=: التلخيص: 354.

(5) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: 113، و=: معجم المصطلحات البلاغية: 2/ 164، 3/ 243، ومحمد رجا حقي عبد المتجلي، بحثه: مكانة الفواصل من الإعجاز في القرآن الكريم، مجلة الدارة، س15، ع3، الرياض 1990: 13.

(6) آ: 63.

آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا}[1] وينتهي سياق التكرار في هاتين الآيتين إلى بداية موضع الاستبدال فيهما كما حدث في الآيتين السابقتين أيضاً، كما يجيء التركيب الفعلي: {**وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**}، في الأولى والتركيب الفعلي الآخر {**وَاسْمَعُواْ**} ومعقباته في الآية الثانية، ومعقباته هي ما حكاه- عز وجل- من قول بني إسرائيل وما وصفهم به في قوله: {**قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ**}[2]. وقد جيء بآيتي التكرار في قصتهم للتوكيد على ذكر الميثاق الذي أخذه منهم، وذكر الطور الذي رفعه فوقهم، وذكر ما أمروا به من لزوم الأخذ القوي بالتوراة التي أتى بها موسى- عليه السلام- ولا يخفى ما أدى به التركيب الثاني على الأول من الزيادة في المعنى[3]ووجه تخصيص كل من التركيبين بما عقب به فيه على النص المكرر في الآيتين مبني على ما تقدم النص نفسه في الآيتين[4]، فقد تقدمه في الآية الأولى قوله- سبحانه- {**وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ**}[5] يعني: التوراة[6] وقد سمعوها عنه، وأمروا بأخذها بصدق وحق[7] وتقدم النص المكرر في الآية الثانية قوله- تعالى-: {**وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ**}[8] والقرآن الكريم هو المقصود هذه المرة[9]، وقد جرت الآيات كلها بعد هذا القول على ذكره، وذكر كفر

---

(1) آ: 93.

(2) آ: 93.

(3) الزمخشري: 1/ 166، الرازي: 3/ 187، النسفي: 1/ 71=: غرائب القرآن: 1 /337، قطف الأزهار: 290.

(4) ملاك التأويل: 223.

(5) آ: 53.

(6) الزمخشري: 1/ 140، النسفي: 1/ 57.

(7) الطبري: 1/ 259، و=: ملاك التأويل: 223.

(8) آ: 89.

(9) الزمخشري: 1/ 164، النسفي: 1/ 69، و=: ملاك التأويل: 223.

اليهود وأهل الجزيرة به، وقولهم فيه: {**قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ**}[1]، وكانوا قد كفروا قبله بالإنجيل أيضاً، ولا خلاف في هذا المضمون الإلهي بين الكتب الثلاثة رداً لمقالتهم المذكورة، لأنهم إذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها[2] بالضرورة، فلما تقدم في عرض الآية الثانية ذكر القرآن الكريم، فإن اليهود المعاصرين لرسول الله- ﷺ - قد عورضوا لعدم إيمانهم بالقرآن وعدم سماعهم له إلا القليل منهم بما يناسب إعراضهم ذاك، بتخصيص الموضع بالقول الذي قيل لأسلافهم من اليهود الذين عاصروا موسى- عليه السلام- فقد قيل لأولئك: {**وَاسْمَعُواْ**}، ليكون هذا القول إخباراً عن السلف وتعريضاً بالخلف دفعة واحدة [3]، ومجمل دلالة التكرار في الآيتين: أنه توبيخ لليهود وتكذيب لإدعائهم الإيمان بما أنزل عليهم، وذلك بما ذكرهم به- سبحانه- من جناياتهم الناطقة بكذبهم[4] وهو في اعتباره الوظيفي، أداة لإيجاب الحجة على اليهود وعلى كفار الجزيرة لخصومتهم المشتركة للرسول- ﷺ - وقد آتاهم ببيان عربي مبين من ربه العلي العظيم، وقد كان من عادة العربي في كلامه اتخاذ التكرار أداة لإيجاب الحجة على الخصم [5]، والقرآن- كما نعلم- جار على سنن العربية في الكلام، والعربية نفسها مشرفة به جملة وتفصيلاً.

(1) آ: 91.

(2) الزمخشري: 1/ 65، النسفي: 1/ 77.

(3) ملاك التأويل: 223 – 224.

(4) أبو السعود: 1/ 102.

(5) الرازي: 3/ 187.

- **مثالان مختاران من الاستبدال المركب:**

- حالتا استبدال:

قال- تعالى- في سورة البقرة: {**وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ**}[1]، وقال في سورة الرعد: {**وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ**}[2]، وكلتاهما في مخاطبة الرسول- ﷺ -، وتلفتنا الأولى منهما إلى آية تناظرها في سورة البقرة نفسها، قال فيها- عز وجل-: {**وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ**}[3]، إذ لا يلطف بنا أن ندرس آيتي التكرار اللتين بدأنا بهما خاليتين من الإشارة معهما إلى الآية المذكورة، فهي مع كل واحدة منهما يمكن أن تشكل تطبيقاً لحالتي الاستبدال المقصودتين بعنوان هذه الفصلة من دراستنا العامة للتكرار الجامع، ولكن دخولها فعلاً على كل منهما في إطار وصفنا وتحليلنا هنا سيخرج المثال التكراري كله من دائرة " الاستبدال المركب " إلى دائرة "الاستبدال والزيادة" مما سندرسه في ما نستقبل، عندما نعقد بقية الفصل لما أسميناه في تمهيدنا "ملقى الظواهر"، ولكننا لا نحجم عن الإفادة من أقوال المفسرين في الآية المذكورة لإضاءة كلامنا على الآيتين في معرض الدرس وذلك في الكلام على اختصاص الآية الثالثة وحدها بزيادة" من "قبل الظرف المتقدم على الاسم الموصول، وهو المادة الأولى للاستبدال في الآيات الثلاث مجتمعات كما لا يخفى، وللنحاة في الفرق بين (ما والذي) كلام معروف، فمنهم يعدون: "الذي" أبلغ من "ما" في التعريف، وأقعد في الوصف، ومن خصائصه: أنه يتعرف بصلته، ولا ينكر أبداً،

(1) آ: 120.

(2) آ: 37.

(3) آ: 145.

وتتقدمه أسماء الإشارة كما في قوله- تعالى-: {**أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ**}[1]، فتكتنفه بيانات الإشارة والصلة، وتلزمه الألف واللام، ويثنى ويجمع، وليس "ما " كذلك في كل أحوالها، لأنها تنكر مرة وتعرف مرة، ولا تقع نعتاً لما قبلها، ولا منعوتة، فصلتها تغنيها عن النعت، وهي لاتثنى، ولا تجمع، ولا تدخل عليها الألف واللام[2]. فضلاً عن احتمالها الاسمية والحرفية والموصولية والاستفهامية والدلالة على النفي[3] في مآتيها المختلفة في الكلام.

أما "العلم" المتحدث عنه في آيات المثال كلها ففيه وجهات نظر مختلفة عند المفسرين، فهو في سورة البقرة- كما ذكروا-: الين المعلومة صحته بالدلائل القاطعة[4]، أو العلم بالله- تعالى- وصفاته، فهو على هذا: علم بالكمال، وليس وراء الكمال الإلهي أي على آخر[5]، وكان مبدأ الإشارة إليه في السورة قوله - تعالى-: {**وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ....**}[6]حتى قوله {**وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ**}[7]، وهذا يعني: أنه علم متعلق بأصل ملة الإسلام، وببطلان ملة اليهود والنصارى بعد النسخ، أي: بعد الذي جاء النبي- ﷺ - به من العلم بالله وصفاته، وبأن الهدى هدى الله، وبأن دين الله هو الإسلام، وأن القرآن هو كلام الله[8]، " فلا جرم كان العلم الذي جاء في ذلك- كما قال ابن عاشور- هو أصرح العلم

---

(1) الملك: آ: 21.

(2) المفصل في علم العربية: 141، و=: شرح المفصل: 4/ 2، البرهان: 4/ 398 – 399، معترك الأقران: 1/ 90.

(3) معاني النحو: 1/ 140 – 143.

(4) الزمخشري: 1/ 183، الرازي: 4/ 31.

(5) معترك الأقران: 1/ 90، و=: فتح الرحمن: 1/ 52.

(6) آ: 116.

(7) آ: 120.

(8) درة التنزيل: 27، أسرار التكرار في القرآن: 33، و=: صفاء الكلمة: 41.

وأقدمه، وكان حقيقاً بأن يعبر عنه بالاسم الموصول الصريح في التعريف" [1]، بيد أن "العلم" المـذكور في آية سورة الرعد هو "الذكر"، أي "القرآن " [2] وحده، بدلالة قوله- تعـالى-: {**وَكَـذَلِكَ أَنزَلْنَـاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم....**}[3]وفي هذه الآية منع له - ﷺ - عن إتباع أهوائهم، "وهذا المنع- كما قيل- هو بعض الشرع فإذا كان كذلك. كان العلم بصحته بعض علم الشرع أيضاً، فصار هـذا العلـم بعضا من العلم الأول، ولم يشتهر كشهرته، فعبر عنه باللفظ الأقصر- يعنـي: " مـا " كـما خـص الأول باللفظ الأشهر" [4]، والإشارة إلى الكلية والجزيئة في هذا النص هي التي تحملنا على الانتفاع بما قالـه المفسرون في الآية الثالثة فقد ذكروا أن " العلم " فيها متعلق بما هـو أدنى مـن " العلـم " المـذكور في الآية الأولى، لا بل أنه أدنى من " العلم " المذكور في آيـة سـورة الرعـد أيضـاً، لأنـه متعلـق بحـادث " تحويل القبلة " فقد تقدم آيته في سورة البقرة نفسها قوله تعالى {**وَلَئِنْ أَتَيْـتَ الَّـذِينَ أُوْتُـواْ الْكِتَـابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُـهُم بِتَـابِعٍ قِبْلَـةَ بَعْـضٍ وَلَـئِنِ اتَّبَعْـتَ...**}[5]، فخصت هذه الآية بـ"ما " لأن المعنى: من بعد ما جاء من العلم بأن قبلة اللـه هي الكعبة، وهذا قليل من كثير من العلم الأول المذكور في الآية السابقة في سورة البقرة نفسها، والفرق كبير جداً بين كـون التحـذير في أمر القبلة، أو في أمر إتباع الملة الكافرة، كما هو القصد الواضح المستقل في تفسير الآيتين، وقد دخلت "مـن" في الآية الثالثة دون الآيتين المذكورتين لوقوعها في سورة البقرة بعـد الآيـة الأولى متصـلتين بـلا فاصـل، فكـان "العلم" الذي جاء الرسول- ﷺ - حول القبلة جزئي من كـلي "العلـم" الـذي جـاءه في إبطـال جميـع الملـل-

(1) التحرير والتنوير: 2/ 38.

(2) أسرار التكرار في القرآن: 34، و=: معترك الأقران: 1/ 90، قطف الأزهار: 318.

(3) آ: 37.

(4) درة التنزيل: 27، أسرار التكرار في القرآن: 33، و=: معترك الأقران: 1/ 90، صفاء الكلمة: 42- 43.

(5) آ: 145.

كما أسلفنا-، "فكان جديراً- كما قال ابن عاشور- بأن يشار إلى كونه جزئياً له بإيراد: من[1]"، وقد ختم- سبحانه- الآية الثالثة بقوله: {**إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ**} جاعلاً الوعيد أخف، "لأن أمر القبلة مما يجوز نسخه، فكان الوعيد أخف مما لا يصح تبديله وتغييره"[2] من العلم بالله وصفاته، أو بالدين المعلومة صحته بالدلائل القاطعة، وكان الواجدي (ت 468هـ) قد وهم في اعتبار الآية الأولى في سورة البقرة- يعني: الآية العشرين بعد المائة- آية "تحويل القبلة[3]"، والصحيح أنها الخامسة والأربعون بعد المائة، بحسب ما دل عليه السياق الذي عنينا بتحليله آنفاً, ونخلص من هذا كله إلى موضع الاستبدال الثاني في الآيتين، وهو موضع الفاصلة منهما، وقد انتهت كل منهما بوعيد فيه من الغلظة ما فيه، فالأولى منتهية بالإشارة إلى نفي المعونة عنه- ﷺ - إذا اتبع أهواء الكافرين، والثانية بنفي الحماية عنه والحفظ بيد أن" معنى: (النصير) أوسع من معنى (الواقي) من حيث أنّ (فعيلاً) من أبنية المبالغة، فهو يعطي الكثرة، و(فاعلا) ليس كذلك"[4] وقد ورد كل منهما في الموضع المناسب، ومن ذلك ختام الآية الأولى بغليظ من الخطاب لعظم شأن "العلم" المتحدث عنه في مضمونها إجمالاً[5].

- ثلاث حالات استبدال:

قال- تعالى- في سورة الأنعام: {**ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ**}[6]،

---

(1) التحرير والتنوير: 2/ 38.

(2) درة التنزيل: 28 – 29.

(3) أسباب النزول: 37.

(4) ملاك التأويل: 230.

(5) قطف الأزهار: 318.

(6) آ: 131.

وقال في سورة هود: {**وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ**}[1]، وقال في سورة القصص: {**وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ**}[2]، ونحن نرصد بين الآيتين الأوليين ثلاث حالات استبدال حقا، ويزيد هذا العدد، وتدخل فيه " الزيادة " حين تمتد العناية لدينا إلى وصف الآية الثالثة وتحليل نصها، فيصلح مثال الآيات الثلاثة مجتمعات للدرس في المبحث المستقبل من هذا الفصل، نعني مبحث: " ملقى الظواهر " كما سبقت الإشارة إلى مثل هذا في الفاصلة التي قضينا الكلام فيها آنفاً، ولذا سنكتفي هنا بالمقارنة الثنائية بين الآيتين الأوليين انسجاماً مع المطلب الذي بدأنا به في هذا المقام، وسنرى أنّ الاستبدال الأول بينهما ماثل في مقدمتيهما: (ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن// وَمَا كَانَ)، وظاهر المعنى والزمن فيهما واحد، أو يكاد، ففي "لم" والفعل المضارع دلالة على الزمن الماضي، بما توصف به هذه الأداة عند النحاة من النفي والجزم والقلب[3] وفي مقدمة الآية الأولى ما يضفي عليها معنى معمقاً جديداً بمفهوم الإشارة التي تصدرتها، وخلاصة الأمر فيها: أنها ليست نفياً معتاداً كالنفي المجرد الذي توفرت عليه مقدمة الآية الثانية البتة.

أما الاستبدال الثاني فحاصل في الآيتين بين: (يُهْلِكَ/ مُهْلِكَ) فعلاً مضارعاً وأسم فاعل، ومن معارف الصرفيين في وصف اسم الفاعل: الإيماء إلى دلالته على الثبوت[4]، بيد أن المضارع الذي يقابله دال على الحدوث والتجدد بضميمة " اللام " المؤكدة، ومرد هذا الفرق بين الوصفين إلى مجيء كل من الآيتين في سياق سورتها، فالآية الأولى واردة في

---

(1) آ: 117.

(2) آ: 59.

(3) مغني اللبيب: 277، و=: أساليب النفي في العربية: 112، تنمية اللغة العربية في العصر الحديث: 218، و=: من أسرار اللغة: 186.

(4) معاني الأبنية في العربية: 9 وما بعدها.

وصف مشهد من مشاهد يوم القيامة قال- تعالى-: {**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَـذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ * ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ**}[1].

فقد خاطب- سبحانه- الثقلين في هذه الآية بأسلوب الاستفهام التقريري {**أَلَمْ يَأْتِكُمْ**} فأقروا بذنوبهم، وشهدوا على أنفسهم، فأخبرهم- عز وجل- بأنه أهلكهم بعد أن بين لهم رسلهم ما يجب عليهم إتباعه، فلو كان منهم من ينهى عن الفساد، لما هلكوا، وما كان إهلاكهم إلا بعد استحقاقهم العذاب، بدليل رمز " الغفلة " المشار اليها في موضع الفاصلة من الآية، وبعبارة أخرى: في موضع الاستبدال الثالث بين الآيتين، فقد جاء هذا الرمز متسقاً مع السياق العام للآيات السابقة في سورة الأنعام، فقد تضمنت ذكراً للتبليغ والإنكار وإقامة الحجج على الناس بما يجعلهم عالمين بأمور الرسالة غير غافلين عنها[2]، يقابل هذا في سورة هود ذكر لأحوال الاستقامة، وإقامة الصلاة، والدوام على الإحسان، مما ناسبه الرمز إليه في موضع الفاصلة بلفظة "مصلحون"، فهو- تعالى- لا يهلك القرية الصالح أهلها، كما يهلك أهل الغفلة وأهل الفساد، وقد جاء الكلام في سورة هود خطاباً للرسول- ﷺ - وحثاً له ولقومه على الطاعة، قال- تعالى-: {**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللـهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ * وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى**

(1) آ: 131، و=: عز الدين محمد أمين – رسالته للماجستير – وجوه الاستبدال النحوي في القرآن الكريم...: 204.
(2) ملاك التأويل: 671.

لِلذَّاكِرِينَ * وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ}[1]. ولا يخفى أنّ الكلام في خاتمة هذا السياق الطويل على أهل القرون والأمم تباعاً بصيغة الفعل المضارع المؤكد باللام " ليهلك " يتضمن إشارة إلى التكرار بحسب ما يكون منهم، فحين يتكرر الفساد منهم، ويعم كل قرن من قرونهم، يتكرر عليهم الجزاء والأخذ الإلهي بالعقاب، وليس في اسم الفاعل "مهلك " كما جاء في الآية الأولى ما يعطي مثل هذه الدلالة[2]، فالكلام في الآية المذكورة على أمور منقضية من حيوات الأمم عنها في السورة للتذكير بها، وفي " لم " تأكيداً لهذا الانقضاء ولتلكم النهايات، وما كان- سبحانه- ليشير في هذه الآية إلى ما حدث، وأنقضى، بـ" لم " و"مهلك" ورمز الغفلة في موقع الفاصلة في الآية- في ما نقدر- لو كان المقصد في الآية مستمراً متجدداً، وقد لمح الإسكافي هذا التصور، فعبر عنه بقوله: "لم يكن ليفعله من قبل أنّ يحتج عليهم برسل يهدونهم وينذرونهم ما وراءهم من محذورهم ولا يتركونهم في غفلة من أمورهم، فاقتضى هذا المكان أن يقال: لم يؤخذوا وهم غافلون، بل كانوا منبهين بالأعذار والإنذار على السفه..."[3]، ويمكن أن يطول الكلام كثيراً في تفسير الآية الثالثة، وحسبنا في الكلام عليها التنبيه على ما اجتمع في مقدمتها من عناصر الآيتين السابقتين، نعني: نفي الكون بـ"ما"، والإتيان باسم الفاعل "مهلك"، وفي هذا التوفيق الجديد في العبارة ما يدعو إلى نحو آخر من التفسير، فضلاً عما يستدعيه قوله- تعالى- {**حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا**} تصريحاً بذكر "الرسالات"، مقابل الإلماح إليها في نص الآيتين السابقتين برمزي

---

(1) آ: 112 – 117.

(2) ملاك التأويل: 671.

(3) درة التنزيل: 131.

الغفلة والصلاح في موضعي الفاصلتين منهما، وما تستدعيه إعادة المعنى ثانية بكلام رب العـزة عـن نفسه حضوراً لا غياباً، كما حدث في الآيتين المذكورتين، كي ما ينتهي الأمر كله إلى رمـز " الظلـم" الـذي نفاه - سبحانه- عن نفسه في موضع الفاصلة من الآية الثالثة أيضـاً، وهـذه العنـاصر كلهـا لـدى المقارنـة بالعناصر التي تشكلت منها الآيتان الأخريان تجعل مطلب التفسير الثلاثي خارج إطار العنوان الذي بدأنا به كلامنا في هذا المقام، فلزم التنبيه.

ملقى الظواهر:

وقد شرحنا المقصود بهذا المصطلح آنفاً بقولنا: (ولا مشاحة في الاصطلاح- كما- قيل، فهو ملقـى ظاهرة الاستبدال في النصوص التكرارية... مع الزيادة، أو الحذف أو التقديم أو التأخير، بهيئات وأعـداد مختلفة)[1]، فنحن قد نشهد في آيتي التكرار استبدالاً واحداً وزيادة أو زيادتين، أو اسـتبدالين وزيـادتين دفعة واحدة، أو ثلاثة استبدالات وحذفاً أو زيادة، وما شاكل، وهذا الوضـع - كـما- أسـلفنا أيضـاً غايـة العقادة والتشابك وصفاً وتحليلاً[2] ومن أجل هذا رأينا تقريبة أولا بالمسرد الأتي:

القسم	السور وأرقام الآيات	الظاهر نوعاً وأعداداً
(1)	- البقرة 129/ آل عمران 164/ الجمعة 2	
	- الأنعام 32 / العنكبوت 64	
	- الأنعام 102 /غافر 62	
	- الأنفال 72 / التوبة 20	
	- التوبة 114 / هود 75	استبدال / 1 + تقديم وتأخير / 1
	- الرعد 38 / الروم 47	
	- يونس 29 / العنكبوت 52	

(1) =: ص: 118، آنفاً.

(2) =: ص: 118، آنفاً.

القسم	السور وأرقام الآيات	الظاهر نوعاً وأعداداً
	- الإسراء 89 / الكهف 54	
	- محمد 36 / الحديد 20	
(2)	- البقرة 23 / يونس 28 / هود 13	
	- البقرة 38/ الاعراف 24 / طه 123	
	- البقرة 86/ البقرة 162/ آل عمران 88	
	- البقرة 120/ البقرة 145 / الرعد 37	
	- البقرة 193/ الأنفال 39	
	- البقرة 272/ الأنفال 60	
	- آل عمران 55/ المائدة 48/ الأنعام 164	
	- النساء 61 / المائدة 104	
	-المائدة 48 / 105	
	- الأنعام 32/ الأعراف 169/ يوسف 109	
	- التوبة 15 / التوبة 27	استبدال / 1 + زيادة / 1
	- يونس 19 / الشورى 14	
	- يونس 93 / السجدة 25	
	- هود 84 / العنكبوت 36	
	- يوسف 109 / النحل 43	
	- الحجر 84 / الشعراء 207	
	- الحجر 88 / طه 131	
	- الإسراء 94 / الكهف 55	
	- المؤمنون 19 / الزخرف 73	
	- فصلت 45 / الشورى 14	
	- فصلت 52 / الأحقاف 10	

القسم	السور وأرقام الآيات	الظاهر نوعاً وأعداداً
	- الفرقان 43 / الجاثية 23	
(3)	- البقرة 173 / الأنعام 145	استبدال / 1 + زيادة / 2
	- النحل 119 / النور 5	
	- الحج 22 / السجدة 21	
	- الروم 9 / فاطر 44 / غافر 21	
	- الصافات 15 / الأحقاف 7	
(4)	- يونس 18 / الأنبياء 66 / الفرقان 55	استبدال / 1 + زيادة / 1 + تقديم وتأخير / 1
(5)	- الأنعام 117/ النحل 125/ النجم 30/ القلم 70	استبدال / 2 + حذف / 1
(6)	آل عمران 126 / الأنفال 10	استبدال / 1 + حذف / 2 + تقديم وتأخير /1 + زيادة / 1
(7)	- البقرة 281/ آل عمران 161/ الجاثية 22	استبدال / 2 + زيادة / 1
	- الانعام 29 / المؤمنون 37 / الجاثية 24	
	- الانعام 47 - 49 / يونس 50	
	- الأنعام 80 / الأعراف 89	
	- التوبة 52 / الطور 31	
	- هود96-97/ غافر23-24/الزخرف 46	
	- الإسراء 56 / سبأ 22	
	- الكهف 81 / القصص 43	
	- الأنبياء 36 / الفرقان 41	
	- طه 128 / السجدة 26	

القسم	السور وأرقام الآيات	الظاهر نوعاً وأعداداً
(8)	- التوبة 55 / التوبة 85	استبدال / 2 + زيادة / 2
	- السجدة 26 / يس 31	
	- القصص 60 / الشورى 36	
(9)	- سبأ 3 / يونس 61	استبدال / 3 + زيادة / 2 +
	- ص 12 - 13 / ق 12 - 14	تقديم وتأخير / 1
(10)	- آل عمران 133 / الحديد 21	استبدال / 3 + حذف / 1
(11)	- البقرة 136 / آل عمران 84	استبدال / 3 + زيادة / 1
	- الأنعام 148 / النحل 35	
	- هود 10 / فصلت 50	
	- الأنبياء 92 / المؤمنون 52	
	- الزمر 8 / 49	

- استبدال وتقديم وتأخير:

ولدينا من هذه الثنائية تسع حالات جاءت ثمان منها في سورتين وواحدة في ثلاث، وقد وصفنا ما ذكرناه بأنه " ثنائية" لاعتبارنا "التقديم والتأخير" مظهراً واحداً، للزوم استصحاب كل تقديم في أية آية من آيتي التكرار تأخيراً في الثانية، ويصح وصف الحالة بالعكس أيضاً، وسنختار من مجموع هذه الحالات اثنتين فقط للدرس والتحليل وقعت إحداهما:

- في سورتين:

وهما الأنفال، وقال- تعالى- فيها: {**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ**}[1]، والتوبة وقال- تعالى- فيها: {**الَّذِينَ**

(1) آ: 72.

آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللـهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَـمُ دَرَجَـةً عِنـدَ اللــهِ وَأُوْلَئِـكَ هُـمُ الْفَائِزُونَ}[1]، مقدماً- سبحانه- ذكر الأمـوال والأنفـس في الآيـة الأولى عـلى قولـه- تعـالى- {**فِي سَـبِيلِ اللـهِ**}، وانعكست الحالة في الثانية، ولو عدنا إلى سياق كل من سورتي الأنفال والتوبة سنجد مجـيء التركيب في الأولى منهما عقيب ما أنكره- تعالى- على من قـال لهـم: {**تُرِيـدُونَ عَـرَضَ الـدُّنْيَا وَاللــهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ**}[2]، وهم من أصحاب الرسول- ﷺ-، أسروا جمعـا مـن المشركـين ولم يقتلـوهم طمعـاً في الفداء، فخاطبهم- سبحانه- بقوله: {**لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللـهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**}[3] أي فيما أخذتم من هؤلاء الأسرى من الفداء، ثم فاضت نعـماؤه علـيهم بعـد أنْ غفـر لهـم مـا كـان منهم من ترك القتل، وقال: {**فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّبًا**}[4] قبل التركيب المشار إليـه، وقـد تضـمن مديحاً لمن آمن به- عز وجل- وهاجر مقدماً ماله ونفسـه في سـبيله، ولـيعلم ذلـك يجـب أن يكـون أهم لديه وأولى عنده مما حرص عليه من فائدة الفداء[5] الزائل الضئيل فما عنده ينفذ وما له عنـد اللـه باق له في دنياه وآخرته لأنه مـن ثمـرات الإيمـان والهجـرة إلى اللــه ورسـوله، والجهـاد بالمـال والنفس في سبيل اللـه، وكان تقديم ذكر الأموال والأنفس تعريفـاً بموقـع الهجـرة والجهـاد في حيـاة المؤمن، وهو في حقيقته إنسان يحب نفسه- لا محالة-، ويشح طبعه بها، فقـدم ذكرهـا وذكـر المـال اعتناءً وتخصيصاً وتنبيهاً على ما ينبغي أن يكـون للجهـاد موقـع في حياتـه[6]، ومـن أجـل هـذا كلـه

(1) آ: 20.

(2) آ: 67.

(3) آ: 68.

(4) آ: 69.

(5) درة التنزيل: 189- 190.

(6) ملاك التأويل: 581 – 582.

جرى تأكيد التركيب كله بـ"إنّ " المشبهة بالفعل، وهي- كما نعلم- من ضمائم التوكيد الفعالة في اللغة العربية.

أما الآية الأخرى فقد وردت في معرض المفاضلة بين سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام من جهة، والإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس من جهة أخرى، قال- تعالى-: {**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللهِ**}[1]، ولما كان الإيمان وما ذكر معه أعظم درجة عند الله من السقاية والعمارة فقد خلت الآية من تقديم ما قدم في الآية الأولى[2] وقد عرض الغرناطي لهذه القضية بقوله: " فكان المندوب إليه في هذه الآية- يعني الآية في سورة التوبة- بعد الإيمان بالله الجهاد في سبيله، فقال بعده مادحاً لمن تلقى بالطاعة أمره: {**الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ**} ثم ذكر {**بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ**} لما قدم ذكر ما اقتضى الموضع تقديمه وأن يجعل أهم إليهم من غيره"[3]، ويفهم من هذا أن الأموال والأنفس المجرورين بالباء والتبعية على التعاقب في الآية قد تمخضت لهما فضيلة في سياقها، فأخر ذكرهما فيها[4]، وقد أيد الغرناطي هذا التصور بقوله: "وقد نص سيبويه على أنّ المجرور إنما يقدم حيث يكون مستقراً، ويعني بذلك الخبر، نحو عندك مال، وقوله تعالى {**وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ**}[5] والقصد تخصيص عناية الإخلاص والتخصيص مقصود من آية الأنفال، ولم يقصد ذلك في سورة التوبة، ولا وقع المجرور فيها خبراً، فوجب بمقتضى اللسان أن يقدم

---

(1) آ: 19.

(2) ملاك التأويل: 582.

(3) درة التنزيل: 190.

(4) ملاك التأويل: 582.

(5) البقرة، آ: 36، و=: الكتاب: 2/ 128.

في آية الأنفال قوله {**بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ**} ويؤخر في براءة"[1] المشتملة فضلاً عما أشارت إليه آيتها المذكورة من فضيلة الجهاد على ذكر آخر له بقوله - تعالى- فيها قبل الآية نفسها {**وَلَمَّا يَعْلَمِ اللـهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُم**}[2]، أما الاستبدال في خاتمة التركيبين فحيث قال- تعالى- في سورة الأنفال ذاكراً عاقبة المجاهدين المهاجرين: {**أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ**} وقال فيهم في سورة التوبة: {**أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللـهِ**}.

وهذان القولان متعلقان بسياق كل من التركيبين وموقعه في سورته، فما ختم به الأول منهما من آية سورة الأنفال معلّق فيها بقوله- تعالى-: {**وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ**} والمقصود به تفخيم فعلهم الموجب لموالاة بعضهم بعضاً، مقابل ما أسلفنا الإشارة إليه في آية سورة التوبة من أفضلية الجهاد على ما سواه من سقاية الحجيج وعمارة البيت الحرام، ولذلك بين تعالى عاقبة المجاهدين بأن أولئك أعظم درجة من سواهم، أياً كان عملهم ومن أي قبيل.

- في ثلاث سور:

نعني مجيء الاستبدال والتقديم والتأخير فيهم مجتمعات، فذلك قوله- تعالى- في سورة البقرة: {**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ**}[3] وقوله في سورة آل عمران: {**لَقَدْ مَنَّ اللـهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**}[4] وقوله في سورة الجمعة: {**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ**

(1) ملاك التأويل: 582.

(2) آ: 16.

(3) آ: 129.

(4) آ: 164.

يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}[1] ونحن نشهد الاستبدال في صدور هذه الآيات، وندرك أنه مختلف باختلاف الأسباب والسياقات التي اكتنفت صياغة كل تركيب من التراكيب الثلاثة في آيته من سورته، فقد ورد التركيب الأول: {**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ....**} على لسان إبراهيم- عليه السلام- في دعوته لذريته بالصلاح والتزكية، وورد الثاني: {**إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ...**} في وصف ذاته العلية- سبحانه- فقد نفى الغلّ عنها في معاملة عباده المؤمنين بمنّه عليهم، وكرمه بمن أرسله إليهم رسولاً من أنفسهم، وورد الثالث: {**هُوَ الَّذِي بَعَثَ...**} في الاتجاه نفسه، تأكيداً لكرمه وفضله على الأميين الذين اختار من بينهم أمياً منهم لتبليغ رسالته- تعالى- إلى العالمين.

أما التقديم والتأخير في الآيات الثلاث فقد حدث في ترتيب التزكية والتعليم، وذلك بتقديم "التعليم" في الآية الأولى، وتأخيره في الأخريين، ولسنا محتاجين إلى إنشاء مبحث خاص في هذه المسألة، وقد استوفاها الغرناطي استيفاءً طيباً بقوله: "لما كانت دعوة إبراهيم- عليه السلام- قبل وجود الضلال في الذرية المدعو لها، وإنما تحصّل لهم تزكيتهم، ورفع ضلالهم المتوقع وقوعه بما يمنحونه من التعليم، وما يتلى عليهم من الآيات، لأن ذلك هو السبب في حصول التزكية والسلامة من الضلال إذا وفقوا للانقياد له، الآ ترى أنّ ارتباط التزكية بأعمال الطاعات، قال تعالى: {**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا**}[2]، وإنما كانت تزكية لهم بانقيادهم للطاعة فيما يطالبهم به من ذلك، ويأخذه منهم، فتأخر ذكر (التزكية) المسببة عما به تحصل، وذلك بعد هدايتهم للإيمان فجاء على الترتيب من بناء المسبب على سببه، ولما كان مقصود الآيتين الأخرتين: إنما هو ذكر الامتنان عليهم، بهدايتهم بعد الضلال الذي كان قد وجد منهم، والتعريف بإجابة دعوة

---

(1) آ: 2.

(2) التوبة، آ: 103.

إبراهيم- عليه السلام- أخر ذكر تعليمهم الكتاب والحكمة المزيلين لضلالهم، ليكون تلوه ذكر الضلال الذي أنقذهم الله منه بما علمهم وأعطاهم، وامتن عليهم، وهو ثاني المسببين، فكان الكلام في قوة أنْ لو قيل: ويعلمهم ما به زوال ضلالهم، وأخر في هاتين الآيتين ذكر السبب، ليوصل بمسببه الأكيد الذي كان قد وقع، وهو هنا رفع ضلالهم من عظيم محنته، ولو أخر ذكر (التزكية) لما أحرز هذا المعنى المقصود بها، فاختلاف الترتيب إنما هو بحسب اختلاف المقصدين، ورعاية ما ذكر، فورد كلٌ على ما يجب ويناسب))[1] وفي هذا التحليل ما فيه من الإشارات الجميلة التي تدل على زكاته المغنية لعمل المفسر بما لا تحضى فوائده في إنشاء المعرفة المعمقة بمقاصد التنزيل مما لا فكر الغرناطي واجتهاده الطيب في تمثل آيات التكرار تمثلاً، ينبني لديه على المقارنة يمكن إدراكه بالنظر الموضعي الأحادي في الآية الواحدة من سورتها، دون السعي إلى نظيراتها في القرآن الكريم، ولاسيما ما كان منها من آيات التكرار.

استبدال وزيادة:

ولدينا من هذه الثنائية اثنتان وعشرون حالة، جاءت اثنتان منها في سورة واحدة، وأربع عشرة في سورتين، ويمكن أن يتسع الكلام كثيراً على هذه الحالات كلها، لو أردنا الاتساع فيه لسببه في كل واحدة منها، وعندئذ ستكثر الأسباب، وتتنوع اتجاهات الوصف والتحديد، ويضيق المقام عن استيعاب كل ما يمكن أن يحرر فيه من الدرس، ومن أجل هذا آثرنا الاكتفاء بثلاث دراسات.

في سورة واحدة:

قال- تعالى- في سورة التوبة {**وَيَتُوبُ اللـهُ عَلَى مَن يَشَاء وَاللـهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**}[2] وقال فيها

---

(1) ملاك التأويل: 236 – 237.

(2) آ: 15.

أيضاً {**ثُمَّ يَتُوبُ اللـهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاء وَاللـهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**}[1]. أما حرف العطف فاحتمال كونه استبدالاً غير بعيد، ولكننا ما عددناه كذلك حفاظاً على هذا المثال القرآني في مجال الاستبدال الواحد والزيادة الواحدة، لمطلب متصل بمآتي الأسماء الحسنى في أواخر الآيي، مما نرى ضرورة الكلام عليه هنا نوبة أخرى، بعد أنّ تكلمنا عليه في موضع سابق[2] لضرورة بحثية مختلفة بين الموضعين، فلو عددنا المعنى المختلف بين حرفي العطف استبدالاً، لا ندفع هذا المثال إلى قسم آخر من أقسام هذا الفصل، واندرج بين عشر حالات، يلتقي فيهن الاستبدالان مع الزيادة الواحدة، فيكن به إحدى عشرة لا يقع الاختيار عليه من بينهن للفحص والتحليل، فيفوت الغرض المتصل فيه بالاقتران الثنائي بين أسماء اللـه الحسنى في آخر كا من آيتيه الكريمتين في سورتيهما الواحدة، وحسبنا هنا من اختلاف "الواو " و" ثم " في هاتين الآيتين الإشارة إلى دلالة الواو على الجمع الآني لعدة أحداث، عرض- سبحانه- لذكرها منسوقة نسقاً خاصاً في قوله {**قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللـهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ/ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ/ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ / وَيَتُوبُ اللـهُ عَلَى مَن يَشَاء**}[3]، والواو- كما يقول شراح حروف المعاني من النحاة: تفيد مطلق الجمع، وعطف الشيء على مصاحبه[4]، بخلاف " ثم " في موضعها من الآية الأخرى، فهي مشعرة بالتشريك والترتيب والمهلة[5] بين وقائع ما حدث يوم حنين، فالمسلمون في ذلك اليوم - كما هو معروف في أخبار المغازي- [6] لم يولوا مدبرين قبل شعورهم بالعجب من كثرة

---

(1) آ: 27.

(2) =: ص: 111، آنفاً.

(3) آ: 14 – 15.

(4) مغني اللبيب: 139، و=: الجنى الداني: 158، ورصف المباني: 410.

(5) مغني اللبيب: 117، و=: الجنى الداني: 426.

(6) =: مغازي رسول اللـه: 334.

لم تغن عنهم- يومئذ- شيئاً، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت فولوا مدبرين، بهذا الترتيب للأحداث كما نفهمه من معاني " ثم " المذكورة آنفاً في آخر الآية كذا بضميمة "ثم" في آخر الخامسة والعشرين من سورة التوبة، ولكنه- تعالى- قد انزل السكينة على رسوله وعلى المؤمنين، كما ورد بها خبرها القرآني المصدر بالضميمة نفسها في الآية التالية، وتماماً: {**جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ...**}[(1)]، ففي هذه " البعدية " تأكيد صريح للمهلة، يقوى لدينا بالالتفات من " المضي " في " عذب " إلى الحال في " يتوب " فهو كاف في تأكيد ما استحضرناه من معنى " ثم " بحسب تعاقب الأحداث بها في آيات يوم حنين تعاقباً مستطيل الزمن، بدأ في أول اليوم، وانتهى ببشارة التوبة على من شاء- سبحانه- التوبة عليه من الكافرين أما التقاء الاستبدال والزيادة في الآيتين اللتين نتصدى لهما في هذا المبحث ففيه كلام نتجه به إلى زيادة حرف الجر والظرف والإشارة {**مِن بَعْدِ ذَلِكَ...**} يعني: من مجازاة الكافرين بالعذاب الذي تكبدوه بعد ملاقاة جند الله في ذلك اليوم العصيب، يوم أرسل- عز وجل- جنوداً لا ترى لنصرة نبيه الأمين وأصحابه، فمن أشد عذاباً ممن يلقى مقاتلاً لا قبل له به، يضربه من المجهول، فيسقطه ويرديه، وهو لا يملك أن يشابكه، أو ينصر نفسه عليه في أي اتجاه من الاتجاهات؟!، وللمفسرين توجيه آخر في مسألة التوبة، أقاموه على دلالة تذييل الآية باسميه- تعالى-: {**غفور رحيم**}، وأرادوا: الغفران والرحمة لمن فر مدبراً من المسلمين، تاركاً النبي- ﷺ - والقليل من أصحابه في أرض المعركة، فنادى العباس- رضي الله عنه- الأنصار، فاستجاب منهم أناس، ثم أنزل الله الملائكة- كما قالوا- بثياب بيض على خيول بلق، فمكن بهم نبيّه والمسلمين من أعدائهم[(2)] ثم ختم الآية بصفتي غفرانه ورحمته لأولئك الفارين المدبرين في ذلك اليوم تأنيساً وبشارة

---

(1) آ: 26 – 27.

(2) الطبري: 14 /178 – 179، النسفي: 2/ 215، الشوكاني: 2/ 348.

لهم بتوبته عليهم، وإخباراً لهم بأن ما وقع منهم من الفرار مغفور لهـم، رحمـة منـه- سـبحانه- [1]، وهذا هو ما استضاء به المفسرون من أسـباب النـزول في تفسـير الآيـة المـذكورة، كـما اسـتفادوا مـن الأسباب المذكورة في تفسير الآية الأولى المذيلة بصفتي علمه وحكمته - تعالى - وتركيبهما فيها معلق بقوله- تعالى- قبلها {**أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُـواْ أَيْمَـانَهُمْ وَهَمُّـواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُـولِ وَهُـم بَـدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ...**}[2] والمراد: كفار مكـة وسـائر رؤسـاء قـريش الـذين نقضـوا صـلح الحديبيـة، وهمـوا بـإخراج الرسول- ﷺ - وأصحابه من مكة[3] فأمر- تعالى- بقتالهم، ووعد بتعذيبهم، والـنصر علـيهم، وشـفاء صدور من آمن به من بني خزاعة، وهم الذين وصفهم- سبحانه- في الآية بأنهم: " القوم المؤمنـون " وقوله فيها {**وَيَتُوبُ اللـهُ عَلَى مَن يَشَاء**} إخباراً بأن بعضاً من أهـل مكـة سـيتوب عـن كفـره، ويسـلم للـه- كأبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو-، الذين تابوا بعد ما صدر منهم مـن الاجتهـاد في إيذاء الرسول- ﷺ - والصد عن سبيل اللـه، كما تختم الآية باسميه- تعـالى- " علـيم حكـيم"، للدلالـة على انه عليم بما وقع في القتال، وفي طي ما جرى من ذلـك كلـه بتقـديره- عـز وجـل- السـابق [4]، فهـو العليم بما كان وما سيكون [5]، والحكيم في قبوله لمن شاء له التوبة من أولئك[6] الذين شاركوا في الأحداث المذكورة بضلالهم قبل هدايتهم.

---

(1) ملاك التأويل: 584 – 585.

(2) آ: 13.

(3) أسباب النزول: 240، و=: الطبري: 14/ 158.

(4) ملاك التأويل: 583 – 584.

(5) النسفي: 2/ 211.

(6) البقاعي: 8/ 398.

- **في سورتين:**

ومن الاستبدال الواحد والزيادة الواحدة في سورتين قوله- تعالى-: في سورة الانعام{**فَقَدْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاء مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ**}[1]، وقوله في سورة الشعراء {**فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاء مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون**}[2] وقد انحصر الاستبدال في هاتين الآيتين بين حرفي الاستقبال: "السين وسوف"، وهذه هي الحالة الوحيدة التي جرى فيها مثل هذا الاستبدال في آيات التكرار، وانحصرت الزيادة في الآية الأولى بذكر الذي كذب به أولئك المستهزءون لما جاءهم، وللتحويل والزيادة في الآيتين أسباب متصلة بسبب نزول كل منهما، وبسياقيهما في سورتيهما، وفي ضميمتي: "السين وسوف" كلام للنحاة، يجمل بنا إحضاره في هذا المقام للإفادة منه في التفسير، فقد قالوا: إنهما يختصان بالفعل المضارع، وينفسان في زمنه، فينقلانه من ضيق وقت الحال إلى سعة الاستقبال[3]، ولا يهمنا كثيراً ما قيل في أصلية السين، أو استقطاعها من "سوف " لكثرة الاستعمال، لقلة جدوى العناية بمثل هذه المسألة في هذا المقام، وحسبنا أنّ نذكر الأوجه الثلاثة للفرق بين الحرفين، وأولها: كون التنفيس في "سوف" أشد منه في السين، وكأنهم نظروا في تحرير هذا الفرق إلى أنّ كل زيادة في المبنى مفضية إلى زيادة في المعنى [4]، بحسب القاعدة التي قررها ابن جني (ت 392) في درسه اللغوي والنحوي[5]، والثاني: انفراد "سوف" عن

---

(1) آ: 5.

(2) آ: 6.

(3) مغني اللبيب: 138 – 139، و=: رصف المباني: 336، 398، شرح المفصل: 8/ 148، الجني الداني: 59، 458.

(4) المفصل: 317، و=: مغني اللبيب: 139، الجني الداني: 59، الأشباه والنظائر في النحو: 2/ 219.

(5) الخصائص: 3/ 264.

السين بدخول اللام عليها[1] والثالث: ما نقله ابن هشام (ت 761هـ) من مجيء "سوف" مفصولة عن فعلها بفعل مَلْغيّ، مستدلاً بقول زهير بن أبي سلمى:

ومـــــا أدري وســـــوف إخـــــال أدري أقـــــوم آل حصـــــنٍ أم نســـــاء [2]

ويفيد الوجه الأول من هـذه الأوجـه فائـدة طيبـة في تحليـل الحالـة التـي نحـن بصـددها مـن الاستبدال في الآيتين، وسنشرع فيه بالإشارة إلى سبب نزول كل مهـما، فقـد قيـل: إنّ الأولى قـد نزلـت في الكفار بعامة، ونزلت الثانية في قرابة الرسول- ﷺ - منهم بخاصة[3]، فناسب هذا الوضـع الأخـير تعجيـل الوعيد والتهديد لمن هم من قرابته[4] بدلالة ضميمة السين، وهي كما أسلفنا أضعف تنفيساً للزمن مـن قرينتها، ومعنى هذا: أن وقت حلول عقابهم على تكذيبهم من الحـق الـذي جـاءهم بـه- عليـه الصـلاة والسلام- وشيك ضيق، بخلاف الوقت الآخر الذي جرى فيه وعيد عموم المكـذبين بـالحق مـن الكفـار في آية سورة الأنعام، فإن "سوف" قد أعطت مدى برزخياً بين حينية التكذيب الماضية بدلالة قولـه- تعـالى- (لَمَّا جَاءهُمْ) وحينية إنفاذ العقاب أطول مما أعطته السين في الآية الأخـرى، وفي الجـو العـام للتعبـير في السورتين ما يؤيد هذا المجرى من الفهم والتحليل، ذلك ان سورة الأنعام قد تضمنت قرائن سياقية عـلى تأخير الوعيد والعقوبات الإلهية في معارض ذكر الأنبياء وأقوامهم المكذبين، ومنها طابع الإطناب في عرض قصصهم، مما يناسبه إيراد الحرف المنفّس الأوسع تركيباً في أثنائـه، فضـلاً عـن مجـيء "ثـم" العاطفـة في مواضع أخرى في السورة نفسها بدل الفاء[5] وهي المفيـدة- كـما نقلنـا مـن أقـوال شراح دلالات حـروف

---

(1) مغني اللبيب: 139، و=: رصف المباني: 398.

(2) مغني اللبيب: 139، و=: شرح شواهد المغني: 130، 412.

(3) الطبري: 7/ 65، 19/ 37.

(4) التعبير القرآني: 168- 169، و=: عز الدين محمد أمين- رسالته للماجستير- وجوه الاسـتبدال النحـوي في القـرآن الكريم: 46.

(5) التعبير القرآني: 169.

المعاني- التشريك في الحكم والترتيب والمهملة[1]، أكثر من الفاء، ويقابل هـذا كلـه في سـورة الشـعراء طابع الإيجاز الذي يناسبه إيراد السين في أثنائه [2]، وقد قيـل في مجمـل الفـرق بـين الآيتـين: ويمكـن حمل الموعود به في سورة الأنعام على عذاب الآخـرة، وهـو بعيـد، وفي سـورة الشـعراء: عـلى عـذاب الدنيا من القتل وغيره، وهو قريب، فناسب كل حرف موضعه[3]، وقد دعـا هـذا السـبب نفسـه إلى حذف التقييد في الآية الثانية، يعني: تقييد التكذيب بالحق لما جاء أولئك المكذبين إيجـازاً، وإبقـاءه في الآية الأولى بحسب طبيعة سورتها إطناباً [4]، ولما كانت سورة الأنعام متقدمة في ترتيب المصحف، فمن المناسب الالتفات إلى ما ألمح إليه السيوطي مـن أنّ الألفـاظ التـي تـأتي أولاً في القـرآن الكـريم بحسب ترتيبه التوقيفي المقطوع به لدينا تكون مشبعة مستوفية لمعناها[5]، وهذا التوجيه يردنا إلى ما خطفنا الإشارة إليه خطفاً من كون السين مقتطعة من "سوف" فمعنيا "الإشباع" واستيفاء المعنـى "اللذان عناهما السيوطي في إشارته الآنفة الذكر يفهماننا كون مبنـى الحـرف المركـب أقـوى اكتنـازاً بمعنى التنفيس والمهلة في الزمن من الحرف المفرد الواحد في أي مورد من موارد التعبير.

- في ثلاث سور:

ومن الاستبدال الواحد والزيادة الواحدة فيهن مجتمعات قوله- تعـالى- في سـورة البقـرة: **{وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُـواْ شُـهَدَاءكُم مِّـن دُونِ اللـــهِ إِنْ كُنْـتُمْ**

---

(1) = ص: 148، آنفاً.

(2) درة التنزيل: 107، و=: أسرار التكرار في القرآن: 65، ملاك التأويل: 412 – 413.

(3) قطف الأزهار: 850.

(4) درة التنزيل: 107 – 108، و=: فتح الرحمن: 316 – 317.

(5) قطف الأزهار: 850، و=: التعبير القرآني: 168.

صَادِقِينَ}[1] وقوله في سورة يونس {**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللـهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}**[2] وقوله في سورة هود {**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللـهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}**[3] وهذه حالة محتاجة في دراستها إلى "التدريج" وهو يعني عندنا- كما فعلنا في موضع سابق- [4] النظر في الآيتين الأوليين أولاً، قبل إدخال الثالثة معهما في معرض التحليل، وسيكون هذا منهجاً متسقاً جداً مع طبيعة الموضوع الذي تعالجه الآيات الثلاث، والآيات في معرض التحدي الإلهي للعرب ذوي الفصاحة والبلاغة واللِسْن بأن يأتوا بما يعارض القرآن الكريم الذي ارتابوا فيه أول أمرهم، فقال لهم- تعالى- في صدر الآية الأولى {**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا...**}، ثمَّ قال لهم في صدر الآيتين الأخريين: {**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ...**}، كل هذا قبل أن يبدأ نسق التكرار الذي نتجه إليه بالدراسة في هذا المقام، ونشير ها هنا إلى أن دارس التكرارات القرآنية يواجه في تحديد فواتح تلك التكرارات وخواتمها مشكلة معقدة، من شأنه أن يجد لهما حلولاً في مواضعها، وسيكون علاجنا لها في مقامنا هذا بإخراج مقدمتي الآيتين الأوليين من دائرة التحليل الذي سيبدأ لدينا بفعل "الإتيان" أمراً في سياق الآيات الثلاث كلها، ولكننا سنأخذ بمنهج "التدريج" كما أسلفنا.

لقد أمر- سبحانه- العرب بأن يأتوا بسورة من مثل القرآن، ولا مثل له عندهم- كما يعلم- البتة، ولكنه وسّع عليهم بطلب "المثلية" من مخزونهم التراثي محصورة في دائرة السورة الواحدة التي أطلقها بالتنكير أولاً، ولم يصفها بما يخصصها ثانياً، كأن تكون طويلة أو قصيرة، إمعاناً في تيسير المطلب المتحدى به عليهم، وتشير "من" الجارة المفيدة لمعنى

---

(1) آ: 23.

(2) آ: 38.

(3) آ: 13.

(4) =: ص 107، آنفاً.

التبعيض[1] إلى حالة خفية في التقريع لأولئك المرتابين الشاكين بصدق إتيان الوحي بالقرآن من السماء على ارتيابهم المنكر ذلك، وكأنه سبحانه قد قال لهم: إن محمداً رجل منكم، إن كان فصيحاً وبليغاً قادراً على إنشاء الكلام الذي ارتبتم فيه، فإن فيكم- لا محالة- من لا يقل عنه فصاحة وبلاغة ولسناً، فلم لا يأتي هذا النظير بسورة واحدة من مثل كلام محمد، إن كان هذا القرآن من كلامه كما زعمتم؟.

هذا وجه ظاهر من الفهم القريب لمعنى الآية، بيد أنّ للمفسرين والنحاة في تفسيرها كلاماً جدَّ طويل، لا ينصَّب على حرف الجر وحده فيها، بل على الضمير في "مثله" أيضاً وقد قالوا: إن هاء الضمير للقرآن بعد حرف التبعيض[2]، وقالوا إنها للرسول- ﷺ-، و"من" للابتداء، والتقدير: فأتوا بسورة هي من إنسان مثله[3]، وقالوا إنها للأنداد[4] في قوله- تعالى-: {**فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً**}[5]، وقد ضعّف الكرماني هذا الرأي مشيراً إلى فرق الإفراد والجمع بين الضمير والأنداد[6]، وقالوا إن الهاء للتوراة. المقصودة بأنها مثيلة القرآن، أي: فأتوا بسورة من التوراة التي هي مثل القرآن[7]، وهذا رأي ضعيف جداً، إذ ليس في الآية ما يدل دلالة واحدة على أنّ الخطاب موجّه إلى اليهود البتة، فهو خطاب إلهي عام، بوشر به العرب قبل غيرهم من المرتابين في كل زمان ومكان

---

(1) =: مغني اللبيب: 319.

(2) الفراء- معاني القرآن: 1/ 19، و=: معاني القرآن وإعرابه 1/ 100، أسرار التكرار في القرآن: 241، البرهان: 1/ 115، التسهيل لعلوم التنزيل: 1/ 41، فتح الرحمن: 1/ 23، حاشية الجمل على الجلالين: 1/ 28، أضواء على متشابهات القرآن: 1/ 69.

(3) الرازي: 11/ 96، و=: ملاك التأويل: 183، والزجاج: نقلاً عن بعضهم: معاني القرآن وإعرابه: 1/ 100، وكذلك الكرماني- نقلاً أيضاً: أسرار التكرار في القرآن: 25.

(4) أسرار التكرار في القرآن: 25، و=: حاشية الجمل..: 1/ 28.

(5) البقرة، آ: 22.

(6) أسرار التكرار في القرآن: 25.

(7) أسرار التكرار في القرآن: 25، و=: بصائر ذوي التمييز: 1/ 140، والبرهان: 1/ 115.

بقرآنية القرآن وحياً إلهياً إلى الصادق الأمين- عليه الصلاة والسلام- وقد ذكر في مجيء "مـن" في آيـة البقرة دون غيرها: أنّ هذه السورة- كما وصفت- سنام القرآن، وأوله بعد الفاتحة، ولهذا حسن فيهـا دخول الحرف المذكور، ليعلم أنّ التحدي واقع على جميع سور القرآن من أوله إلى أخره، فلـو جـيء بالحرف نفسه في غيرها مـن السـور لكـان التحـدي واقعـاً عـلى بعضـها دون بعـض، ولم يكـن ذلـك بالسهل[1] في الوقت نفسه، وقد قيل في تفسير الآية أيضاً: فأتوا بسورة مما هو عـلى صـفة القـرآن في البلاغة وحسن النظم، فحينئذٍ سيكون ما تأتون به كأنه منـه، أمـا السـياق في الآيتـين الأخـريين فقـد وصفت فيه السور بالافتراء صريحاً في مقدمـة الأولى، وفي درج الثانيـة، فلـم يحسـن الإتيـان بحـرف الجر الدال على التبعيض، لأن المفهوم سيتسع حينئذٍ بأن يكون المطلوب بعـده مـن جـنس المـذكور قبله، فيلزم أن يكون ذلك المفترى قرآناً، وهـذا محـال[2] وينطبـق هـذا مـع القـول الصـحيح بوجـود الآيات المكررات في القرآن الكريم، فعندما يتكرر في القرآن تركيب معين، فـإن أحـد تكراراتـه يعمـل على تفسير الآخر أو على إزالة ما فيه مـن الغمـوض، فضـلاً عـما يضـيفه عليـه مـن دلالات جديـدة تناسب مقصده- عز وجل- من الآية في موضعها، دون نظيرتها في الموضع الآخر.

ولكي نخلص من هذا المبحث بالرأي الراجح عندنا من الأقوال الكثيرة التي عرضنا، يحسـن لـدينا البدء من فكرة القائلين: إنّ الهاء في "مثله " للرسول- ﷺ-، "ومن" للابتـداء، والتقـدير: فـاتوا بسـورة مـن إنسان مثله، وسنرى أنهم عللوا هذه الفكرة بأن ظهور مثل هذه السورة من إنسان أمـي كـالنبي - ﷺ - في عدم التتلمذ والتعلم معجز [3] بدليل قوله- تعالى- في الآية نفسـها: {**وَادْعُـواْ شُـهَدَاءكُم**} والمـراد- كـما ذكر الغرناطي-: من يشهد لكم أنّ شخصاً مثل محمد قد سمع منه ما طلب منكم، ونص ما قاله: " إذ لا

---

(1) أسرار التكرار في القرآن: 25، و=: بصائر ذوي التمييز: 1/ 140، البرهان: 1/ 115.

(2) فتح الرحمن: 1/ 25.

(3) الرازي: 17/ 96.

يكتفى في مثل هذا بمجرد دعوى المدعي، فقيل لهم: ائتوا بسورة من شخص مثله في الجنسية، وبمن يشهد لكم بأن قد فعلتم...، ولم يطلب في سورة يونس بمن يشهد لهم، وإنما قيل لهم: استعينوا في النظم والتأليف بمن قدرتم، لأن سماع ذلك منهم- أنْ لو كان، ولا سبيل إليه- لا يحتاج معه إلى شهادة شاهد، أما لو ادعوا: أنّ أحداً سمع منه مثل القرآن، لما قنع منهم. بمجرد دعواهم"[1]، وهذا التعليل مقبول، بيد أنه لا يرجح لدينا على الرأي الأول، نعني: كون أنّ الهاء للقرآن بعد حرف التبعيض، لمجيء الإشارة في مقدمة الآية إلى الريب والشك الذي وقع في الكلام المنزل، وهو القرآن، وفي المنزل عليه في الوقت نفسه، قال- تعالى- {**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ**}، أي: من مثل هذا المنزل وعلاوة عليه فنحن سنجد لو تتبعنا كل الآيات القرآنية التي وردت في موضوع التحدي الذي نحن بصدده عودة " مثله " فيها إلى القرآن الكريم، لا إلى الرسول- ﷺ - والقرآن- كما نعلم في أوصول التفسير- يفسر بعضه بعضاً[2]، وحين يستعين الدارس بأسباب نزول الآيات الثلاث سيرى أن سورة يونس أسبق في تاريخ القرآن من سورتي هود والبقرة، والبقرة هي الأخيرة في التاريخ، والأولى قبلهما في ترتيب المصحف [3] كما هو معروف، ويفيدنا هذا: بأن الله- عز وجل- قد تحدى الناس أولاً بالقرآن جملة في سورتي الإسراء[4] والطور[5] وهما أسبق في تاريخ القرآن من السور الثلاث المذكورات آنفاً[6]، ثم في سورة يونس: {**فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ**}، أي: مثل القرآن الذي تسمعون بإعجازه في نظمه وتشريعاته وقصصه، على اعتبار كونه كلاً لا يتجزأ، ثم أقلّ المطلوب في سورة

(1) ملاك التأويل: 185 – 186.

(2) مقدمة في أصول التفسير: 93، =: البرهان: 2/ 175.

(3) البرهان: 1/ 193 – 194، الإتقان: 2/ 72 – 73.

(4) آ: 88.

(5) آ: 33 – 34.

(6) البرهان: 1/ 193 – 194، الإتقان: 2/ 72 – 73.

هود فجعله "عشر" سور مما سمعوا، ليثبت- سبحانه- عجزهم وضعفهم وكذب مقالهم، ووصف السور العشر المطلوبة منهم بأنها: "مفتريات" زيادة في إثبات ضعفهم ذاك عن الإتيان بعشر سور فقط، وإن كن غير صحيحات في حقائقهن، وحين انتهى- سبحانه- إلى آية سورة البقرة، وهي الأخيرة من السور الثلاث في تاريخ النزول، كما ألمحنا لم يجعل "العشر خمساً" مثلاً، بل عدل عن جملة القرآن في مطلب التحدي، وعن جزئه الكبير، وهو السور العشر، إلى السورة الواحدة من مثله، وليست منه، غير موصوفة بالطول أو القصر، بلوغاً في التحدي إلى أقل الطلب.

نقول بعد هذا: إنّ الاستبدال في سياق التكرار الذي نحن بصدده، قد انحصر في دائرة المطلوب مادة للتحدي على اختلاف أشكاله وأوصافه في الآيات الثلاث، مما يبدو في ظاهره وكأنه عدة استبدالات، ولكنه ليس كذلك في مبدئه القرآني المعبر عنه بتدريجات أشكال المطلوب المتحدى به وأوصافه، بيد أنّ الزيادة قد انشعبت شعبتين، تلتقي فيهما الآية الأولى مع كل من الآيتين الأخريين منفردة، ومادة الزيادة في الثالثة هي وصف مادة التحدي فيها- وهي السور العشر- باسم المفعول "مفترى" مؤنثاً مجموعاً والزيادة في الثانية قد اكتنفت استبدالاً وعدل فيه من ذكر "الشهداء" المدعوين للاستنصار بهم على الإتيان بسورة من مثل القرآن، إلى من تستطاع دعوته لغرض الإتيان بسورة مثل القرآن، وليست من مثله، وهذه الشبكة من ألوان التعبير في الآيات الثلاث قد جعلت طبيعة ما جرى فيهن أوسع من أن يكون استبدالاً واحداً وزيادة واحدة، ولكنه صالح للإبقاء في الإطار نفسه، مادام المحول والمزيد لم يخرجا عن دائرتي "الإتيان والاستنصار بالشهداء" على إنفاذ التحدي والاستجابة له بحسب تدريجات المطلوب في الآيات الثلاث في سور يونس وهود والبقرة، من غير أنْ نمد نظرنا في هذا التحليل إلى شكلي التحدي ووضعيه في سورتي الإسراء والطور أيضاً.

استبدال وزيادتان:

ولدينا من هذه الثنائية خمس حالات جاءت أربع منها في سورتين وواحد في

ثلاث، وقد اخترنا من الخمس الأولى قوله- تعالى- في سورة الحج: {**كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**}[1] وقوله في سورة السجدة: {**كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ**}[2] مادة دراستنا في هذه الفصلة، لما في هذه الحالة من الاستبدال المركب الذي نؤثر وصفه هنا بمصطلح: "اختلاف التعقيب"، لأنّ مَا عقب به في الآية الثانية مختلف جداً عما عقب به في الآية الأولى، وإن كان جارياً في اتجاه مضمونه القرآني، مما يتضح لقارئه في المعرض الآتي:

الحج	—	ذوقوا عذاب	الحريق	—
السجدة	وقيل لهم	ذوقوا عذاب	النار	الذي كنتم به تكذبون

وإذا كانت زيادة "من غم " هي فرق ما بين القسمين الأولين من الآيتين، فإن الاستبدال قد انداح اندياحاً طويلاً في القسم الثاني من الآية الثانية، واكتنف في داخله حذفاً أو إضماراً وزيادتين، ونعني بالزيادتين: (وَقِيلَ لَهُمْ// الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ)) وبالتحويلين: (ذُوقُوا//النَّارِ) قبالة (وَذُوقُوا// الْحَرِيقِ) في الآية الأولى، ولا وجه لاعتبار واو العطف داخلة في الاستبدال الكبير، لأنها آتية في صدر القسمين الثانيين قبل بداية مجرى الاستبدال المذكور.

أما الزيادة (من غم) في آية سورة الحج فراجعة إلى ما اكتنفته السورة نفسها من التفصيل في ذكر أحوال أهل النار، فقد قال- سبحانه- قبل آية التكرار: {**..فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ**}[3]، فكلما أرادوا الإفلات من هذا الغم- كما قال الفراء- أعيدوا

---

(1) آ: 22.

(2) آ: 20.

(3) آ: 19 – 21.

فيها[1]، وقد اتجه الإسكافي بالتفسير اتجاهاً أخر استحضر فيه تشبيهاً عجيباً، قال فيه: "فلما وصفهم بأن العذاب من جميع الجوانب اكتنفهم، صاروا بإحاطة ذلك بهم وسدّ أنفاسهم عليهم بمنزلة البعير المغموم بالغمامة التي تسدّ منفسه فلا يجد فرجة))[2] وهذا التشبيه مبني على المعنى الثاني لمفردة: "الغم"، وهو الستر والتغطية، ومنه "الغمامة" التي تستر ضوء الشمس[3]، لا على معنى "الحزن" القريب المألوف، وليس في سورة السجدة وآياتها أي سبق أو ذكر لمثل ما ذكر في آيات سورة الحج.

ونحن نلحظ مما في آية السورة المذكورة إضمار فعل القول قبالة التصريح به في الآية الأخرى، ومما يذكر في هذا المقام: وجود آيات غير قليلة في القرآن الكريم جرى فيها ذكر إذاقة العذاب لكل الجانين والمكذبين والظالمين والكفار في كثير من سياقات ذكرهم فيه، ومنها آية سورة السجدة[4]، وقد تضمنت تلكم الآيات تعبيرات من قبيل: ((فَذُوقُواْ الْعَذَابَ[5]//وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ[6] //ذُوقُواْ عَذَابَ الْخُلْدِ[7]// ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ[8]" أو تعبيرات من قبيل: (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ[9]// فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ[10])، بيد أن آية سورة الحج تماثل آية سورة الأنفال في خلوها من العطف بالواو أو الفاء، ومن اسم مظهر مصرح به، قال- تعالى-: {**وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ**

---

(1) معاني القرآن: 2/ 220، و =: الزمخشري: 3/ 150.

(2) درة التنزيل: 310.

(3) =: مادته في المفردات في غريب القرآن: 279 – 280.

(4) =: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: 279 – 280.

(5) آل عمران – آ: 106، الأنعام – آ: 30، الأنفال – آ: 35.

(6) آل عمران – آ: 181.

(7) يونس – آ: 52.

(8) الزمر – آ: 24.

(9) الذاريات – آ: 14.

(10) القمر – آ: 37 – 39.

وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ}[1]، وقد حدس الكرماني في إظهار فعل (القول) في آية السجدة مناسبة لكثرة ورود لفظ " القول فيها قبلة[2] فلما طال وصف أحوال أهل النار في سورة الحج أوجز بإضمار الفعل المذكور، ومن المناسب ألا يعد الانتقال من " الحريق " إلى النار استبدالاً، لما بين اللفظين من اتفاق الحقل الدلالي الذي ينتميان إليه ونختم هذا العرض بالإشارة إلى أنّ قوله- تعالى-: {**الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ**} تلو قوله: {**عَذَابَ النَّارِ**} في آية سورة السجدة زيادة على ما في آية سورة الحج عائد إلى السياق، فقد كان- سبحانه- قد صرح بلفظ "الكفار " في سورة الحج بقوله: {**فَالَّذِينَ كَفَرُوا**}[3] ثم بنى عليه ذكره لعقابهم، وذلكم بإذاقتهم عذاب الحريق، فلم يكن ثمة ما يستدعي تكرار ذكرهم مرة أخرى، بخلاف الحال في آية سورة السجدة، فقد قيل فيها: {**وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا..**}[4]، والفسق- كما فسروه- الخروج[5]، وهو أعم من الكفر، لأنه يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير[6] فأعقب- سبحانه- الآية كما قال الغرناطي ((بما يرفع الاحتمال، ويوضح أنّ فسقهم]كان خروجاً[إلى الكفر، حين كذبوا بالوعد والوعيد الأخراوي))[7].

---

(1) آ: 50.

(2) أسرار التكرار في القرآن: 145، و=: آ: 20.

(3) آ: 19.

(4) آ: 20.

(5) =: مادته في لسان العرب: 11/ 182.

(6) =: مادته في المفردات في غريب القرآن: 380.

(7) ملاك التأويل: 86.

- **استبدال وزيادة وتقديم وتأخير:**

- في ثلاث سور:

ونستهل كلامنا هنا بالإشارة إلى أنّ التقديم والتأخير يمثلان عندنا مظهراً واحداً[1] ليصح قولنا بعد هذا: ولدينا من هذه الثلاثية حالة واحدة، جاءت في ثلاث سور قال - تعالى- في سورة يونس: {**وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللـهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ**}[2] وقال في سورة الأنبياء: {**... أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللـهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ**}[3] وقال في سورة الفرقان: {**وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللـهِ مَا لا يَنفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ...**}[4] والتحويل- كما نلحظ- قد وقع في صدور هذه الآيات الثلاث كلها بدواعي تعلق الكلام في كل منها بالسياق المتقدم عليه، والسياق في سورتي يونس والفرقان إخباره- تعالى- عن حال الكفار الذين يعبدون الأصنام من دونه، وهي لا تمتلك حولاً ولا قوة وهو في سورة الأنبياء استفهام جرى على لسان إبراهيم- عليه السلام- في معرض عجبه من حال قومه الذين رأوا إحراقَه بعد أنْ حطم أصنامهم، فاتجه إليهم بسؤال المحتج على فساد ديانتهم، وقد اخترنا أنْ يكون ما حدث في آية سورة يونس تقديماً لذكر " الضر " على ذكر " النفع " خلافا لما جرى في الآيتين الأخريين، لأن من جاري العادة في القرآن تقديم ذكر " الضر " في الأغلب على ذكر "النفع" في حال ورودهما مجتمعين في تراكيبه [5]، لأن العابد إنما يعبد معبوده خوفاً من عقابه أولاً، وطمعاً في ثوابه ثانياً [6]، ولهذا عد الكرماني تقديم ذكر " الضر " في الآية

(1) =: ص 144، آنفاً.
(2) آ: 18.
(3) آ: 66.
(4) آ: 55.
(5) المائدة- آ: 86، يونس- آ: 49، طه- آ: 89، الفرقان- آ: 3، الفتح- آ: 11، الحج- آ: 13.
(6) درة التنزيل: 209، و=: البرهان في علوم القرآن: 1/ 122.

الأولى ورودا على الأصل[1] يعني: الأصل القرآني في الاستعمال. وحقيقة ما جرى في الآيات الثلاث متعلقة بالسياقات السابقة لها في سورها أيضاً، فالآية في سورة يونس موصولة بقوله- تعالى- قبلها: **{وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللـهِ}**[2]، ((فكان قد قيل- على حد ما شرحه الغرناطي-: ويعبدون من دون اللـه ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويزعمون أنّ ذلك ينفعهم، ولم يكن ليناسب لو قيل: **{وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللـهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللـهِ قُلْ}** تناسب الوارد من متصل قوله (وَلاَ يَنفَعُهُمْ) بقوله: **{وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللـهِ قُلْ}**، فلما كان الاتصال فيما ذكر انسب وردت الآية بحسب ذلك))[3]، فضلاً عن ورود قوله- تعالى-: **{إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}**[4] قبل الآية نفسها، وقال الإسكافي: ((فكأنه قال: ويعبدون من دون اللـه ما لا يخافون ضرراً من معصيته، ولا يرجون نفعاً في عبادته، وقدم ما لا يضرهم على ما لا ينفعهم في هذا المكان لهذا المعنى ولهذا اللفظ))[5].

أما السياق السابق للآية في سورة الفرقان فقد تضمن ذكراً لدلائل وشواهد من مصنوعاته- تعالى- يهتدي المعتبر بالنظر فيها إلى تخلصه من ورطات شكوكه، - قال تعالى- **{أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلّ}**[6] حتى قوله: **{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا**

---

(1) أسرار التكرار في القرآن: 93.

(2) آ: 18.

(3) ملاك التأويل: 613.

(4) آ: 15.

(5) درة التنزيل: 209.

(6) آ: 45.

وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا}[1]، فلما تقدم التنبيه بتلك الآيات الواضحات والمحصل منها- كما ذكر الغرناطي- أعظم النفع في امتثال الواجبات طلباً للنجاة، ناسبه تقديم ذكر "النفع" على ذكر " الضر " في الآية المذكورة[2]، وكان الإسكافي قد عدّ "البحر العذب" أفضل من " البحر المالح " في تفسير قوله تعالى: {**وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ**}[3]، وعدّ صلة النسب أفضل من صلة المصاهرة في تفسير قوله:{**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا**}[4] كما يلمح في هذه الآيات تقديماً لذكر "الأفضل" على "الأدون"، فناسب بعد ذلك أن يتقدم ذكر " النفع " على ذكر " الضر " في الآية[5] عنده، خلافاً لما جرى في آية سورة يونس وحدها، كما تقدم الكلام عليها، واستقلت الآية في سورة الأنبياء بزيادة المنصوب " شيئاً " في خطاب إبراهيم- عليه السلام- لقومه بأنهم يعبدون ما لا ينفعهم صغيراً أو كبيراً تحقيراً لآلهتهم، ووصفاً لها بالضعف التام، وليس في الآيتين الأخريين ما يقتضي مثل هذه الزيادة الآتية في محلها من كلام إبراهيم للغرض المذكور.

- استبدالان وحذف:

في أربع سور:

وليس لدينا من هذه الثنائية غير حالة واحدة، جاءت في أربع سور، قال- تعالى- في سورة الأنعام: {**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**}[6]، وقال في سورة

---

(1) آ: 54.

(2) ملاك التأويل: 623.

(3) الفرقان – آ: 53.

(4) آ: 54.

(5) درة التنزيل: 209 – 210.

(6) آ: 117.

النحل: {**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**}[1]، وقال في سورة النجم: {**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى**}[2]، وقال في سورة القلم: {**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**}[3]، وقد انحصر الحذف في مجيء الآية الأولى خالية من الباء الجارة التي سبقت فعل "الضلال" في الآيات الأخر وقد قيل في هذا الحذف: إنه إيجاز وتخفيف[4] ومن المعروف انّ "أفعل" التفضيل لا ينصب نفسه مفعولاً به، لضعف شبهه بالفعل، ولكنه قد يتعدى إليه بالباء أو اللام أو بإلى، فينصبه، ونصبه له مباشرة نادر[5]، وقد علل الغرناطي الحذف باستثقال زيادة الباء مع الزيادة اللازمة للمضارع[6]، وهي الياء في أوله، ولمح الكرماني في الحذف نفسه موافقة للسياق، لأن الاية سابقة لقوله - تعالى- بعدها: {**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**}[7] ولمحه هذا جميل جداً على ما بين الآيتين في السياق الذي اجتمعتا فيه، وقد اشتمل السياق المذكور نفسه على قول مناظر، لا يصح فيه حذف "الباء" البتة، قال- تعالى-: {**وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ**}[8]، نعني: حذفها قبل ذكر "الأهواء" لما سينشأ في التركيب بهذا الحذف من فساد الصيغة والمعنى دفعة واحدة.

---

(1) آ: 125.

(2) آ: 30.

(3) آ: 7.

(4) درة التنزيل: 471، و=: أسرار التكرار في القرآن: 74.

(5) شرح الكافية الشافية: 1141، 1143 – 1144، و=: أسرار التكرار في القرآن: 74، قطف الأزهار: 931، و=: ابن عاشور: 8/ 29.

(6) ملاك التأويل: 471.

(7) آ: 124، و=: أسرار التكرار في القرآن: 74.

(8) آ: 119.

أما الاستبدالان، فأولهما الإتيان بالفعل المضارع في الآية نفسها في موقع صلة الموصول قبالة الماضي في الآيات الثلاث الأخرى، ويمكن أنْ يرد هذا إلى السياق نفسه في سورة الأنعام، فقد جرت الآية في هذه السورة على ذكر فعل الضلال خمس مرات بصيغة الاستقبال[1]، وكأن الزمن الشائع في هذه السورة هو المذكور، لكون السورة مبنية على تأجيل العقوبات بالفضل الإلهي على العباد- كما أسلفنا في موضع سابق-، وليس لفعل "الضلال " أي ذكر في سورتي النجم والقلم، إلا في موضع الحالة التي نعالجها بيد انه قد ذكر بصيغة الماضي في موضعه من آية سورة النحل، وذكر في موضعين متقدمين عليه بصيغة الاستقبال، قال- تعالى-: {**فَإِنَّ اللـهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ**}[2]، وقال: {**وَلَوْ شَاء اللـهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلكِن يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء**}[3] وهذا يعني: أنّ وحدة الزمن في سياقات استعمال هذا الفعل في السورة ليست متحققة، كما تحققت في سورة الأنعام، وقد رأى الكرماني: مجيء الفعل بصيغة الماضي في سورة النجم جريا على الأصل، لأن أكثر ما يرد لفظ "أفعل" التفضيل مع الماضي[4]، ولأن الآية مبنية على مطلع سورتها، قال- تعالى-: {**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى**}[5]، ثم قال- سبحانه- مؤكداً نفي الضلالة عن نبيه الكريم: {**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ**} ليثبت براءته- ﷺ- من كل ما وصفه به كفار مكة، ولكن بكناية وتعريض أشد وقعاً في نفوسهم[6]، وهم أهل البلاغة والفصاحة وهذا هو ما حدث أيضاً في سورة القلم، بعد أنْ اتهموه- عليه الصلاة

(1) آ: 39، 116، 117، 119، 144.
(2) آ: 37.
(3) آ: 93.
(4) أسرار التكرار في القرآن: 74.
(5) آ: 1 – 2.
(6) ملاك التأويل: 472.

والسلام- بالجنون فنفاه عنه- تعالى- بقوله: {**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ* وَإِنَّ لَكَ لاجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ * فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ * بِأَيِيِّكُمُ الْمَفْتُونُ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**}[1] ومعنى هذا: أنّ الآيات الثلاث في سورة النحل والنجم والقلم أخبار، عُقّب بها على أحداث واقعة ومنتهية[2]، وليست مما سيقع، فيناسبه الكلام عليه بفعل الاستقبال.

وقد جرى الاستبدال الثاني في آية سورة النجم طلباً للفاصلة، بقوله- تعالى-: {**بِمَنِ اهْتَدَى**} لأن الألف المقصورة هي الغالبة في فواصل السورة المذكورة، وقد جرى ذلك في الآية بوصل "من " بالجملة الفعلية خلافاً لوصل الألف واللام في الآيات الثلاث الأخرى باسم الفاعل الذي رآه النحاة خبراً عن مبتدأ محذوف، والتقدير لديهم: بمن هو مهتد، وإنما جرى الوصل بالصيغة المذكورة، وهي تبدو في ظاهرها مجرورة، ومختومة بالياء والنون لكونها جمعاً مذكراً سالماً، لأن النون في فواصل السور الثلاث وكذلك الميم، هما الغالبتان، ومما يحتمل الإشارة إليه في هذا المقام: التنبيه على أنّ مراعاة الفاصلة بصورتين، مع تطابق المضمون في سياق تكرار واحد وجه من وجوه الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم والقرآن لا تنقضي عجائبه على كل صعيد.

- استبدال وحذفان وزيادة وتقديم وتأخير :

في سورتين:

ونذكر هنا أيضاً بأننا قد عددنا التقديم والتأخير- في ما أسلفنا- مظهراً واحداً[3]، لنقول من ثم لدينا من الرباعية المشار إليها حالة واحدة، جاءت في سورتين وهي قوله-

---

(1) آ: 1 – 7.

(2) قطف الأزهار: 931.

(3) =: ص: 144، 159، آنفاً.

تعالى- في سورة آل عمران: {**وَمَا جَعَلَهُ اللـهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا الـنَّصْرُ إِلاَّ مِـنْ عِندِ اللـهِ الْعَزِيـزِ الْحَكِيمِ**}[1] وقوله في سـورة الأنفـال: {**وَمَـا جَعَلَـهُ اللــهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَـئِنَّ بِـهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللـهِ إِنَّ اللـهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**}[2] ويـنحصر الاسـتبدال في الخـروج مـن وصف الذات العلية بصفتي عزتها وحكمتها كما وقع في الآية الأولى إلى إنشاء جملة توكيـد مصـدرة بضميمة " إنّ " المشبهة بالفعل في الآية الثانية التي جاء الوصفان الإلهيان فيهـا في موضـع الخبريـة، بعد تجريدهما من الألف واللام وهذا هو ثاني الحذفين في حالتنا هذه، وكـان الأول حـذف " لكـم " في الآية نفسها - كما لا يخفى.

أما التقديم والتأخير فمظهرهما مجيء "بـه " فاصـلاً بـين فعـل "الاطمئنـان" وفاعلـه في الآية الثانية نفسها، وتعقيباً للجملـة كلهـا في الآيـة الأولى، ولكـل مـا جـرى في موضـعه توجيـه وتأويل، وإنما جرى حذف "لكم" في آية سورة الأنفال وحدها لأن سورتها قـد اكتنفـت إفصـاحاً بشبه الجملة المـذكورة في قولـه- تعـالى-: {**وَإِذْ يَعِـدُكُمُ اللــهُ إِحْـدَى الطَّـائِفَتِيْنِ أَنَّهَـا لَكُـم**}[3] وقوله: {**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ**}[4] فعلم من هذا أنـه- تعـالى- قـد جعـل الـبشرى لهم، فأغنى ذكر " لكم " في هذين المعرضين عن ذكره ثالثة في آية التكرار، واكتفى بحاصـل مـا تقـدم عـن تخصيصـهم بـذلك، ولم يتقـدم في سـورة آل عمـران مـا يقـوم هـذا المقـام، ولـذا صرح في آيتهـا بشـبه الجملـة المـذكور عـلى الأصـل[5] ومـما يلحـظ في دراسـة هـذه الآيـة مـا سـبقها مـن إشارته- تعالى- إلى عـد المقصـودين بـالكلام فيهـا بقولـه: {**وَيَـأْتُوكُم مِّـن فَـوْرِهِمْ**}[6]، فـاختلط

(1) آ: 126.

(2) آ: 10.

(3) آ: 7.

(4) آ: 9.

(5) درة التنزيل: 71، ملاك التأويل: 315، و=: قطف الأزهار: 638، التعبير القرآني: 68.

(6) آل عمران – آ: 125.

ذكر الطائفتين في الكلام الواحد، فجاءت بشارته- تبارك- للمهتدية منهما بضمير خطابها مسبوقاً بلام الاستحقاق[1] وقد اقتضى هذا الوضع تقديم الفاعل في جملة "الاطمئنان" التابعة لهذا الخطاب اعتناء به، ليُماز مستحقو هذه الحالة النفسية عمن ليس لهم نصيب منها[2] لضلالهم وفساد أحوالهم، وقد ذكر الغرناطي: أنّ ما عطف عليه قوله- تعالى-: {**وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ**} قد جرى على تأخير المجرور، وهو قوله: {**بُشْرَى لَكُمْ**} فوجب تأخير المجرور في المعطوف أيضاً، ليكون الكلام الثاني كالأول[3] ولما لم يقع في سورة الأنفال ما يوجب هذه التوفية، لأن شبه الجملة: " لكم " ليس موجوداً فيها، لم يجر الكلام فيها على أصل تأخير شبه الجملة الآخر: (به) عن الفاعل، بل قدم عليه مخالفة للأصل المذكور، وكان المعتمد بتحقيقه عند المخاطبين إمدادهم بالملائكة، ذلك الإمداد الذي أخبر- تعالى- بأنه لم يجعله إلا بشرى، فوجب لهذا أن يقدم " به " في الكلام على الفاعل[4]، لأنه المكوّن اللغوي المقصود بالخبر أكثر من المكونات الأخرى في الجملة التي اشتملت عليه.

ويمكن الانتفاع في توجيه ما ذكرناه بمعرفة وقت نزول الآيتين، فقد نزلت الأولى في معرض الكلام على معركة أحد التي ناب فيها المسلمين من ألم الهزيمة وشدتها ما نابهم، فلم يفصل- سبحانه- فيها بين فعل "الاطمئنان" وفاعله بشيء[5]، بل أجرى السياق- كما أسلفنا- على الأصل، ولكنه فصل في آية سورة الأنفال، وكانت قد نزلت يوم بدر، وهو يوم نصر عظيم من أيام المسلمين في صدر تاريخهم، ولذا جملت بشارتهم بما تطمئن به

(1) حروف المعاني: 40، مغني اللبيب: 208 – 223، همع الهوامع: 2/ 31.

(2) ملاك التأويل: 314 – 315.

(3) درة التنزيل: 72.

(4) قطف الأزهار: 638.

(5) قطف الأزهار: 638.

قلوبهم، وذلك بتوسيط شبه الجملة المكتنف لضمير تلك البشارة بين الفعل والفاعل[1]، فهم في معركة بدر لم يشهدوا كرباً كالكرب الذي شهدوه بعدئذ يوم أحد، حين وقع فيهم المقتل الكبير، فاتجه إليهم- سبحانه- بالخطاب الصريح لهم بشبه الجملة: (لكم) لئلا يتوهم- كما قال البقاعي- أنّ البشارة لعدوهم[2].

ولا نخلي هذا التحليل مما قيل في تفسير الاقتران الثنائي بين صفتي عزته- تعالى- وحكمته في الآيتين في معرضين نحويين مختلفين، هما: الوصف المباشر للفظ الجلالة في الآية الأولى خالياً من التوكيد، والإخبار بهما عنه في الثانية، بعد إنشاء التوكيد- كما أسلفنا- بالحرف المشبه بالفعل، فلدى المفسرين سببان في توجيه هذا الاختلاف، أولهما: كون الآية في سورة الأنفال لصيقة بأحداث يوم بدر، فكأنه- سبحانه- قد أراد القول فيها للمسلمين: ليس النصر إلا من عند اللـه العزيز الذي لا يمنع عما يريد فعله، والحكيم الذي يضع النصر في موضعه، ولهذا جاء وصفاه كالصلة لما قصده- تعالى- على نفسه من فعل كل شيء، ومن ذلك تحقيق النصر لأوليائه من المؤمنين، وقد فصّل ذلك في خبري "إنّ " جريا على الأصل في توفية معنى كل من العزة والحكمة حقه من البيان، ولما كانت الآية الأخرى نعني: آية آل عمران، كما علمنا - لصيقة بأحداث يوم أحد ، وكان البيان قد حصل قبلها في آية سورة الأنفال بما جرى التعبير عنه بما يشبه الإخبار مرتين عن النصر في يوم بدر، وهما حصر مصدر النصر في ذاته العلية- سبحانه- ووصفه -تعالى- نفسه بالعزة والحكمة، فقد اقتصر على ذكر الخبر الأول فقط في آية يوم أحد وهو حصر مصدر النصر في قبضته- عز وجل-، وأجرى عليه معنى الخبر الثاني مجرى الوصف طلباً لاختصار المعنى عن البسط، اعتماداً على ما فصل في الإخبار عن النصر في وقائع اليوم الأول، فكان الاختصار كما ذكر الغرناطي في خبر ثاني اليومين أليق، وكان

(1) قطف الأزهار: 638.

(2) نظم الدرر: 4/ 58.

ذلك الثاني له أجمل[1]، يعني: ذلك المختصر من نوعي التعبير أجمل في مقاربة وقائعه المحزنة.

أما السبب الثاني عند المفسرين لما حصل من الاختلاف بين الآيتين فهو اشتمال آية الأنفال على وعود جليلة للمسلمين أفصح عنها- سبحانه- بقوله: {**وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللـهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللـهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ * لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ**}[2] ولم يحدث الإفصاح عن مثل هذا في آية سورة آل عمران، فناسب هذا إيراد وصفي عزته وحكمته في آية الأنفال في تكوين سياقي مصدر بضميمة التوكيد[3]، وقيل أيضاً: إنه لما أكد في الأنفال- وهي الآية الأسبق في النزول- لم يحتج إلى إعادة التوكيد في آل عمران، ولهذا قيل: "العزيز الحكيم"، أي: الذي أخبركم عن عزته وحكمته في آية يوم بدر، وأنتم تواجهون النوبة الأولى من محاربة المشركين، ولم يكن أحد في يوم أحد مترددا في اللقاء، ولا هائباً له إلا ما وقع- بعدئذ- من الهم بالفشل الذي أصابكم، فعصمكم منه في الحال[4]، عصمة نفسية بذكر بشراه لكم بما تطمئن به قلوبكم من نصره القادم لكم بما انحصرمن قضائه وقدره وميقاته بين عزته وحكمته، ومن أجل هذا، أحال في الآية الثانية- وهي آية آل عمران- على الأولى بالتعريف، وكأنه قد قيل: وإنما النصر من عند اللـه العزيز الحكيم الذي قدم إعلامكم: بأن النصر من عنده، فناسب إتيان التعريف بعد التنكير[5]، وإن كنا لا نميل إلى اعتبار الألف واللام- كما أسلفنا- ضميمتي تعريف وتنكير في صدور أسمائه الحسنى وصفاته- عز وجل- لكونها

(1) درة التنزيل: 72.

(2) آ: 7 – 8.

(3) =: ملاك التأويل: 315.

(4) البقاعي: 9/ 234.

(5) قطف الأزهار: 238.

مشتقات أولاً، ولكون الاعتقاد لا يحتمل القول بالتعريف والتنكير في مضامينها، بل في ألفاظها فقط[1].

- استبدالان وزيادة:

- في سورتين:

ولدينا في الثلاثية المشار إليها عشر حالات، جاءت سبع منها في سورتين، وثلاث في ثلاث، وقد اخترنا من السبع الأولى قوله- تعالى- في سورة الأنبياء: {**وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ**}[2]، وقوله في سورة الفرقان: {**وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللهُ رَسُولاً**}[3] ومما يلحظ من الفرق بين الآيتين إظهار فاعل فعل " الرؤية " في الآية الأولى، فإن صح أنْ يُعدّ الانتقال من الإضمار إلى الإظهار زيادة، وهو زيادة ظاهرة في اللفظ كما نعلم، فهو استبدال في الوقت نفسه، حقيقته الإتيان بالاسم الموصول " الذين " فاعلاً للفعل المذكور، لأن الكلام مستأنف لا صلة له بما قبله من سياق، فالكفار الذين ذكروا في الآية لم يجر لهم في السورة أي ذكر أو خطاب يعنيهم، ويخصهم من دون غيرهم[4] قبل الآية التي بين أيدينا، وإنما تقدم على ذكرهم قوله- تعالى- قبلها: {**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ**}[5] ومثل هذه الإشارة تتجه إلى كل كافر مطلق ذي عقل،

---

(1) =: ص: 111، وفخري أحمد سليمان- رسالته للماجستير-: الاقتران الثنائي بين أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم: 64.

(2) آ: 36.

(3) آ: 41.

(4) درة التنزيل: 298، و=: أسرار التكرار في القرآن: 142، ملاك التأويل: 834.

(5) آ: 30.

سواء أكان من العرب أم من غيرهم، معاصراً للنبي- ﷺ - أو غير معاصر، ولم يقع بعد هذه الآية ما يعارض عمومها أيضاً، فلهذا تعين إظهار الفاعل، فلو قيل: {**وَإِذَا رَأَوْكَ**} لما كان بالإمكان إرجاع القصد إلا للمذكورين قبل ذلك في قوله- تعالى-: {**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا**}، وعندئذ لا يكون خاصاً بمعاصريه- عليه الصلاة والسلام- من الكفار[1] وقد وردت الإشارة إليهم في قوله- تعالى- بعد ذلك: {**أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُورًا**}[2]، أي: ألم ير الكفار في زمانك- يا محمد- القرية التي أمطرت مطر السوء، فيحذروا[3]، بيد أنّ الآية المقابلة في سورة الفرقان مسبوقة بسياق قرآني، تضمن قوله- تعالى-: {**لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً**}[4]، والمقصود هو النبي-ﷺ - والقائلون هذا القول هم معاصروه من كفار مكة، فلما تقدم ذكرهم في أقرب الكلام، فقد اكتفى بالإشارة إليهم بضميرهم حين أريدت الإشارة إليهم ثانية[5].

أما الاستبدال الثاني فموضعه التعقيب المختلف بين الآيتين، نعني: قوله- تعالى- في سورة الأنبياء: {**أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ**}[6] وقوله في سورة الفرقان:{**أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً**}[7]. والقول في الآية الأولى يناسب ما تقدمه في سياق

(1) ملاك التأويل: 835.

(2) آ: 40.

(3) درة التنزيل: 298.

(4) آ: 32.

(5) ملاك التأويل: 835.

(6) آ: 36.

(7) آ: 41.

سورته، فقد قال- سبحانه- فيها: {**أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ**}[1] وقال: {**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللهُ لَفَسَدَتَا**}[2] وقال: {**أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً**}[3] فتكرار ذكر ما ارتكبوه في اتخاذهم معبودات لا تغني عنهم هو- كما يبدوا لنا- مناط التناسب في تعقيب يشار فيه إلى ذكر الآلهة على ألسنة أولئك المشركين الذين اتخذوا تلك المعبودات من دون الله. ولوضوح هذا التناسب وضوح نظيره بين التعقيب في آية سورة الفرقان وسياق سورتها، فلما قال المشركون: {**... مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاق**}[4]، وكان الرسول بحسب ما كانوا يتصورون ما ينبغي له أنْ يكون أو تكون له كعادات البشر، فتعجبوا من هذه الحالة، واستبعدوها بما جرى من تعقيبهم عليها بقولهم: {**أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللهُ رَسُولاً**}، رد عليهم- سبحانه- هذا الوهم بقوله: {**وَما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ**}[5].

في ثلاث سور:

ونعني: ثلاثية الاستبدالين والزيادة الواحدة في حالة من الحالات الثلاث اللواتي ألمحنا إليها في ثلاث سور[6] فنحن نختار منهن في هذا المقام قوله- تعالى- في سورة الأنعام: {**وَقَالُواْ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ**}[7] وقوله في سورة المؤمنون: {**إِنْ هِيَ**

(1) آ: 21.

(2) آ: 22.

(3) آ: 24.

(4) آ: 7.

(5) آ: 20، و =: ملاك التأويل: 836.

(6) آ: = ص 167، آنفاً.

(7) آ: 29.

إلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ}[1] وقوله في سورة الجاثية: {**مَا هِيَ إلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إلا الدَّهْرُ}**[2] ولا يخفى مجيء " إن " وما بعدها في الآية الأولى مقول قول للفعل الذي يمكن أن يكون في المظنون لدينا مادة الزيادة الواحدة في هذه الحالة، وما عداه في الآيات كلها مادة الاستبدالين اللذين يتعين علينا دراستهما وفق ما جرينا عليه من "التدريج " في معالجات سابقة كنا قد عرضنا فيها لدراسة أكثر من آيتين في مقام واحد[3]، وقد آثرنا ألا نعد "ما " في صدر الآية الثالثة تحويلاً. ما دامت حرف نفي يقابل "إن" في ما تدل عليه من معنى "ليس"، وما دامت تستعمل مثلها في نفي الجملتين الاسمية والفعلية[4]، بيد أنها أقل تأكيداً منها، لما تكسبه "إن " بكثرة اقترانها بـ"إلا " من قوة القصر وأكادة أسلوبه [5]، وإنما يكون الإخبار بالنفي والإثبات لأمر ينكره المخاطب، ويشك فيه[6]، ومما يدل على أنها أقوى توكيداً من "ما" استعمالاتها القرآنية في ما يتطلب زيادة توكيد في النفي، كالموضع الذي نحن بصدده [7].

أما الآيتان الأولى والثانية فقد صدرتا بـ"إنْ " وجاءت الأولى منهما في سياق تكرر فيه النفي بالأداة المذكورة نفسها، قال- تعالى-: {**يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**}[8]، وقال: {**وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**}[9]، ومعنى هذا: أنّ الآية التي بين

---

(1) آ: 37.

(2) آ: 24.

(3) =: ص: 107، 152، آنفاً.

(4) مغني اللبيب: 1/ 33، و=: الجني الداني: 323.

(5) معاني النحو: 4/ 576.

(6) دلائل الإعجاز: 332.

(7) معاني النحو: 4/ 576 - 577.

(8) آ: 25.

(9) آ: 26.

أيدينا جارية مجرى هاتين الآيتين في التصدير ب- " إن " فضلاً عن مجيئها في سياق ما صور به الباري- عز وجل- مشهداً أخرويا، قال في الكلام عليه: {**وَلَوْ تَرَىَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ....**}[1]، فعندما ذكر- سبحانه- قولهم هذا صدره بالأداة الأقوى نفياً، ليبين لهم ضعف ما قالوه وتفاهته، فهم سيبعثون للحساب بعد أن يحييهم مرة أخرى، "فكأنه قد قيل لهم- كما ذكر الغرناطي-: إنكم كنتم تنكرون البعث ووجود هذه الحياة الأخروية"[2] أما التكذيب المشار إليه في آية سورة " المؤمنون " فهو أقوى من "التكذيب" المذكور في الآيتين الأولى والثالثة، لأن آيته واردة في سياق ما ذكره- تعالى- من تكذيب الكفار لرسلهم، ومجادلتهم إياهم في صدقهم وإغرائهم سفهاءهم بهم، كما سخروا من الوعد بالحياة الآخرة، واستبعدوها استبعاداً مؤكداً[3]، وقالوا: {**مَا هَذَا إِلا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ * أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ * هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ**}[4] فكان طبيعياً- على حد ما قال السامرائي-: "أن يكون إنكارهم أشد وأكد مما ذكر في سورة الجاثية، ولذا جاء بإن وإلا، وهو المناسب للسياق"[5] وقد تلا الآية نفسها في سورة المؤمنون قولهم: {**إِنْ هُوَ إِلا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا...**}[6] بالتصدير نفسه، ليناسب بعض السياق بعضاً، ومما يحسن إيضاحه في

---

(1) آ: 27.

(2) ملاك التأويل: 443.

(3) التعبير القرآني: 132 - 133، و= معاني النحو: 4/ 578.

(4) المؤمنون- آ: 33 – 36.

(5) التعبير القرآني: 138، و= معاني النحو: 4/ 579.

(6) آ: 38.

الآيات الثلاث بغير أسلوب الوصف، إكمالاً لما نحن بصدده فيهن من الاستبدالين والزيادة الواحدة ما نراه في المعرض الآتي:

الأنعام	... إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا	الدُّنْيَا	ـــــ	وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ
المؤمنون	... إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا	الدُّنْيَا	نَمُوتُ وَنَحْيَا	وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ
الجاثية	... مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا	الدُّنْيَا	نَمُوتُ وَنَحْيَا	وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ

فإذا عددنا ما حدث في آية سورة الجاثية استبدالاً، فهو الاستبدال الآخر الذي عنيناه في عنوان الفصلة كلها بعد استبدال "ما وإن " الذي قضينا الكلام عليه آنفاً ولكن ما حدث في هذا الاستبدال قد لابس حذفاً واستبدالين واضحين في الآية الثالثة لمقصد قرآني خاص في موضعه، ولمقاصد قرآنية خاصة في الآيات الثلاث، يمكن فهمها باستحضار مواردها في سورها، فإذا كانت الآية في سورة الأنعام حكاية لما كان سيقوله أولئك المكذبون لو ردوا بعد معاينة القيامة، فإن ما ورد في السورتين الأخريين حكاية لما سبق أن قالوه في حياتهم الدنيا [1] والفرق كبير بين الحالتين ومن أجله حدث الاستبدال في الآية الثانية، وهو شطر في الحذف الملابس للحذف والاستبدال في الآية الثالثة.

- استبدالان وزيادتان:

- في سورة واحدة:

ولدينا من الرباعية المشار إليها ثلاث حالات جاءت إحداهن في سورة واحدة، والأخريات في اثنين، والأولى قوله- تعالى- في سورة التوبة: {**فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...**}[2] وقوله فيها أيضاً: {**وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا**

(1) قطف الأزهار: 865.

(2) آ: 55.

يُرِيدُ اللـهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا..}[1] والأولى من هاتين الآيتين هي وعاء الزيـادتين، نعنـي: هـي زيادة "لا " النافية المكررة، والتصريح بمفردة " الحيـاة " موصـوفة بصـفتها الشـائعة المعروفـة قبالـة الاكتفاء بهذه الصفة وحدها دون موصوفتها في الآية الثانية ويمكن أن يعزى التصريح المذكور إلى مـا في الآية الأولى من التوكيد الذي خلت منه الآية الثانية[2]، أو لمجـيء الموصـوفة وصـفتها في المتقدمـة من الآيتين في سورتها، وبالصفة وحـدها في المتـأخرة مـنهما فيهـا[3]، ومـن المفسريـن مـن ردّ الوضـع المذكور في الآية الأولى إلى كونها في مجملها ذكرا لحال المتحدث عنهم فيهـا في حيـاتهم الـدنيا وكـون الثانية خبرا عنهم بعد زوالهم[4]، وعلى هذا يكـون التركيبـان واردیـن في فـريقين مـن المنـافقين، لا في فريق واحد، فحسن التكرار الـذي تضـمن مبالغـة في التحـذير مـن الاشـتغال بالـدنيا التـي مثلهـا - سبحانه- بالأموال والأولاد[5].

أما الاستبدالان فهما المعاكسة في ذكر بعض المكونات اللغوية في الآيتين، مـما يمكـن إيضـاحه بالمعرض الآتي:

التوبة- 55	ف	وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ	و	لا	أَوْلاَدُهُمْ	إِنَّمَا يُرِيدُ اللـهُ	لـ	يُعَذِّبَهُم بِهَافِي	الْحَيَاةِ	الدُّنْيَا
..- 85	و	وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ	و	ـ	أَوْلاَدُهُمْ	إِنَّمَا يُرِيدُ اللـهُ	أن	يُعَذِّبَهُم بِهَافِي	ـــ	الدُّنْيَا

وقد جيء بالفاء لكون آياتها آتية من السورة بعد قولـه- تعـالى-: {**وَمَـا مَـنَعَهُمْ أَن تُقْبَـلَ مِـنْهُمْ نَفَقَـاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُـمْ كَفَـرُواْ بِاللـــهِ وَبِرَسُـولِهِ وَلاَ يَـأْتُونَ الصَّـلاَةَ إِلاَّ وَهُـمْ كُسَـالَى وَلاَ يُنفِقُـونَ إِلاَّ وَهُـمْ كَارِهُونَ**}[6] كما تتضمن هذه الفاء معنى الجزاء، والفعلان اللذان قبلها في الآية المذكورة: (تُقْبَلَ// يَأْتُونَ)

---

(3) آ: 85.

(4) ملاك التأويل: 596.

(5) درة التنزيل: 200، و=: غرائب القرآن: 10/ 143، قطف الأزهار: 1156.

(6) ابن عاشور: 10/ 287.

(5) الرازي: 16/ 155، و = غرائب القرآن: 10/ 143.

(6) آ: 54.

مستقبلان يتضمنان معنى الشرط[1]، فكأنه قد قيل: ((إذا عرفت أحوالهم فلا تغتر بما لديهم، فتظن أنّ ما مكناهم فيه، ومنحناهم إياه من مال وولد إحسان فعلناه لهم))[2]، وعلى هذا يكون التركيب مسبباً عما قبله ومرتبطاً به بالفاء[3]، وليس مثيله في الآية الثانية متعلقاً بأي شيء قبله[4] إلا بالعطف المعتاد على قوله- تعالى-:{**وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ**}[5]، والأفعال في هذه الآية منقطعة، ليس فيها ما يمكن أنْ يعد شرطاً، يعقب عليه بالفاء ولهذا جرى العطف فيها بالواو، لبطلان المعنى الذي يقتضي الفاء[6] وقد جمعت صلة العطف بالواو نهياً على نهي[7] في الآيتين، وسيستمر النهي في الآية الأولى بتكرار "لا " قبل ذكر الأولاد أيضاً، فلما تعلق النهي الآخر فيها بالنهي الأول فهو داخل معه في إطار دلالة الشرط الذي تصدر الآية كلها بالفاء وناسبه التوكيد بتكرار أداة النهي، وهذا أكد ما تبنى عليه الأخبار في العادة من الإيجاب بعد النفي[8]، وفي تكرار " لا " مناسبة لما في قوله- تعالى-: {**إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ**}[9] من التوكيد بالحصر، وليس في الآية الثانية أي شيء مما ذكرناه، نعني: من دلالة الشرط والجزاء والتوكيد المقتضي لتكرار ضمائم التوكيد[10].

---

(1) درة التنزيل: 299، و=: أسرار التكرار في القرآن: 97، فتح الرحمن: 1/ 605.

(2) ملاك التأويل: 564.

(3) قطف الأزهار: 567.

(4) الرازي: 16: 154، و=: غرائب القرآن: 10/ 142.

(5) آ: 84.

(6) درة التنزيل: 199، و=: أسرار التكرار: 97، فتح الرحمن: 2/ 607.

(7) أبو حيان: 5/ 82.

(8) درة التنزيل: 199، ملاك التأويل: 595، و=: أسرار التكرار: 97، غرائب القرآن: 10/ 143.

(9) آ: 54.

(10) =: درة التنزيل: 199، ملاك التأويل: 595.

هذا توجيه، وثمة توجيه آخر، يجعلنا نحتمل ذكر " الأولاد " في الآية الأولى تكملة لذكر " الأموال " التي هي المناط الأول في ذم أولئك المنافقين، فهم لم ينتفعوا بأموالهم، وجيء بذكر الأولاد مناطا ثانيا لذمهم، وقد أعطي هذا المناط الثاني في سياق الآية حالة من حالات الاستقلال بتكرار " لا "، كيما يعطف تركيب مستقل كامل على ما يناظره من الاستقلال والكمال، بخلاف التحقير الجامع لأموال أولئك وأولادهم في سياق الآية الثانية لدى المسلمين[1] الذين لم يكونوا ليعجبوا بأي منهما في حوزة أولئك المنافقين المذمومين.

أما " أن " الناصبة المصدرية الظاهرة قبل فعل " التعذيب " في الآية الثانية فهي معادلة لنظيرتها عند النحاة، فقد درجوا على تقديرها بعد لام التعليل في مثل قوله- تعالى -: **{ليعذبهم}** في الآية الأولى، وللغرناطي في هذا الاستبدال وجهة نظر ألمح فيها إلى تعجيل العذاب لأولئك بما لا تدل عليه لام " كي"- كما سماها- من التراخي[2]، فضلاً عن كون " أن " غير ظاهرة اللفظ في معرض اتصالها المباشر بالفعل، بخلاف " أن " الظاهرة في الآية الأخرى، فليس فيها من التأكيد ما في " اللام " لأن ظهورها يعطي تراخيها ومهلة لوقوع ما بعدها، وربما كان ذلك من قدرة " أن " على قطع زمن الفعل المضارع للاستقبال[3]. ولما كان التركيب الأول مقولا في فئة غير الفئة المرادة في التركيب الآخر[4]، وهي لدى الإسكافي الأحياء لا الأموات، فقد وصل الباري- عز وجل- إرادة تعذيبه لهم باللام، ليعلم أنه يزيد من نعمائه بالأموال والأولاد، ليعذبهم بها في حياتهم الدنيا[5]، أو يريد

---

(1) ابن عاشور: 10/ 187.

(2) ملاك التأويل: 596.

(3) المقتضب: 30/2، و=: ملاك التأول :596، معاني النحو: 3/ 326، 328.

(4) أسرار التكرار في القرآن :98، و=: النسفي: 2/ 244.

(5) درة التنزيل: 200.

ابتلاءهم بالأموال والأولاد ليعذبهم[1] في وقت متعتهم بها، وعلى هذا التقدير يكون مفعول فعل " الإرادة "- وهو الابتلاء بالأموال والأولاد- محذوفاً. بيد أن الفئة المذكورة في الآية الثانية ليست مقصودة بالتعذيب في حياتها الدنيا، لكونها قد ماتت على الكفر، فآيتها في القرآن خبر عنها ليس إلا، أخبر- سبحانه- فيه عما أراده لهم من الزيادة في نعمائهم لانقطاع تلكم الزيادة بالموت عنهم، فعُدّي فعل " الإرادة " فيه، إلى ما آل إليه حالهم من تعذيبهم، وبعبارة أخرى: أنه قد أراد في حال إنعامه عليهم تعذيبهم بذلك في الدنيا، ولكن دنياهم كانت قد انقطعت عنهم، فجاءت الآية خبرا عن انقطاع أعمالهم وبلوغ نعمته- تعالى- عليهم غاية لا مزيد فيها لهم، وهو يريد تعذيبهم بذلك بعد كفلاهم وإقامتهم على النفاق، وقد وجدنا من المفسرين من سوّى بين التركيبين، وذلك بتقدير "أن " بعد اللام في الآية الأولى[2]، وعزى ابن عاشور الاستبدال الحاصل بين الآيتين إلى ما سماه " تفنن " القرآن الكريم في الاستعمال[3]، وأكد به الرازي (ت606): أن التعليل في أحكام الله- تعالى- محال، فحيثما ورد حرف التعليل في معارض الأحكام الإلهية فمعناه "أن"[4]، واحتمل أبو حيان كون اللام في الأول زائدة[5]، والله اعلم.

- في سورتين:

نعني: من رباعية التحويلين والزيادتين، قال- تعالى- في سورة القصص:{**وما اوتيتم من شيء فمتاع الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون**}[6] وقوله في سورة

---

(1) أبو حيان: 5/ 82.

(2) الرازي: 16/ 155.

(3) ابن عاشور: 10/ 87.

(4) التفسير الكبير: 155/16، و=: غرائب القرآن: 10/ 143.

(5) البحر المحيط: 5/ 82.

(6) آ: 60.

الشورى: {**فما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون**} [1] ويمكن ان نعد الواو والفاء التحويل الأول في صدر الآيتين وقد ردّ الإسكافي إختيار الواو في صدر الآية الأولى إلى مجيئها بعد قوله: {**وما كنا مهلكي القرى واهلها ظالمون**} [2]، وقال " ثم خاطب- سبحانه- الذين أوعدهم بمثل ما أهلك به قبلهم، بأنّه ليس لهم فيما يؤتونه في الدنيا عوض عما يفوتهم في الآخرة لأن جميع ذلك لا ينفك أن يكون مما تنتفعون به انتفاعا منقطعا، وإن تطاول أمده، أو تتزينون به، فجميع أغراض الدنيا مستوعب بهذين اللفظين،- يعني: المتعة والزينة- مما لا يستغني عنه الحي من مأكول ومشروب وملبوس ومنكوح، ويرى العاقل المتعة به قليية وإن كانت طويلة لانقطاعها بالموت وانتهائها إلى حسرة الفوت، وأما ما لا حاجة به إليه من فضول العيش، مما يتزين به من الملابس الفاخرة والآلات الحسنة والدور المرموقة المنجدة والخيل والبغال والحمير ما ركب منها للحاجة إليه، وما أتخذه زينة يتجمل عند الاكفاء بها، فما كان محتاجاً إليه فهو متاع أيام قليلة، وما فضل عن ذلك فهو ما يقتنى لعدة وزينة، والدليل على أن الخطاب خارج على هؤلاء، وإن صلح عظة لجميع الناس التفضيل الذي جاء بعده في قوله- تعالى-: {**أمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين**}[3] أي: يحضرون العقاب، لتقدم ذكر من يعطي الثواب، فلم يكن لعطف هذه الجملة على الجملة المتقدمة غير الواو، إذ لا معنى ها هنا لأي معنى من معاني الفاء))[4]، وهي معروفة لدينا في كتب حروف

---

(1) آ: 36.

(2) آ:

(3) الشورى آ:

(4) درة التنزيل: 343- 344.

المعاني[1] ويكفي ما أخذناه آنفا من كلام الإسكافي في الأعم الأغلب في إيضاح حقيقة التحويل الذي جرى في صدر الآية الأولى مقابلة بصدر الآية الأخرى، وسنرى أنّ التحويل الآخر قد وقع في آخر الآيتين مما نؤثر إيضاحه بالمعرض الآتي:

القصص	و	ما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا	وزينتها	وما عند اللـه خير وأبقى	ـــــ	أفلا تعقلون
الشورى	و	ماأوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا	ـــ	وما عند اللـه خير وأبقى	للذين آمنوا	وعلى ربهم يتوكلون

وقد ضم هذا التحويل إنتهاء التعقيب في الآية الآولى بقوله- تعالى- {أفلا تعقلون} بعد مجهول، أفصحت عنه الآية الأخرى أفصاحا كاملا بقوله- تعالى-: {للذين آمنوا} وكانت هذه الإفصاحية مادة الزيادة في سيلق الآية الثانية قبالة زيادة أشتملت عليها الآية الأولى بإشارتها إلى الزينة بعد المتاع، وقد جائت هذه الإشارة في آية سورة القصص، لأن سورتها قد تضمنت ذكر قارون وما آتاه اللـه من المال زينة في حياته الدنيا، قال- تعالى- **{وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة إولي القوة}** [2] حتى قوله على لسان الغافل عن آخرته في دنياه غير عالم بما أعده اللـه فيها لعباده المؤمنين: **{ياليت لنا مثل ما آتي قارون}**[3] قصد به- سبحانه- العبرة للمعتبرين من عباده المؤمنين والتنبيه للغافلين، كيما، تحصل السلامة سعداء ممن عصمهم عما إبتلاه به بدلالة قوله في الآية المذكورة: **{وما آوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند اللـه خير وأبقى}** وأراد خير وأبقى لهم عنده- عز وجل- إشارة إلى غرور الحياة الدنيا وزينتها إلى آخرة هي دار القرار[4]، ودار الجزاء الأوفي للعباد كلهم بأعمالهم وموازينهم، وبعد تحذير المؤمنين منهم بمضمون قصة قارون، إلتحمت الآية بقصته المذكورة التي قيل فيها:

---

(1) =: حروف المعاني: 16، مغني اللبيب: 1/ 117، الجنى الداني 426.

(2) آ: 76.

(3) آ: 79.

(4) درة التنزيل: 344.

{فخرج على قومه في زينة}[1] فناسب هذا كله ذكر "الزينة" في سياق الآية ولاءمه[2]، ولم يقع منه شيء من هذا في آية سورة الشورى، فليس فيها ذكر للزينة، ولم يقصد فيها الإستيعاب، بل الإقتصار ما هو مطلوب العباد من النجاة والأمن في الحياة[3]، كما لم يرد فيها ولا في سورتها من أولها إلى آخرها ذكر مبسوط لأي حال دنيوي لأحد من الناس، فكل ما فيها أذكار لحقارة الدنيا ونزارة رزقها المقدور غيرالمبسوط، قال- تعالى-: **{ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء}**[4]، ولما لم يقع في السورة المذكورة ما يستدعي الزينة المالية، فإنها ل متذكر[5] في الآية التي تتمتها منها.

أما قوله-عز وجل- في آخر الآية الأولى: **{أفلا تعقلون}** فهو ملتحم أوضح التحام بما اتصل به من قوله: **{أفمن وعدنا وعدا حسنا فهو لاقيه كما متعناه متاع الحياة الدنيا ثم يوم القيامة من المحضرين}**[6] فكأنه قد قيل بعد قوله- عز وجل-: **{وما عند الله خير وأبقى}**: أفلا تعقلون ما بين الأمرين، ثم أخبر- سبحانه- بقوله: **{أفلا تعقلون}** من تمام ما قبله[7]، ولما كانت الآية في سورة الشورى مسبوقة بالآيات المبينة على ذكر التخويف، مثل قوله- عز وجل- **{وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ * يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ**

---

(1) القصص آ: 79.

(2) ملاك التأويل: 909.

(3) أسرار التكرار في القرآن: 161.

(4) آ: 27.

(5) ملاك التاويل: 908- 909.

(6) القصص آ: 16.

(7) ملاك التأويل: 909.

مِنْهَا...}[1]، وقوله: {**ألا الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد)**[2] **وقوله، (ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم}**[3]، فقد ناسب هذا المقدم من ذكر التخويف ماينبئ المؤمنون المستجيبين بأصناف قوله: {**وما عند الله خير وأبقى**} بقوله- تعالى-: {**للذين آمنوا**}، أي: صدقوا بكل هذا وعولوا على انفراده- سبحانه- بالخلق والأمر، فتوكلوا عليه ولا يخفى ما أوضحه هذا العرض من أعجاز التعقيب على كل من آيتي التكرار الذي درسناه فيهما بما يناسبها[4].

- ثلاثة استبدالات وزيادتان وتقديم وتأخير:

- في سورتين:

ونحن لا تملك في هذه السداسية غير حالتين وقعت كل منهما في سورتين، ونذكرهما بما سبق أن قلناه من إعتبار التقديم والتأخير مظهرا واحدا[5] ليصبح الوصف لدينا في هذا المقام ياتي الحالة التي سندرسها ذات نسق سداسي من التعبير الحاصلة فيها في معرض التكار الذي دخلت فيه مع نظيرتها القرآنية، وهما قوله- تعالى- في سورة يونس: {**وما يعزب عن ربك مثقال ذرة من الآرض وى في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين**}[6]، وقال في سورة سبأ: {**عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر**

---

(1) آ: 17 - 18.

(2) آ: 18.

(3) آ: 22.

(4) ملاك التأويل: 909- 910

(5) ص: 144، 159، 163، آنفاً.

(6) آ: 61.

من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين}[1] وقد وقع التحويل الأول بين ضميمتي النفي: " ما " و"لا" في الآيتين، ولكل منها معنى مطلوب في أسرار العبارة القرانية، مما لا يخفى على المستكنه والدارس يجدان ما يوحد المعنى بينهما أكثر في أقوال شراح حروف المعاني من النحاة[2]، ولعل في مجيء داعية أسلوبية قرآنية لهذا التغيير، وربما كان ذلك المغايرة وتنويع الاستعمال في أنساق المكررات القرآنية على نحو ما فهمناه من كلام أبن عاشور لقوله- تعالى-: {**فلا تعجبك أموالهم....**} وقوله: {**ولا تعجبك أموالهم....**} كما عرضنا في موضع سابق[3]، ولما كانت الآية الأولى خطابا إلهيا للنبي ﷺفقد جرى التصريح فيها بلفظ "الرب" مضافا إلى كاف المخاطب خلافا لما يقابله في الآية الأخرى، وفيها من أساليب القرآن الإشارة إليه- تعالى- بضمير الغائب بعد أن استهلت الآية بوصفه العظيم: "عالم الغيب"، ووقع التحويل الثالث في لفظ "السماء" مفرداً في الآية الأولى، وجمعا في الآية الثانية، وقد سلفت لنا إشارة إلى شيء من هذا القبيل في تحليل لاحق لمثال من أمثلة التكرار في القرآن الكريم[4]، ولا نريد الإطالة به في هذا المقام، وحسبنا منه الإشارة إليه كيما نفرغ إلى بقية ما حدث في الحالة التي بين أيدينا من التقديم والتأخير والزيادة بين آيتيها الكريمتين.

أما التقديم، فهو تقديم ذكر "الأرض" على ذكر "السماء" مفردة في الآية الأولى، وتقديم ذكر "السموات" جمعا في الآية الثانية، ونحن لم نجد في ما قرأناه من التفسير أية إشارة إلى تأويل ما حدث ونظن: أنّ لذلك علاقة بطبيعة كل من الآيتين وحين تكون الأولى خطابا إلهيا للنبي ص في الأرض، فقد أشير إليه فيها بأن ربه عالم بكل خفايا الأرض التي يضطرب عليها، فهي ليست بعيدة عنه- سبحانه- لأنها جزء ضئيل من ملكوته العظيم،

---

(1) آ: 3.

(2) مغني اللبيب: 144، 303، رصف المباني: 258، 313.

(3) =: 174، آنفا.

(4) =: 181، آنفا.

يعلم فيها دبيب النملة على الصخرة الجرداء، بل الظاهر والمكشوف من الأحداث والوقائع الجارية على أديمها ليل نار، وما ذلك إلا من تمام علمه العظيم الذي لا حدود له، فهو كما أخبر عن ذاته- تبارك وتعالى- في الآية الأخرى- عالم الغيب، وإذا كانت السموات أقرب ملكوته إليه بحسب ما تظن الظنون، فإنها أولى لديه بالذكر المقدم من "الأرض"، وهذا هو ما حدث في آية سورة سبأ، ومع هذا فقد علل الإسكافي تقديم ذكر "السماء" على ذكر "الأرض" في الآية المذكورة بقوله: "قدم ذكر" السموات "على ذكر "الأرض" في سورة سبأ لأن الآية مبنية على مفتتح السورة وهو: {**الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة**}[1]، فقدم ذكر السموات لأن ملكها أعظم شأنا واكبر سلطانا، وكذلك الآية التي بعدها في سورتها... وأما التي في سورة يونس فإنها جاءت عقيب قوله: {**وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء...**}[2] فكان القصد إلى علمه بما يتصرف فيه العباد من خير أو شر، وذلك في الأرض/ فأتمه بقوله: (وما يعزب عن ربك مثقال ذرة في الأرض) واستوعب جميع ما في الأرض، ثم أتبعه بذكر السماء لأن الابتداء وقع بما يتعلق بها، وما يعمل العباد فيها فلذلك قدمت "الأرض "عليها" [3] أما الزيادتين في الآيتين، فقد وقعت إحداهما في الآية الأولى، والثانية في الآية الثانية، وهي قوله- تعالى- في وصف ذاته العلية: (عالم الغيب) فكانت توطئة لإتيانه- سبحانه- بالضمير في " عنه " أشارة إلى ذاته العلية غيابا، ولكن لا كالغياب الذي نفهمه في تصورنا البشري المحدود وتقديمه ذكر " السموات" على ذكر الأرض، بوصفين جميعا من مجالات عمله المطلق بكل شيء، بسب ما علمناه، وعلله الإسكافي من قبل، وقد وقعت زيادة "من" الأولى قبل "مثقال" في آية سورة

(1) آ: 1.

(2) آ: 61.

(3) درة التنزيل: 86.

يونس لعلة عرضها الغرناطي قبل أن ينقل نصا يعضد به وجهة نظره من كلام سيبويه ومن قوله: "إن آية سورة يونس مقصود فيها من تأكيد الاستيفاء والاستغراق ما لم يقصد في الأخريين إلى ذاته العلية غيابا ولكن لا كالغياب الذي نفهمه في تصورنا البشري المحدود، وتقديمه ذكر "السماوات" على ذكر الأرض، بوصفهن جميعا من مجالات علمه المطلق بكل شيء، بحسب ما عللناه، وعلله الإسكافي من قبل، وقد وقعت زيادة" من "الأولى قيل "مثقال" في آية سورة يونس لعلة عرضها الغرناطي قبل أنْ ينقل نصاً يعضد به وجهة نظره من كلام سيبويه، ومعنى قوله: إن آية يونس مقصود فيها من تأكيد الاستيفاء والاستغراق ما لم يقصد في الأخريين، وان كان العموم مرادا في الجميع، إلا أن آية يونس قصت بزيادة التأكيد، ولذلك تكررت فيها مع ما قبلها (ما) النافية المتلقى بها القسم في قوله: {**وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا**}[1]، فقوي بذلك قصد تأكيد الاستغراق وتضمين الكلام معنى القسم فقال- تعالى-: (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة) بزيادة (من) في الفاعل، وهي مقتضية معنى الاستغراق في مثل هذا، وبناؤها على (ما) المتلقي بها القسم يفهم ما قلناه من معنى القسم وتأكيد الاستغراق بل أقول إن (من) في مثل هذا نص في ذلك[2]، وقد استخلص من كلام سيبويه- كما أسلفنا- خلاصة لوجهة نظره في معنى (من) في الآية التي عرض لها، فقال: " قال سيبويه- رحمه الله (إذا قلت: ما أتاني رجل فانه يحتمل ثلاثة معان: أحدها: أن تريد انه ما أتاك رجل واحد بل أتاك أكثر من واحد، والثاني: ما أتاك رجل في قوته ونفاذه بل أتاك الضعفاء، والثالث أنْ تريد: ما أتاك رجل ولا أكثر من ذلك، فان قلت: ما أتاني من

(1) يونس- آ: 61.

(2) ملاك التأويل: 626- 627.

رجل كان نفيا لذلك كله)[1] هذا معنى كلامه والحاصل منه أن (من) في سياق النفي تعم وتستغرق"[2].

- ثلاث استبدالات وحذف:

- في سورتين:

ولدينا في هذه الرباعية حالة واحدة وقعت في سورتين، قال- تعالى في سورة آل عمران: {**وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين**}[3] وقال في سورة الحديد: {**سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله**}[4]، وحسبنا الإشارة الخاطفة في هذا المدخل إلى حذف الواو في صدر الآية الثانية، كيما نفرغ لدراسة التحويلات الثلاثة التي وقعت في هاتين الآيتين، وكان ابن عامر (ت 118) ونافع (ت 169) من السبعة اختارا القراءة على الاستئناف بلا واو، وقرأت البقية بها عطفا على ما قبل الآية في سياق السورة[5]، والملحوظ أن فعل "المسارعة" في الآية الأولى خطاب متجه به إلى المتقين المذكورين فيها، وفعل "المسابقة" في الآية الثانية خطاب متجه إلى الموصوفين بأنهم آمنوا بالله ورسله، وليس ثمة فرق في الحقيقة المشتركة بين الفئتين، كالفرق بين مفهوم كل من "المسارعة والمسابقة"، ومعنى هذا: أنّ الآيتين مستهدتان بتحويل مفهومي وسنرى فيهما متهيئان لتحويل تركيبي، فالمسارعة: المبادرة[6]، والمسابقة:

(1) =: الكتاب: 1/ 37.

(2) ملاك التأويل: 627.

(3) آ: 133.

(4) آ: 21.

(5) =: أبو حيان: 3/ 57، و =: السبعة في القراءات: 316، معجم القراءات القرانية: 66/2.

(6) =: مادتها في لسان العرب: 10/ 15.

القُدمة في الجري وفي كل شيء[1]، والسرعة مقدمة السبقة والوسيلة له، فالإنسان إنما يسرع من اجل الحصول الوشيك على المطلب، والتفسير في قول أبن أحمر:

ألا لا أَرَى هـــــــــذا المُسرِعَ سَـــــــــابِقاً ولا أحَـــــداً يَرجُـــــو البَقيـــــةَ باقيـــــا[2]

وقد أمر القرآن الكريم بالسرعة أولا، ثم بين كيفيتها ثانيا، وكأنه قد قال: سارعوا إلى الطاعة مسارعة المسابقين لأقرانهم في المضمار[3] ومما تلطف الإشارة إليه في هذا المقام أننا قد عددنا ما حدث في ما نحن بصدده من التحويل: "تحويلا محضا"، لا حذفا داعيا إلى تضييق الحالة كلها، وكأنها متضمنة "تحويلين وحذفين" مقيمين هذا التصور كله على نفي ما يرى في حرف "كاف التشبيه" من استدعاء لمثل التصنيف الجديد الذي ألمحنا إليه، وهو في حقيقته، وكان البقاعي (ت 885) قد عرض كلاما طيبا على التحويل الثالث في الآيتين، نعني: (عرضها السموات// كعرض السماء) بما صوره بين الفرق بين المسارعة والمسابقة، فما دامت " الجنة " هي الغاية عند المؤمنين فكأنها المقول في الآية الثانية لطالبيها: " افعلوا في السعي بالأعمال الصالحة حق السعي فعل من يسابق شخصا، فهو بسعى ويجتهد غاية الاجتهاد في سبقه، ولكن ربما كان ذلك القرين بطيئا بسير الهوينا، والمسارعة لا تكون إلا بجهد النفس من الجانبين مع السرعة في العرف، فالآية في سورة آل عمران آمرة بالمسارعة، وهي أخص في المسابقة وأبلغ، لأنها للحث على التجرد عن النفس والمال وجميع الحظوظ أصلاً ورأساً، ولذلك كانت جنتها للمتقين الموصوفين، بيد أن الآية الأخرى آمرة بالمسابقة في سياق التصديق وهو التجرد عن فضول الأموال، ولذلك كانت جنتها للذين آمنوا..."[4]، ولما كان السياق في الآية الثانية، كما بينه- رحمه الله- للتجرد عن فضول الأموال فقط، لأن الموعود به فيها دون ما في نظيرتها، فقد أفرد فيها ذكر "السماء" وصرح بذكر" العرض " بعد أن

(1) =: مادتها في: م. ن: 12/ 116.

(2) =: شعر عمرو بن أحمر :169.

(3) الزمخشري: 4/ 479، الرازي: 9/ 4، 29/ 234.

(4) نظم الدرر: 19/ 291- 292.

ذكرت "السماوات" جمعاً في الآية الأولى، بقصد احتمال أقصى أبعاد السعة، وعنى: احتمال طول السماوات واتصال بعضها ببعض جميعا، والأرض على هيئتها، وربما كان ذلك- كما شرحه، أو كما صور به: عرض الجنة التي وعد بها المسارعون إلى مغفرة اللـه- سبحانه- لهم على تقدير: "أن تمد كل واحدة من تلكم السماوات، ويوصل رأسي كل قدّة برأس الأخرى، وتمتد جميع القدّات إلى نهايتها على مثل الشراك"[1] لتمثل لنا عرض الجنة المأمولة لدى أولئك المسارعين إلى مغفرة اللـه.

ومما تلطف الإشارة إليه في هذا المقام، أننا قد عددنا ما حدث في بنية ما نحن بصدده من الاستبدال: "استبدالا محضاً"، لا حذفاً داعياً إلى تضييق الحالة كلها، وكأنها متضمنة استبدالين وحذفين، "مقيمين هذا التصور كله على نفي ما يرى في حرف "كاف التشبيه" من استدعاء لمثل التصنيف الجديد الذي ألمحنا إليه، وهو في حقيقته حذف مستغرق بإضافة "العرض " إلى " السماء " مقابل تركيب الجملة الاسمية: (عرضها السموات) في الآية الأولى، وهذا أقوى في تلقيب الحالة بما لقبناها به في فاتحة الدرس، الحذف وقد أشير في تفسير المعنى أيضا إلى: أن "السماء" أعرض من "السماوات" بدليل الاستعمال القرآني لكل من المفردتين، فالقرآن عادة ما يستعمل لفظ "السماء" مفرداً بقصد كونها واحدة "السماوات"، أو بقصد كل ما علا من سماء أو سحاب أو جو أو سقف[2]، ولهذا السبب وعلى هذا النحو استعملت في وصف "الجنة" التي أعدت للذين آمنوا باللـه ورسله، والإيمان صفة للأغلبية من غير اشتراط لتقواهم، واستعملت "السموات" مجموعة في وصف "الجنة" التي أعدت للمتقين، وهم الخاصة التي زادت التقوى على الإيمان[3] فناسب كل من المفرد والجمع موضعه، وذلك باشتمال الآية الثانية على خطاب المسابقة التي

(1) م. ن: 19/ 293.

(2) الإتقان: 2/ 299- 300، بدائع الفوائد 2/ 115- 117، و=: التعبير القرآني: 42.

(3) التعبير القرآني: 43.

تعني: السرعة وزيادة، مناسبة لذكر" السماء واحدة "السماوات"، ولذكر "الإيمان" بوصفه أوسع من التقوى.

- ثلاثة استبدالات وزيادة:

- في سورتين:

ولدينا من هذه الرباعية خمس حالات، وقعت كل منها في سورتين وسنكتفي بواحدة منها، وهي، قوله- تعالى- في سورة البقرة: {**قولوا آمنا بالله وماأنزل الينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون**}[1]، وقوله في سورة آل عمران: {**قل آمنا بالله وماأنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون**}[2] وينحصر التحويل الأول في لفظ فعل الأمر في صدر كل من الآيتين جمعا وإفرادا لاختلاف جهتي الخطاب فيهما، وهي في الآية الأولى جهة المسلمين كافة، فالوحي لم ينزل عليهم من السماء، وإنما أنزل على الأنبياء الذين انتهوا به إليهم، وفي الآية الثانية جهة الرسول- ﷺ- وحده، وهو- عليه الصلاة والسلام- آخر الأنبياء الذين كانوا نقلة الوحي الإلهي إلى أممهم[3]، وسنرى أن اختلاف الجهة ذو مقتضى قوي لنشأة التحويل الثاني في الآيتين، وهو اختلاف حرفي الجر فيهما بعد فعلي "الإنزال"، وهما: "إلى" في الأولى، و"على" في الثانية، ومن جملة الاعتقاد الصحيح في مجرى تبليغ الرسالات: أن الفرقان يأتي المسلمين المخاطبين في الآية

---

(1) آ: 136.

(2) آ: 84.

(3) درة التنزيل: 35 - 36، أسرار التكرار في القران: 36، معترك الإقران: 1/ 91/ و=: أبن عاشور: 3/ 302، والآلوسي: 1/ 265، 266.

الأولى من آية جهة من الجهات، وهذا ما لا تفيده "على" بما تخصصه من جهة الفوقية[1] وحدها، وتفيده " إلى " بما تدل عليه من انتهاء الغاية، كما يقول النحاة في وصفها[2] ولكن "الإنزال " في الآية الثانية قد اقتضى جهة العلو للوحي المنزل، لأن الوحي قد أتى محمداً- ص- من جهة العلو خاصة، وليس ذلك من المقطوع به في أحوال غيره من الأنبياء، فليس في لفظ "أنزل" دلالة دائمة على انفصال الشيء من فوق الأنبياء كما انفصل في حالته- عليه الصلاة والسلام-. ومن الملحوظ في القرآن الكريم: استعماله "على" في الخطاب مع النبي- ﷺ- قال- تعالى-: {**طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى**}[3]، وقال: {**وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه**}[4]، وقال: {**الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب**}[5]، ولهذا قال السيوطي- رحمه الله-: " أكثر ما جاء من جهة النبي- ﷺ- بـ(على)، وأكثر ما جاء من جهة الأمة بـ(إلى) "[6]، ولكن هذا لا يعني: أنه عليه الصلاة والسلام- لم يخاطب ب- (إلى)، فقد خوطب بالحرفين معا، ولكن استعمال الحرف المذكور معه أقل من استعمال الحرف الآخر، ومن ذلك قوله- تعالى-: {**وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل عليهم**}[7] وقوله: {**وأحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك**}[8].

أما الاستبدال الثالث ففي فعل "الإيتاء" الذي جيء به مكرراً في الآية الأولى: فعزى

(1) درة التنزيل: 36، أسرار التكرار في القران: 36، ملاك التأويل: 239، معترك الإقران: 1/ 90- 91، و=: الرازي: 4/ 92، فتح الرحمن 1/ 56 -57، تيجان البيان: 57.

(2) مغني اللبيب: 74.

(3) طه- آ: 20.

(4) النحل- آ: 64.

(5) الكهف- آ: 1.

(6) معترك الأقران: 1/ 91.

(7) النحل - آ: 105.

(8) المائدة - آ: 49.

بعض المفسرين تكراره إلى ثلاثة أسباب: أولها: كون الأمر في الآية الأولى موجهاً إلى المسلمين بعامة، وأنبيائهم بالضرورات منهم. ولما كان كذلك فقد وافق أوضاع الرسل والأنبياء أن يتكرر معهم ذكر فعل " الإيتاء " توكيداً لذكر الإنزال عليهم، لأن المؤمنين لا يفرقون بين أحد منهم، فناسب ذلك التكرار- وهو موضع الزيادة التي أشرنا إليها في فاتحة الدرس- حالهم الإيمانية المذكورة تأكيداً لمقالهم وتثبيتاً لاعتقادهم، فلما وجه الخطاب في الآية الثانية إلى النبي-ﷺ- وحده، فقد ناسبه عدم التأكيد بالتكرار لتنزهه- عليه الصلاة والسلام- حالاً ومقاماً عن التفريق بين أحد من الرسل[1] الذين سبقوه في الإتيان إلى أممهم بالوحي والرسالة، والسبب الآخر لتكرار فعل "الإيتاء": في الآية الأولى: تقدم ذكر الفعل نفسه في سورة آل عمران، وذكر "الكتاب" في قوله- تعالى- فيها: {**وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة**}[2] فلما ذكر ثانية في الآية التي بين أيدينا في السورة نفسها أكتفي بذلك عن تكراره[3]، وقيل: إنّ تكراره في آية سورة البقرة لمجيء ذكر اليهود والنصارى في سياق السورة المذكورة، وذلك في قوله- تعالى- فيها: (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا) فناسب ذكر هاتين الملتين تخصيص نبيهما بالإيتاء، فأفرد ذكر إيتاء موسى وعيسى عن الأنبياء الآخرين، قبل أنْ يذكر إيتاء أولئك الأنبياء بعدهما[4]، فضلا عن كون الجو التعبيري في السورة مقتضياً أو محتملاً تكرار فعل "الإيتاء" فيها؛ لأن مشتقات الفعل نفسه قد وردت فيها حوالي ثلاث وخمسين مرة، وهذا عدد أكبر بكثير من موارده وموارد مشتقاته في سورة آل عمران، لأنها لم ترد فيها أكثر من إحدى وعشرين مرة[5].

(1) ملاك التأويل: 240.

(2) آ: 81.

(3) درة التنزيل: 36، أسرار التكرار في القرآن: 36=: قطف الأزهار: 331.

(4) آ: 135.

(5) =: التعبير القرآني: 187، وقد أشار مؤلفه إلى أعداد المواد المذكورة: (34- 19) في السورتين، خلافا لما أحصيناه.

الخاتمة

من الصعب جداً- فيما نراه- أنّ يحاول العقل الإنساني القاصر إفراغ مادة أي كتاب كبير في صفحة أو صفحتين، بضمنها فقرات موجزة، يسميها كاتبها "بنوداً، أو نقاطاً، ويرى مضامينها نتائج، أو يعدها أهم النتائج لعمله في صورته المبسطة، وكأن العمل كله ليس النتيجة الكبرى التي يحق له أنّ يسعد بها، ويقدرها حق قدرها سعادة الإنجاز، وسعادة المشاركة بها في الحقل الذي يعمل فيه من حقول المعرفة. وإذا كان لابد لعملنا هذا في دراسة **"ظاهرة التكرارا في القرآن الكريم"** ما يلطف أنّ نستله من سياقاته البحثية في رسالتنا هذه من أولها إلى آخرها، لنختم به عملنا الإجمالي فيها، فقد لمسنا أنّ الظاهرة المذكورة بوصفها وليدة النحو في العبارة، والبلاغة في المطلب القرآني- من أبرز صور التاسق الجمالي في القرآن الكريم، لكونها ملمحاً من ملامح إعجازه اللغوي في قصار سوره وطوالها، مكيّها ومدنيّها.. بيد أنّ السور المكية قد اكتنفت من التكرارات القرآنية "المحضة" وهي واحدة من الأنواع الثلاثة التي توفرنا على دراسستها بالوصف والتحليل أكثر مما اكتنفته السور المدنية، لكون المجموعة الأولى من السور ذوات غرض متقدم خاص وفعال في تاريخ الدعوة الإسلامية، ذلكم هو الزجر عن المعاصي، والترغيب في الدعوة إلى الإيمان بالله- عز وجل، ولهذا كان التكرار فيها- كما نراه في سورتي الرحمن والمرسلات مثلاً- تأكيداً لهذا المطلب الإيماني، واقناعا وتأثيراً وجدانياً به، وقد استصحب هذا التأكيد وهذا الإقناع مطلباً لغوياً وادبياً وتأثيراً ملوناً ومتنوعاً في العبارة القرآنية، ولهذا لم تجيء التكرارات القرآنية في سورها المختلفة بمقاصدها القرآنية واشكالها وخصائصها في أنساق جارية على حذو واحد، فقد داخلتها من وجوه الفروق والتحويلات والطول والقصر ما داخلها، فجعل لكل منها خصوصية تركيبية وفرادة اسلوبية، يتعين على الدارس أنّ ينعم النظر فيها، ليرى فيها من جماليات التعبير القرآني ما يؤكد حقيقة الإعجاز، ويزيدها قوة على قوة، وقد كنا نستعين بالآية المكررة على تفسير نظيرتها، فكان من أجلى ما اتضح لنا بهذا المنهج صحة الإشارة التي قرأناها في

آثار سلفنا الصالح من أنه "لاترادف في القرآن"، ونحن نستعمل هنـا مصـطلح "الـترادف" عـلى وجـه الاتساع والمجاز بقصد "وحدة معاني الألفـاظ المفـردة، ومعـاني التراكيـب أيضـاً، وقـد لمسـنا اخـتلاف التعبير القرآني في الحالة الواحدة بالصورة الواحـدة والصـورتين والـثلاث، وهـو ينسـج في كـل صـورة ديباجة خاصة للمقصد الإلهي حفزاً لفكر المتلقي، وحملاً لـه عـلى اسـتقبال المـراد بـالوعي الكامـل والنشاط الموفور. نعود بعد هـذا فنقـول: إنّ مهمـة التلخـيص وعـرض النتـائج في مثـل هـذا المقـام امتحان صعب، فالأفكار كثيرة، وقضايا البحث كثيرة أيضاً، وقد اقترنت كل واحدة منهـا بمـا يشـبه أنّ يكون مستخلصاً أو نتيجة في موضعه من الرسالة، ومن أجل هذا نكتفي بما قـدمناه، بيـد أننـا نشـير إلى مقترحات يمكن أنّ يكون كل واحد منها موضـوعاً لبحـث جديـد متصـل بمـا درسـناه مـن قضـايا "ظاهرة التكرار في القرآن الكريم"، ولدينا في هذا المجال مقترحان يتـوزع الثـاني مـنهما في داخلـه الى أكثر من مقترح:

* ظاهرة التكرار في القصص القرآن.

* مناهج المؤلفين في دراسة آيات التكرار.

- منهج الإسكافي في: "درة التنزيل وغرة التأويل".

- منهج الكرماني في: "البرهان في متشابه القرآن".

وإذا كانت لأحد الكاتبين سابقة لدراسة "مـنهج الغرنـاطي في: مـلاك التأويـل.." فـإن التركيـز في تلكم الدراسة لم يكن معمقاً وكافيـاً في مقاربـة الظـاهرة المـذكورة فلـيس مـن المتعـذر عنـدنا تجديـد الكتابة في الإتجاه نفسه على حذو مانتصوره في الكتابة عن الإسكافي والكرماني في كتـابيهما ايضـاً، وربمـا هدتنا هذه الأعمال المقترحة لو تهيـأت لهـا فـرص الإنجـاز إلى أسرار غامضـة ودلالات معجـزة لظـاهرة التكرار في القرآن الكريم، لايتأتى لنا الوصول إليها عن كثب بيسر وسهولة. والـلـه من وراء القصد.

ثبت المصادر والمراجع

الكتب:

- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، القاهرة، د. ت.
- أثر النحاة في البحث البلاغي: د. عبد القادر حسين، ط2، قطر 1986م.
- أساس البلاغة: جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق عبد الرحيم محمود، ط1، القاهرة 1372هـ- 1953.
- أساليب النفي في العربية/دراسة وصفية تاريخية/د. مصطفى النحاس، الكويت 1979م.
- أساليب النفي في القرآن: د. أحمد ماهر البقري، ط2، القاهرة- 1984.
- أسباب النزول: ابو الحسن علي بن احمد الواحدي، تحقيق: السيد احمد صقر، ط1، القاهرة، 1389، 1969.
- أسرار ترتيب القرآن: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دراسة وتحقيق: عبد القادر احمد عطا القاهرة، 1976.
- أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم: محمود السيد شبخون، ط1 القاهرة 1403- 1983.
- أسرار التكرار في القرآن: محمد بن حمزة بن نصر الكرماني، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط1، تونس 1983م.
- أسرار التكرار في لغة القرآن: د. محمود السيد شبخون، ط1، القاهرة، 1403- 1983.
- الأسماء والصفات (كتاب..): أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تصحيح وتعليق: محمد زاهد الكوثري الحنفي، بيروت، د. ت.

- الأشباه والنظائر في النحو: جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي، حيدرآباد الدكن، ط2، 1359.
- أضواء على متشابهات القرآن: خليل ياسين، ط2، بيروت، 1980م.
- إعجاز القرآن: ابو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط3، القاهرة، 1971.
- إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق: د. حفني محمد شرف، القاهرة، 1390- 1970.
- الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية: محمود السيد حسن مصطفى، تقديم: د.حسن عون، ط1، الاسكندرية 1981.
- إعراب القرآن: أبو جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل النحاس، تحقيق: د. زهير غازي أحمد، ط1، بغداد، ج- 1 1977، ج- 2 1979، ج- 3 1980 .
- الإنصاف في مسائل الخلاف: كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الانباري، شرح وتحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت. د.ت.
- أوضح المسالك الى الفية ابن مالك: جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام، ط6 بيروت، 1980.
- الإيضاح في علوم البلاغة: جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني، تحقيق وتعليق لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر، القاهرة. د. ت.
- بحوث في قصص القرآن: السيد عبد الحافظ عبد ربه، ط1 بيروت، 1972.
- بدائع الفوائد: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، القاهرة، (د.ت).
- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط1، القاهرة، 1376هـ- 1957.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد على النجار، القاهرة، 1384- 1964 .

- بلاغـة القـرآن بـين الفـن والتـاريخ- دراسـة تاريخيـة فنيـة مقارنـة: د. فتحـي أحمـد عـامر، الاسكندرية، د. ت.

- بلاغة القرآن في آثار القاضي عبـد الجبـار وأثـره في الدراسـات البلاغيـة: د. عبـد الفتـاح لاشـين، القاهرة 1978.

- البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السـلام محمـد هـارون، ط4، القاهرة، 1395- 1975.

- تأويل مشكل القرآن: أبو محمد عبـد اللــه بـن مسـلم بـن قتيبـة، شرح ونشر: السـيد احمـد صقر، ط3، بيروت 1981م.

- التبيان في البيان: شرف الدين الحسين بن محمد الطيبي، تحقيق: توفيق الفيل وعبد اللطيـف لطف اللـه، ط1، الكويت، 1986م.

- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: جمال الدين أبو عبد اللـه محمد بن مالك، تحقيق وتقـديم: محمد كامل بركات، القاهرة 1387 هـ- 1967م.

- التسهيل لعلوم التنزيل (كتاب..): أبو القاسم محمد بن احمد بن حـربي الكلبـي، ط2، بـيروت، 1393هـ- 1973 .

- التصور اللغوي عند الاصوليين: د. السيد أحمد عبد الغفار، ط1 جدة، 1401هـ- 1981.

- التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ط3، القاهرة د. ت.

- التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن: د.عودة خليل عودة، ط1، الاردن، 1405هـ- 1985.

- التعبير الفني في القرآن: د. بكري شيخ امين، ط4، بيروت، 1400هـ- 1980م.

- التعبير القرآني: د. فاضل صالح السامرائي، الموصل 1988.

- التعريفات: السيد الشريف أبو الحسن علي بن محمد بن على الجرجاني، تونس د. ت.

- التفاسير :

- التفسير البياني للقرآن الكريم: د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء، القاهرة، 1969م.

- تفسير الجزأين: (عم وتبارك): صديق حسن خان [مستخرجا] من: تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن، القاهرة د. ت.

- التفسير ابن الجوزي- أبو الفرج عبد الرحمن بن علي: زاد المسير في علم التفسير، ط 1، بيروت، 1967.

- تفسير ابن عاشور- محمد الطاهر: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد، تونس، د.ت.

- تفسير ابن عطية- أبو محمد عبد الحق الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق وتعليق: عبد الله بن ابراهيم الانصاري، والسيد عبد العال السيد ابراهيم، ط1، الدوحة 1405هـ- 1985 .

- تفسير ابن القيم- شمس الدين ابي عبد الله محمد بن أبي بكر..: التفسير القيّم، جمع: محمد اويس الندوي، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت د.ت.

- تفسير ابن كثير- عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، ط1 بيروت 1966.

- تفسير الآلوسي- أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود بن...: روح المعاني، ط1، القاهرة 1301.

- تفسير البقاعي- برهان الدين أبو الحسن ابراهيم بن عمر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط1، القاهرة، 1389- 1969 .

- تفسير أبي حيان- أثير الدين محمد بن يوسف بن علي الغرناطي: البحر المحيط، بيروت د.ت.

- تفسير أبي السعود- محمد بن محمد العمادي: إرشاد العقل إلى مرايا القرآن الكريم، تصحيح الشيخ: حسن محمد المسعودي، ط1، القاهرة، 1347- 1928.

- تفسير الرازي- فجر الدين أبو عبـد اللـــه محمـد بـن عمـر بـن حسـين: التفسـير الكبـير، ط2، طهران، د.ت.
- تفسير الزمخشري- جار اللـه محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق التنزيـل وعيـون الأقاويـل في وجوه التنزيل، بيروت، 1366- 1949.
- تفسير الشربيني- شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب: السراج المنير في الإعانة عـلى معرفـة بعض معاني كلام ربنا الحكيم، ط2، القاهرة 1299 هـ.
- تفسير الشوكاني- محمد بن علي: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسـير، بيروت، د.ت.
- تفسير الطبري- أبو جعفر محمد بن جرير- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (الأجـزاء 1-15)، تحقيق وتعليق ونشر، محمود محمد شـاكر، راجعـه وخـرج أحاديثـه: أحمـد محمـد شـاكر، القاهرة، د. ت. وقد أخذنا من طبعة القاهرة، ط2، 1954، في موضع واحد، رمزنا لـه بالعلامـة (*)=: ص 58، الهامش7.
- تفسير القاسمي- محمد جمال الدين: محاسن التأويل، تصحيح: محمد فؤاد عبـد البـاقي، ط1، القاهرة 1379هـ- 1960.
- تفسير القرطبي- أبو عبد اللـه محمد بن أحمد: الجامع لاحكام لقرآن، القاهرة، 1387 - 1967.
- تفسير النسفي- أبوالبركات عبد اللـه بن أحمـد- مـدارك التنزيـل وحقـائق التأويـل، بـيروت - دمشق.

التفاسير الحديثة:

- التفسير البياني للقرآن الكريم: د. عائشة عبد الرحمن- بنت الشاطي، القاهرة 1969.
- تفسير الجزأين: عم وتبارك: صديق حسن خان، [مستخرجا] من تفسير: فتح البيان في مقاصـد القرآن، القاهرة د. ت.

- تفسير سور المفصل من القرآن الكريم: السيد عبد اللـه كنون، ط1، المغرب 1401- 1981.

- تفسير المنار: محمد رشيد رضا: ج1، ط1، 1328، ج2، ط2، 1346، القاهرة.

- التلخيص في علوم البلاغة: جلال الـدين محمـد بـن عبـد الـرحمن الخطيـب القزوينـي، ضبط وشرح: عبد الرحمن البوقوني، ط2، بيروت 1932.

- تنزيه القرآن عن المطاعن: عمدا الدين عبد الجبار أحمد القاضي الهمداني، بيروت، د.ت.

- تيجان البيان في مشكلات القرآن: محمد أمين بن خير اللـه الخطيب العمري، دراسة وتحقيق: حسن مظفر الرزو، ط1، الموصل 1985.

- جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: د. ماهر مهـدي هـلال، بغـداد 1980.

- الجنى الداني في حروف المعاني: الحسن بن قاسم بن عبد اللـه المرادي، تحقيق: د.فخر الـدين قباوة ومحمد نديم فاضل، ط1، حلب 1393- 1973.

- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد الهاشمي، ط 12، القاهرة- د.ت.

- حاشية سليمان الجمل على [تفسير] الجلالين: بيروت، (د.ت).

- الحروف: أبو الحسين المزني، تحقيـق وتعليـق وتقـديم: د. محمـود حسـين محمـود، د.محمـد حسن عواد، عمان، ط1، 1403- 1983 .

- حروف المعاني: (كتاب..) أبو القاسم عبد الـرحمن بـن اسـحق الزجـاجي، تحقيـق وتقـديم: د. علي توفي قالحمد، عمان 1404- 1984.

- حقائق التأويل في متشابه التنزيل: أبو الحسن محمد بن الحسين الشريف الرضي، شرح محمد الرضا آل كاشف الغطاء، تحقيق لجنة علمية من أعضاء منتدى النشر، النجف، 1355هـ.

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العـرب: عبـد القـادر بـن عمـر البغـدادي، تحقيـق وشرح عبـد السلام محمد هارون، ط1، القاهرة، 1406- 1986م.

- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، ط2، القاهرة، 1371- 1952.
- خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: د. محمد ابو موسى، ط2، القاهرة، 1400- 1980.
- دراسات في التفسير: د. مصطفى زيد، ط1، بيروت، 1967-1968م.
- دراسات في القرآن: السيد أحمد خليل، القاهرة، 1972.
- دراسات قرآنية: محمد قطب، ط5، القاهرة، 1408هـ- 1988.
- درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي، برواية ابن أبي الفرج الأردستاني، ط2، بيروت، 1977.
- دلائل الإعجاز (كتاب..): أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، قراءة وتعليق، محمود محمد شاكر، القاهرة 1984.
- دور الكلمة في اللغة: ستيفن اولمان، ترجمة وتقديم وتعليق: د. كمال محمد بشر، القاهرة 1975 .
- رسالة في علوم الحديث وأصوله: كمال الدين الطائي، تقديم: محمد خليفة التونسي، بغداد 1391- 1971.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني: أحمد بن عبد النور المالقي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دمشق، 1395- 1975.
- السبعة في القراءات (كتاب..): أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد، تحقيق: د.شوقي ضيف، ط2، مصر، 1980.
- سر الفصاحة: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، صححه وعلق عليه، عبد العال الصعيدي، القاهرة، 1953.
- سورة الرحمن وسور قصار- عرض ودراسة: د. شوقي ضيف، القاهرة، 1971.
- سيكولوجية القصة في القرآن: د. التهامي نقرة، تونس، 1971.

- الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها ك محمد سعيد أسير وبلال جنيدي، ط1، بيروت 1981.

- شرح أبيات مغني اللبيب: عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد العزيز رباح واحمد يوسف دقاق، دمشق 1973.

- شرح جمل الزجاجي: أبو الحسن على بن مؤمن بن عصفور الأشبيلي، تحقيق: د.صاحب أبو جناح، الموصل 1402- 1982.

- شرح شافية بن الحاجب: رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، تحقيق وضبط وشرح: الحسن، ومحمد الزفزاف ومحمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة د.ت.

- شرح قطر الندى وبل الصدى: جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام، بيروت، د.ت.

- شرح الكافية الشافية: جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك، تحقيق وتقديم: د. عبد المنعم احمد هريدي، ط1، دار المأمون للتراث 1402هـ- 1982.

- شرح المفصل: موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش، بيروت، د.ت.

- شعر عمرو بن الأحمر الباهلي، جمع وتحقيق: حسين عطوان، دمشق، د.ت.

- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: أبو الحسن أحمد بن فارس، تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة، 1977.

- الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط1، بيروت، 1376- 1956.

- صحيح مسلم: أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري: تحقيق وتعليق: د. موسى شاهين لاشين ود. احمد عمر هاشم، بيروت، د.ت.

- صفاء الكلمة: د. عبد الفتاح لاشين، الرياض، 1403- 1983.

- علم اللغة العام: د. كمال محمد بشر، القسم الثاني- الاصوات، القاهرة 1971.

- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي، بيروت 1402- 1982.

- الفاصلة في القرآن: محمد محمود الحسناوي، حلب 1977.

- الفرقان في تفسير القرآن والسنة: د. محمد الصادقي، بيروت 1395- 1975.

- الفروق في اللغة: أبو هلال الحسن بن عبد اللـه بـن هـلال العسـكري، تحقيـق لجنـة إحيـاء التراث العربي، ط5، بيروت، 1401- 1981.

- الفوائد المشوق الى علوم القرآن، وعلم البيان: شمس الدين أبو عبد اللـه محمـد بـن أبي بكـر بن قيم الجوزية بيروت، د. ت.

- في التحليل اللغـوي- مـنهج وصـفي تحـليلي وتطبيقـه عـلى التوكيـد اللغـوي والنفـي اللغـوي وأسلوب الاستفهام: د. خليل أحمد عمايـرة- تقـديم د. سـلمان حسـن العـاني، ط1، الزرقـاء، الاردن 1407- 1987.

- في ظلال القرآن: سيد قطب، بيروت 1386- 1967.

- قاموس قرآني: جمع وتأليف حسن محمد موسى، الاسكندرية، 1386- 1966.

- القرآن وعلم النفس: عبد الوهاب حمودة، القاهرة، 1962.

- القرآن وعلم النفس: د. محمد عثمان نجاتي، ط2، بيروت، 1405- 1985.

- القصص القرآني إيحاؤه ونغماته: د. فضل حسن عباس، ط1، الأردن، 1407- 1987.

- قطف الأزهار في كشف الاسرار: جـلال الـدين عبـد الـرحمن بـن أبي بكـر السـيوطي، تحقيـق ودراسة د. أحمد بن محمد الحمادي، ط1، قطر 1414- 1994.

- القـوافي (كتـاب..) عبـد البـاقي بـن المحسـن التنـوخي، تحقيـق: د. عـوني عبـد الـرؤوف، ط2، القاهرة، 1978.

- كتاب سيبويه: عمرو بن بشر بن عثمان بن قنبر، تحقيـق وشرح: عبـد السـلام محمـد هـارون، بيروت د. ت.

- كتاب الصناعتين: أبو هلال الحسن بن عبد اللـه بن هلال العسكري، ط2، بيروت، 1984.

- كشاف اصطلاحات الفنون: محمد علي الفاروقي التهانوي، كلكته، 1862.

- الكليات- معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البتاء أيوب بن موسى الحسين الكفوي، مقابلة: د. عدنان درويش ومحمد المصري، د. القاهرة 1974.

- لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الانصاري، القاهرة، 1300-1882.

- اللغة: ج. فندريس، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، القاهرة 1950.

- اللغة والمعنى والسياق: جون لابنز، ترجمة: د. عباس صادق عبد الوهاب، مراجعة د. يوئيل عزيز، ط1، بغداد 1987.

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الاثير الجزري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة 1358- 1939

- مجاز القرن: أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي- معارضة وتعليق: محمد فؤاد سركين، ط1، القاهرة، 1381- 1962.

- مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي، بيروت، 1401- 1981.

- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: د. عبد الله الطيب المجذوب، ط1، القاهرة، 1374-1955.

- مسائل الرازي وأجوبتها: [مستخرجة] من: غرائب آي التنزيل: محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق وتصحيح: ابراهيم عطوة عوض، ط1، لاهور 1975.

- المستقصي في أمثال العرب: جار الله محمد بن عمر الزمخشري، ط1، حيدر آباد الدكن، 1381- 1962.

- المعاجم العربية في أضواء دراسات علم اللغة الحديث: د. محمد أحمد ابو الفرج ط1، القاهرة 1966.

- معاني الابنية في العربية: د. فاضل صالح السامرائي، ط1، الكويت 1401هـ- 1981.

- معاني الحروف (كتاب..): أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، تحقيق: د. عوني عبد الرؤوف، ط2، القاهرة 1978.

- المعاني في ضوء أساليب القرآن: د.عبد الفتاح لاشين، ط3، القاهرة، 1398هـ- 1978.

- معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد على النجار، ط1، بيروت، 1408- 1988.

- معاني القرآن وإعرابه: أبو إسحاق ابراهيم بن السري الزجاج، شرح وتحقيق: د.عبد الجليل عبده شلبي، ط1، بيروت، 1408- 1988.

- معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي، ج1 و2، الموصل 1989، ج3 و4، بغداد 1991.

- معترك الأقران في إعجاز القرآن: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة 1969.

- معجم البلاغة العربية: د. بدوي طبانة، ط1، طرابلس، 1397هـ- 1977.

- معجم الدراسات القرآنية: د.. ابتسام مرهون الصفار، بغداد 1984/83.

- معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات واشهر القراء: د. عبد العال سالم مكرم ود. أحمد مختار عمر، ط2، الكويت، 1408- 1988.

- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: د. احمد مطلوب، بغداد ج.

- معجم مصنفات القرآن الكريم: د. علي شواخ اسحاق، ط1، الرياض، 1404- 1984.

- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، 1981.

- مغازي رسول اللـه: ابو عبد اللـه محمد بن عمر الواقدي، ط1، القاهرة 1367- 1948.

- المغني في أبواب التوحيد والعدل: عماد الدين عبد الجبار أحمد القاضي الهمداني، ج16/ إعجاز القرآن، قوّم نصه أمين الخولي، القاهرة 1380- 1960.

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين عبد اللـه بن يوسف بن هشام، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت 1407- 1987.
- مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي: دراسة: أكرم عثمان يوسف، بغداد، 1982.
- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم حسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، بيروت.
- المفصل في علم العربية: جار اللـه محمود بن عمر الزمخشري، بيروت، ط3، د.ت.
- المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، بيروت.
- مقدمة في أصول التفسير: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: د.عدنان زرزور، بيروت، ط2، 1392- 1972.
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ في آي التنزيل: أحمد ابن ابراهيم بن الزبير الغرناطي، تحقيق، سعيد الفلاح، بيروت، ط1، 1403 - 1983م.
- من أسرار التعبير في القرآن- الفاصلة القرانية: د. عبد الفتاح لاشين، الرياض، 1402- 1982م.
- من أسرار اللغة: ابراهيم أنيس، القاهرة، ط5، 1975.
- مناهج البحث في اللغة: د. تمام حسان، المغرب، 1977.
- من بلاغة القرآن: د. أحمد أحمد بدوي، القاهرة، 1977.
- من بلاغة النظم العربي، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: عبد العزيز عبد المعطي عرفة، بيروت، ط2، 1984.
- من الدراسات القرآنية: د. عبد العالم سالم مكرم، الكويت، 1978.
- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع: أبو محمد القاسم بن محمد السجلماسي، تحقيق: علال الغازي، المغرب، 1980.

- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث: د علي زوين، بغداد، 1986م.
- نتائج الفكر في النحو: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، تحقيق ودراسة: محمد ابراهيم البنا، بيروت، 1978 .
- النسخ في القرآن الكريم، دراسة تشريعية تاريخية نقدية: د. مصطفى زيد، ط2، دار الفكر، بيروت، 1392- 1972 م.
- النظم الفني في القرآن: عبد المتعال الصعيدي، القاهرة. د.ت.
- نكت الانتصار لنقل القرآن: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق ودراسة: د.محمد زغلول سلام، الاسكندرية. د.ت.
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: فخر الدين "أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، تحقيق وتقديم: د. ابراهيم السامرائي ود. محمد بركات حمدي أبو علي، عمان 1985.
- نواسخ القرآن: ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق ودراسة: محمد أشرف علي الملباري، المدينة المنورة، ط1، 1404- 1984.
- همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم اللغة: جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي، بيروت. د.ت.
- وجوه من الإعجاز القرآني: مصطفى الدباغ الزرقاء، الاردن، ط2، 1405- 1985.

الرسائل الجامعية:

- الاقتران الثنائي بين أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم: فخري أحمد سليمان، رسالة ماجستير، باشراف الأستاذ الدكتور عبد الوهاب محمد علي العدواني، مقدمة إلى كلية الآداب- جامعة الموصل، 1998.
- التقديم والتأخير في القرآن الكريم: حميد أحمد عيسى العامري، رسالة ماجستير، باشراف الدكتور عمر الملا حويش، مقدمة إلى كلية الآداب- جامعة صلاح الدين 1411- 1990.
- التقديم والتأخير في القرآن الكريم: عز الدين محمد أمين، رسالة دكتوراه، بإشراف

الأستاذ الدكتور عبد الوهاب محمد علي العدواني، مقدمة إلى كلية التربية للبنات- جامعة بغداد- 1998.

- التكرار اللفظي- أنواعه ودلالاته قديماً وحديثاً: صميم كرم الياس، رسالة ماجستير، بإشراف الأستاذ الدكتور ناصر حلاوي، مقدمة إلى كلية التربية- جامعة بغداد 1409هـ- 1988.
- الحدود النحوية من النشأة إلى الاستقرار- دراسة ومعجم: زاهدة عبد اللـه العبيدي، رسالة دكتوراه، بإشراف الأستاذ الدكتورعبد الوهاب محمد علي العدواني، مقدمة إلى كلية الاداب - جامعة الموصل، 1415- 1995.
- دلالة الأنساق البنائية في التراكيب القرآنية: عامر عبد محسن السعد، رسالة دكتوراه، بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الحسين المبارك- مقدمة إلى كلية الآداب- جامعة البصرة، 1416- 1995.
- المباحث اللغوية والنحوية الصرفية عند ابن قتيبة: رافع عبد اللـه مالو، رسالة دكتوراه بإشراف الأستاذ الدكتور كاصد ياسر الزيدي- مقدمة إلى كلية الآداب- جامعة الموصل، 1415- 1995.
- وجوه الاستبدال النحوي في القرآن الكريم- دراسة وصفية وتحليلية: عز الدين محمد أمين سليمان، رسالة ماجستير بإشراف الأستاذ الدكتورعبد الوهاب العدواني مقدمة إلى كلية الآداب- جامعة الموصل 1414- 1993.

نصوص وبحوث منشورة في كتب جامعة أو دوريات:

- أساليب التوكيد في القرآن الكريم: كاظم فتحي الراوي، مجلة آداب المستنصرية، العدد الأول، بغداد 1975- 1976.
- بيان إعجاز القرآن: أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق وتعليق محمد خلف اللـه، ود. محمد زغلول سلام، ط3، القاهرة، د. ت، وقد أخذنا من تعليقات المحققين في أحد هوامشنا (=: ص).

- تفسير القرآن بالقرآن- نشأته وتطوره حتى عصر الجلاليـين: أ. د. كاصـد يـاسر الزيـدي، مجلـة آداب الرافدين، الموصل- العدد 12، الموصل، 1980.

- تبيان البيان في مشكلات القرآن: محمد امين بن خير اللـه الخطيب العمري، دراسة وتحقيـق: حسن مظفر الرزو، ط1، الموصل 1985.

- دراسة تحليلية في همزتي إنّ وأنّ: عبد الوهاب محمـد عـلي العـدواني، مجلـة آداب الرافـدين، العدد 7، الموصل 1976.

- الدلالة في البنية العربية بين السياق اللفظي والسياق الحالي: أ. د. كاصد ياسر الزيـدي، مجلـة آداب الرافدين ، العدد 26، الموصل 1994.

- السياق الفكري اللغوي عند العرب: د. صاحب أبـو جنـاح- مجلـة الأقـلام، العـدد 3-4، بغـداد 1992.

- ضمير الفصل قيمته الموقعية وآثاره التركيبية في الجملة الإسمية الأصلية والمنسـوخة: مصـطفى النحاس- المجلة العربية للعلوم الانسانية، المجلد 13، العدد 12، الكويت.

- ظاهرة التكرار في القرآن الكريم: د. فتحـي عبـد القـادر- مجلـة الخفجـي، العـدد، السـعودية 1984م.

- عروس الأفراح: بهاء الدين أحمد بن علي السبكي، ضمن مجموعـة: شروح التلخـيص، القـاهرة، 1937.

- غرائب القرآن: الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، على هـامش: تفسـير الطـبري، ط3، بيروت، 1978.

- فتح الرحمن لكشف مايلتبس من القرآن: أبو يحيى زكريا بن محمـد الانصـاري، عـلى هـامش تفسير الشربيني، ط2، القاهرة، 1299.

- مكانة الفاصلة من الإعجاز في القرآن الكريم/ مجلة الدارة، السنة 15، العدد 34، الرياض 19.